بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم أصول الدين / الحديث الشريف وعلومه

أطروحة دكتوراه بعنوان

استقلالية الأمة الإسلامية في ضوء السنة النبوية

" دراسة موضوعية"

The independence of Islamic nation in the light of sunnah- objective study

إعداد الطالب

عمر محيسن عليان الخوالدة

إشراف الأستاذ الدكتور

محمد علي قاسم العمري

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم أصول الدين/ الحديث الشريف وعلومه

عمادة البحث العلمي والدارسات العليا

جامعة اليرموك

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(استقلالية الأمة الإسلامية في ضوء السنة النبوية)
ــ دراسة موضوعية ــ

إعداد الطالب

عمر محيسن عليان الخوالدة

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في تخصص الحديث الشريف وعلومه في جامعة اليرموك ، اربد ــ الأردن .

وافق عليها

محمد علي العمري..... مشرفا رئيساً
أستاذ الحديث في كلية الشريعة ــ جامعة اليرموك

شحاده حميدي العمري ..... عضواً
أستاذ التفسير في كلية الشريعة ــ جامعة اليرموك

عبد الله مرحول السوالمه ..... عضواً
أستاذ الحديث في كلية الشريعة ــ جامعة اليرموك

أمين محمد القضاة ..... عضواً
أستاذ الحديث في كلية الشريعة ــ الجامعة الأردنية

محمد عبد الرحمن طوالبه..... عضواً
الأستاذ المشارك في الحديث في كلية الشريعة ــ جامعة اليرموك

نوقشت بتاريخ
٢٠١٠/٨/١م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بسم الله الرحمن الرحيم

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إهداء

إلى: والديّ العزيزين

إلى: إخواني وأخواتي

إلى: زوجتي وأولادي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله, وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، أمّا بعد:

فإنني أحمد الله الذي وفقني لإنجاز هذه الرسالة، والتي لم ادخر جُهدا لإخراجها بهذه الصورة ضمن حدود معرفتي واطلاعي، فإن وُفقت فذلك من فضل الله ورحمته، وإن أخطأت فليس ذلك إلا من نفسي القاصرة, التي لا تبرأ من الخطأ والزلل، وهذا شأن البشر، إذ الكمال لله وحده.

فاتباعا لهدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القائل: "لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ"[1] فإنّي أتوجه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى فضيلة أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمد العمري، الذي وهبني من وقته الثمين وعلمه الوفير، وأبدى لي كلّ نصح وتوجيه وإرشاد، حتى خرجت هذه الرسالة بهذه الصورة، فما كان من تقصير فمنّي وقد فاتني فهم ما يريد، وما تمّ منها وبان حسنه, فبفضل من الله, ومن ثمّ بتوجيهه ونصحه القيّم، فجزاه الله خير الجزاء.

ولا يفوتني أيضا أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى أساتذتي العلماء من هذه الكلية أو من تجشّم عناء السفر، على قبول مناقشة رسالتي هذه، وأعدهم أن أكون أذناً صاغية إلى توجيهاتهم وتصويباتهم ونصائحهم، التي ما من شك ستزيد من قيمة هذا الرسالة وترفع من سويّتها.

وفي النهاية أدعو الله تبارك وتعالى أن يجزي كلّ من أسهم في إعداد هذا البحث ولو بالكلمة خير الجزاء, وأن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم, وزاداً ليوم لقائه.

فجزى الله الجميع خير الجزاء وأحاطهم من دهمة الداهم.

والحمد لله رب العالمين.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

[1] السجستاني, أبو داود سليمان بن الأشعث, **سنن أبي داود**, كتاب الأدب, باب في شكر المعروف, دار الكتاب العربي - بيروت, ج: ٤, ص: ٤٠٣, حديث رقم: ٤٨١٣, قال الألباني: صحيح.

الملخّص

تناولت هذه الدراسة موضوع استقلالية الأمة الإسلامية في ضوء السنة النبوية، وأنّ الأمّة الإسلاميّة أمّة مستقلة في جميع المجالات والجوانب الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية, وقد جاءت هذه الرسالة لإبراز الصورة النقية الحقيقة للمجتمع المسلم كما أراده الإسلام, وإماطة اللثام عن حقيقة هذا الأمر وبيانه واضحاً جليّاً, والإشارة إلى ما تميّزت به هذه الأمة من خصائص، وتفردت به من وظائف، مما يؤكد أنّ الأمة المسلمة قادرة على مواكبة العصر ومستجدات الحياة، وكذلك الرد المنطقي والمقنع على أعداء الأمة في محاولاتهم المتكررة والخبيثة في ضبط ثوابت الأمة ومرجعيتها.

قام الباحث بجمع ما تيّسر له الوقوف عليه، من سنّة النبيّ صلى الله عليه وسلم القولية والعملية من مصادرها المختلفة، وما يتعلق بالموضوع، ووضعها تحت مفردات استقلالية الأمة الإسلامية في ضوء السنة النبوية، فجاءت هذه الدراسة في ثلاثة فصول وخاتمة، كما تمّ وضع الفهارس اللازمة في آخر الرسالة.

أمّا الفصل الأول: فتحدث فيه الباحث عن مفهوم الاستقلالية ومظاهرها ومقوماتها وآثارها ومجالاتها وأهميتها وخطورة تجاهلها.

وفي الفصل الثاني: تناول الباحث فيه الأقوام الذين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بمخالفتهم من غير المسلمين, وبعض مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث، وأثرها على المسلمين.

وفي الفصل الثالث: تناول فيه الباحث الاستقلالية بين الانتفاع والتأثر بالأمم الأخرى.

أما الخاتمة فقد ذكر فيها الباحث أهم النتائج التي توصل إليها وبعض التوصيات ، وتبرز هذه الدراسة صورة الأمة الحقيقية، من خلال ما امتازت به من خصائص ذاتيه, ووظائف حيوية وأهداف سامية، تسعى إلى تحقيقها، وأنّها ما زالت محافظة على أصالتها، وذاتيتها وثوابتها الأساسية, مع المستجدات المتغيرة في العصر الحديث دون تمييع لثوابتها أو تغييرها, والإسهام في تكوين فكر إسلامي قوامه التميّز والتفرد، وتسليط الضوء على كلّ ما هو من الإسلام, والمحافظة عليه وإبرازه في صورة جليّة والإبقاء على ديمومته واستمراره, وحثّ المسلمين على التمسك به فكراً وتطبيقاً، وذلك من خلال بيان حيثيات تميّز الأمة واستقلاليتها وتفردها عن سائر الأمم, في أصولها وجزئياتها, وفي الأحكام والقواعد, وكذلك في العبادات

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والمعاملات, بدءاً من مسائل العقيدة، وانتهاءً إلى أصغر المسائل القولية والعمليـــة ومقارنتهـــا بغيرها من الأمم، وأنها الأصل في كل شيء فهي أمة متبوعة لا تابعة .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله وبعد:

قدّم الإسلام أحكاما عظيمة ، وضّحت ما يحتاجه البشر في جميع شؤونهم وأحوالهم, في دينهم ودنياهم, في عباداتهم ومعاملاتهم, وفي شتى المجالات ومختلف مناحي الحياة, فهو منهج قويم ، ضبط الحياة البشرية بكل مقوماتها, وقد اتسمت مقاصده ومبادؤه بالشمولية والاستقلال مقارنة بما سبقه من نظم وديانات.

اتسمت بداية الدعوة بالمتانة والفكر الرصين، الذي أرسى قواعدها رسولنا الكريم -صلى الله عليه وسلم-, فكانت دعوته أنموذجاً فريداً يُحتذى, ونمطاً من التربية يُشكّل الأسوة والقدوة, ذو طابع متميّز عزّ نظيره في الدنيا, فكان الإسلام ، وكانت الدولة التي انضوى تحت رايتها العربي والفارسي والكتابي والشرقي والغربي, لكنّ الإسلام صبغ كل أولئك بصبغة الإسلام ، وجعل لهم منهجاً غاية في الرقيّ, مستقلاً لا يتأثر بالقومية ولا بالديانات السابقة.

إنّ السموّ الذي وصل إليه ديننا الحنيف, وتلك المكانة المرموقة التي ارتقى إليها، ما كانت لولا الصدق والإخلاص والتفاني والدعوة والجهاد, الذي كان أساس بنيانه التفرد، والتميّز وأصالة الهويّة ، واستقلالية الفكر والمنهج.

إنّ من أهم خصوصيات هذه الأمّة وسماتها استقلاليتها وتفردها عن سائر الأمم السابقة, في أصولها وجزئياتها, في الأحكام والقواعد, وكذلك في العبادات والمعاملات, بدءاً من مسائل العقيدة وانتهاءً إلى أصغر المسائل القولية والعملية, كأدب قضاء الحاجة, وإماطة الأذى عن الطريق, فالإسلام دين شامل، وقد ظهرت هذه الشمولية واضحة جليّة في أحكام الإسلام وقواعده، فهو يشمل كل جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية، كما إن الإسلام يعنى بكل متطلبات الإنسان الروحية والعقلية والبدنية.

إنّ هذه الاستقلالية ستكون -بإذن الله عزّ وجلّ- محل بحثي من خلال ما يتيسر لي الوقوف عليه، من سنة النبي- صلى الله عليه وسلم- القولية والعملية, وهذه الاستقلالية لا تبدو جلية إلا بتمسك هذه الأمة بمنهج ربها, وسنة نبيها -صلى الله عليه وسلم-.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لقد ارتأيت أن أكتب في موضوع " استقلالية الأمّة في ضوء السنة النبوية " محـــاولاً – بإذن الله عزّ وجل – إماطة اللثام عن حقيقة هذا الأمر لأبيّنه واضحاً جليّاً, ففي الوقـــت الـــذي كانت فيه قضية التشبه بالكفار مدار اهتمام وبحث العديد من العلماء, إلاّ أنّ جوانب الاستقلالية لم يتناولها العلماء بشي من البيان والتفصيل.

والله أسأل التوفيق والسداد, وأن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم بما فيـــه النفـــع والفائدة في الدنيا والآخرة.

أهميّة الدراسة:

إن لهذه الدراسة أهمية بالغة في العديد من الجوانب لعلّ من أهمها:

١. وضوح الفكرة، وجلاء النظرة، فيما يتعلق بتميز الأمة المسلمة، واســـتقلاليتها فـــي جميع المجالات والجوانب, سواءً كان ذلك في الجانـــب الفكـــري والاجتمـــاعي, أو الجانـــب الاقتصادي والسياسي.

٢. إبراز الصورة النقية الحقيقية للمجتمع المسلم كما أراده الإسلام.

٣. والإشارة إلى ما تميزت به هذه الأمة من خصائص وتفردت به من وظـــائف، ممـــا يؤكد أنّ الأمة المسلمة أمة قائمة بنفسها, ولها من مقومات البقاء ما يكفل لها مواكبـــة العـــصر وكلّ مستجدات الحياة.

٤. تسليط الضوء على كلّ ما هو من الإسلام, والمحافظة عليه وإبرازه فـــي صـــورة جليّة والإبقاء على ديمومته واستمراره, وحثّ المسلمين على التمسك به فكراً وتطبيقاً عمليّاً.

٥. إبراز هويّة الإسلام المستقلة والمنهج القويم الذي لا يتبع لأحد ولا يقلد منهجاً.

أسباب اختيار الموضوع:

ومن أسباب اختياري للموضوع الأهمية البالغة التي تظهر جليا فيما يلي:

١. الغزو الذي تشهده الأمة الإسلامية في القديم والحديث ونجاحه في اختراق صفوفها.

٢. الحاجة الملحة إلى ضرورة كشف أساليب هذا الغزو, وبيان مدى خطورته, وضرورة التصدي له.

٣. إن أساليب مكافحة الغزو الفكري كثيرة، يأتي على رأسها معرفـــة حقيقـــة الإســـلام بالدعوة إليه وتعليمه للناس وتربية الأجيال عليه، وتطبيق تعاليمه وشرائعه في كل المجـــالات, لذلك فإنّ هذا البحث يجلي بعض الآثار المباركة للإيمان في مجال التحصين ضد الفكر الهدام.

مشكلة الدراسة:

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إنّ غياب الفهم الدقيق لمفهوم الاستقلالية لدى الكثيرين, يعد مشكلة رئيسة أسهمت في تثبيط العزيمة عن القيام بالواجب مع أنّ أمتنا وسط شاهدة على الناس, تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر, وقد أدى غياب هذا الفهم إلى بروز فئات متباينة لا تؤدي دورها بشكل صحيح, فتلك فئة اتخذت من الغلو عنواناً لها, فلا تقبل من الآخر ولا تستوعبه, وأخرى تساهلت فهانت حتى ذابت شخصيتها في بوتقة الآخرين, فلم يعد لها عزة ولا كرامة, وإلى جانب المشكلة الرئيسة هذه برزت مشكلات أخرى من أهمها:-

١. استهداف هوية الأمة والحرص على ذوبان شخصيتها الحضارية، ومحاولة تغيير وجهتها عن مضامين رسالتها الربانية وأهدافها الحيوية.

٢. ضعف ثقة كثير من المسلمين بدينهم كمصدر قوة في عصر التقدم العلمي والثورة التكنولوجية والمتغيرات الدولية والمستجدات الحديثة.

٣. خطر التبعية التي تعيشها الأمة الإسلامية في الوقت الراهن في كل مجالات الحياة.

٤. كثرة العقبات التي تعترض طريق استقلالية الأمة، مع وفرة المعوقات التي تحول دون التحرر من أسبابها وآثارها.

وأجابت هذه الدراسة عن الأسئلة التالية:-

أ. ما مفهوم الاستقلالية لغة واصطلاحاً.

ب. ما مجالات الاستقلالية.

ج. ما أهمية الاستقلالية وآثارها في بناء شخصية الأمة المسلمة.

د. ما مقومات الاستقلالية.

هـ. ما مظاهر الاستقلالية في الجوانب العملية والقولية.

و. ما هي الأساليب النبوية في الدعوة إلى الاستقلالية ونبذ التبعية.

مجالات الدراسة:

إنّ موضوع استقلالية الأمّة في ضوء السنة النبوية, يتطلب الإحاطة بكلّ كتب الحديث الشريف, للوقوف على الهديّ النبويّ في تعميق جذور الاستقلالية وتأصيلها ونبذ التبعية, ولذا فإنّ هذه الدراسة ستتناول – بإذن الله عزّ وجل– هذا الموضوع، من خلال كتب الصحاح والسنن والمسانيد, فالدراسة تستمد مادتها العلمية من كتب السنة النبوية المعروفة، وكذلك كتب شروح الحديث وغريبها ، وكتب الأحكام المتعلقة بها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الرسالة إلى تحقيق الأهداف الآتية :

١. إبراز صورة الأمة الحقيقية، من خلال ما امتازت به من خصائص ذاتيه, ووظائف حيوية وأهداف سامية تسعى إلى تحقيقها.

٢. المحافظة على أصالة هذه الأمة الذاتية وثوابتها الأساسية, مع مواكبة المستجدات المتغيرة في العصر الحديث دون تمييع ثوابتها أو تغييرها.

٣. الرد المنطقي والمقنع على أعداء الأمة في محاولاتهم المتكررة والخبيثة في ضبط ثوابت الأمة ومرجعيتها.

٤. إعادة الثقة للمسلمين في دينهم، من خلال إدراك عظمة هذا الإسلام ودوره في بعث الأمة ودورها الحضاري في الدعوة لمضامين هذه الرسالة, وتحمل تبعاتها وتكاليفها على المستوى الحضاري.

٥. الموائمة بين الأصالة والحداثة في إعادة بناء مقدرات الأمة لتحقق هذه الأمة فاعليتها في العصر الراهن وتسترجع دورها الريادي والحضاري.

٦. التنبيه على أهمية عناصر التميز في الفكر الإسلامي وضرورة التزام المسلمين بها.

٧. الموازنة الدقيقة في إبراز أصالة الإسلام بأحكامه وقواعده, واستفادة المسلمين من وسائل التطور المعاصرة الحديثة, التي كان لكثير من المسلمين إسهام بارز في صنع حيثياتها في بلدان المسلمين وغيرها في العالم الغربي.

٨. مقاومة الهجمة الشرسة المعاصرة التي قاد لواءها أعداء الإسلام على الإسلام وأهله, واتهام المسلمين بالتخلف والقصور والتبعية, ومحاولاتهم المتكررة في إبراز الحضارة وتجسيدها على أنها من صنيعهم, وتوكيد تبعية المسلمين لهم.

٩. بيان مفهوم الاستقلالية ومجالاتها وأهميتها ومقوماتها, وكذلك إبراز مظاهر الاستقلالية في الجوانب العملية والقولية, وتوضيح الأساليب النبوية في الدعوة إلى الاستقلالية ونبذ التبعية

الدراسات السابقة:

لم أقف في حدود إطلاعي على دراسة شافية وافية مستوعبة لجميع جوانب هذا الموضوع وتفاصيله, على أنّ هناك العديد من الكتابات التي تناول باحثوها خطر التبعية والتشبه بالكفار, ولزوم اتباع الصراط المستقيم ومن أهمها:

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١. تميز الأمة مع دراسة نقدية لموقف المستشرقين منها: وهي رسالة دكتوراة لإسحاق السبيعي, عام ١٤٢٦ هجرية, في جامعة الامام محمد بن سعود, وقد بيّن في هذه الدراسة تعريف الثقافة واستقلاليتها, ووضح من خلال هذه الدراسة شمولية الإسلام من حيث النظرة والمبادئ والأحكام, معرجا على قضية الوعي بالهويّة, وتحصين المسلم من مخاطر الغزو الثقافي, إلا أنّ هذه الدراسة ركزت على الجانب الحديثي, بحيث تناولت الأحاديث النبويه في هذا الموضوع في كل جوانبه، وقد أظهرت دور السنة النبوية في استقلالية الامة فكانت دراسة تأصيلية من خلال النصوص الحديثية ودراسة بيانية، من خلال جوانب عظمة هذه الأمة, ودراسة نقدية في التشبه بالكفار, أمّا موضوع رسالتي فقد تناول الاستقلالية من جوانب شتى, للوقوف على حقيقة الاسلام, وتفرده وتميزه, فقد بينت الدراسة مفهوم الاستقلالية, ومجالاتها, ومقوماتها, وآثارها, والعديد من المسائل الهامة الأخرى.

٢. بعض مظاهر التشبه بالكفار واثرها في العصر الحديث وهي رسالة ماجستير في العقيدة في جامعة ام القرى عام ١٤٢٣ هـ, بيّن فيها الباحث العديد من مظاهر التشبه بالكفار في المعاملات والعبادات وغيرها من الجوانب, مشيراً إلى خطورة التشبه في مجال العقيدة حيث اتخذت هذه الدراسة الطابع النقدي, فقد ركزت على الجوانب السلبية لدى بعض الفرق والمذاهب الإسلامية ممن برز تاثرهم وتشبههم بالكفار, حيث دلّ على ذلك بالعديد من الأمثلة من واقع الأمة المعاصر, وامتازت رسالتي هذه بأنها تناولت الجانبين السلبي والإيجابي لهذه الأمة في العديد من المظاهر, ولم تقتصر على الجانب العقدي فقط.

٣. الاستنفار في غزو التشبه بالكفار, وهو كتاب لأحمد الصديق الغماري, حيث قام بجمع الأحاديث التي في الباب، ولكنه لم يأت عليها بالكلية, ومن جملة العناوين التي وردت في أبواب الكتاب, محاولات الكفار لإبادة الإسلام، وموالاة الكفار والتشبه بهم، وآثار التشبه بالكفار في البلاد الإسلامية وحاولت من خلال هذه الدراسة أنّ أقف على كلّ الأحاديث النبوية في هذا الموضوع, وحصرها من كتب السنة وبيان مضمونها نظرا وتحليلا مع الاستفادة من الجهود السابقة التي تناولت بعض جزيئات هذا الموضوع.

٤. الأمة من التبعية إلى الريادة معالم الأحياء الحضاري ، محمد محمد بدري، وفيه يذكر عددا من المعالم في طريق الأحياء, حيث بيّن في كتابه بشكل جليّ أهمية سلامة الوسائل للوصول إلى الأهداف المرجوة, فكانت دراسة جادة ومفيدة, ولم تكن غاية هذه الدراسة إبراز دور السنة النبوية وشمول الأحاديث النبوية لهذا الموضوع .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٥. كتاب مخالفة الكفار في السنة النبوية للدكتور علي عجين, وهو دراسة علمية تطبيقية في جمع الأحاديث النبوية التي فيها مخالفة للكفار في العقيدة والعبادات والمعاملات, فكانت هذه الدراسة تركز على الجوانب التي يختلف فيها المسلمون عن غيرهم من الملل والنحل, وهدفت هذه الدراسة إلى بيان مجالات التفرد عند المسلمين, والتركيز على شخصية الأمة الذاتية والمتفردة, ولم تقتصر هذه الدراسة على البحث الوصفي الاستقرائي, وإنما اعتمدت كذلك التحليل والاستنباط, ويبين ما عليه الكفار بشتى أنواعهم من معتقدات وعبادات وسلوك، ويبرز ما يقابله في ذلك عند المسلمين, ومع هذا فهو يذكر الأحاديث دون شرح, فهو كتاب جمع وتبويب وتخريج .

٦. كتاب (الولاء والبراء)، الدكتور محمد بن سعيد القحطاني, وقد وضح فيه الكاتب معنى الولاء والبراء, وبين من خلاله حقد الكفار على المسلمين وموالاتهم للمنافقين كما يذكر فيه صور موالاة الكفار.

منهجية البحث:

اعتمدت هذه الدراسة على جمع النصوص الحديثية من كافة مصادر الحديث النبويّ الشريف, وذلك من كتب الصحاح والسنن والمسانيد, وقمت بتحليل تلك النصوص واستخراج مضامينها وخاصة فيما يتعلق بخصوصية الأمة المسلمة على مستوى الفرد والجماعة, ولذا فإنّ المنهجية ستكون على النحو الآتي:

١. المنهج الاستقرائي: ويقوم على الاستقراء التام والبحث الشامل ما أمكن فيما يتعلق بمواضيع الاستقلالية ومخالفة الكفار سواءً ما كان ذلك من السنة القولية أو العملية من كتب السنة النبوية الشريفة.

٢. المنهج التحليلي: ويقوم على تحليل المادة العلمية تحليلاً شافياً دقيقاً, والنظر في متون الأحاديث وإبراز صور الاستقلالية والتفرد فيها.

إنّ منهجية البحث في استقراء المادة العلمية وتحليلها كان وفق النسق التالي:

- إذا تمّ الاستشهاد بآية قرآنية, فإنه يتم الإشارة إلى اسم السورة ورقم الآية في الهامش.
- إذا ورد الدليل من صحيحي البخاري ومسلم فإنّه يُكتفى بإيراد الدليل دون التعليق على صحته, باعتبارهما أصح الكتب بعد القرآن الكريم, ويتم الإشارة إلى الباب والكتاب الذى ورد الحديث ضمنه, وكذلك الجزء والصفحة ورقم الحديث.
- إذا ورد الدليل في غير الصحيحين فإنّي اتبعت التقليد في الحكم على صحة الحديث من كتب الحديث الشريف ممن حكم عليه من علماء الحديث القدامى والمعاصري

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

خطة الدراسة:

الفصل الأول: الاستقلالية مفهومها, ومقوماتها, وضرورتها.

المبحث الأول: مفهوم الاستقلالية في السنة النبوية.

المبحث الثاني: مجالات الاستقلالية في السنة النبوية.

المطلب الأول: الاستقلالية الفكرية

المطلب الثاني: الاستقلالية الاقتصادية

المطلب الثالث: الاستقلالية الاجتماعية.

المطلب الرابع: الاستقلالية السياسية

المبحث الثالث: أهمية الاستقلالية في السنة النبوية.

المطلب الأول: أهمية الأمة في السنة النبوية.

المطلب الثاني: شمول استقلالية الإسلام في السنة النبوية.

المبحث الرابع: مقومات الاستقلالية وخطورة تجاهلها.

المطلب الأول: مقومات الاستقلالية.

أولاً: العقيدة.

ثانياً: الجهاد في سبيل الله.

ثالثاً: اللغة العربية.

رابعاً: التاريخ.

المطلب الثاني: خطورة تجاهل مقومات الاستقلالية.

أولاً: خطورة تجاهل العقيدة.

ثانياً: خطورة تجاهل الجهاد في سبيل الله.

ثالثاً: خطورة تجاهل اللغة العربية.

رابعاً: خطورة تجاهل التاريخ.

المبحث الخامس: مظاهر الاستقلالية.

المطلب الأول: الاستقلالية في العبادات والتشريع.

المطلب الثاني: علاقة الشرائع السابقة في الإسلام.

المبحث السادس: آثار استقلالية الأمة على الفرد والأمة.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المطلب الأول: آثار الاستقلالية على الأمة.

أولاً: التخلص من التبعية وشعور الأمة بعزتها وكرامتها،

ثانيا: النهضة الحضارية ماديا ومعنويا.

ثالثا: إعادة دورها الريادي في قيادة الأمم.

المطلب الثاني: آثار استقلالية على الفرد المسلم.

أولاً: الثقة والاعتزاز بانتمائه إلى الأمة الإسلامية.

ثانياً: استقامة السلوك في جميع مجالات الحياة.

الفصل الثاني: الأقوام الذين أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- بمخالفتهم من غير المسلمين, ومظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث, وأثرها على المسلمين.

المبحث الأول: الأقوام الذين أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- بمخالفتهم من غير المسلمين .

المطلب الأول: أهل الكتاب (اليهود والنصارى).

المطلب الثاني: أهل الشرك والوثنية (المجوس والوثنيين).

المبحث الثاني: مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين .

المطلب الأول: مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث في الجانب الاعتقادي.

المطلب الثاني : مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث في العبادات.

المطلب الثالث :أثر التشبه بأهل الكتاب والكفار.

الفصل الثالث: الاستقلالية بين الانتفاع والتأثر من الأمم الأخرى

المبحث الأول: الانتفاع من الأمم الأخرى.

المطلب الأول: مجالات الانتفاع من الأمم الأخرى.

المطلب الثاني :التأصيل الشرعي من جواز الاستفادة من غير المسلمين في الجانب المادي.

المبحث الثاني: ضوابط التأثر بحضارة الأمم الأخرى.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المطلب الأول: الحصانة الفكرية.

المطلب الثاني: الحصانة الأخلاقية.

الخاتمة: فيها أهم النتائج والتوصيات.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الأول

الفـــصل الأول: الاســـتقلالية مفهومهـــا, ومقوماتهـــا, وضرورتها.

المبحث الأول: مفهوم الاستقلالية في السنة النبوية

المبحث الثاني: مجالات الاستقلالية في السنة النبوية.

المطلب الأول: الاستقلالية الفكرية

المطلب الثاني: الاستقلالية الاقتصادية

المطلب الثالث: الاستقلالية الاجتماعية.

المطلب الرابع: الاستقلالية السياسية

المبحث الثالث: أهمية الاستقلالية في السنة النبوية.

المطلب الأول: فضل الأمة في السنة النبوية.

المطلب الثاني: شمول استقلالية الإسلام في السنة النبوية.

المبحث الرابع: مقومات الاستقلالية وخطورة تجاهلها.

المطلب الأول: مقومات الاستقلالية.

المطلب الثاني: خطورة تجاهل مقومات الاستقلالية

المبحث الخامس: آثار استقلالية الأمة على الفرد والأمة.

المطلب الأول: آثار الاستقلالية على الأمة.

المطلب الثاني: آثار استقلالية على الفرد المسلم.

المبحث السادس: مظاهر الاستقلالية.

المطلب الأول: الاستقلالية في العبادات والتشريع.

المطلب الثاني: علاقة الشرائع السابقة في الإسلام.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول

مفهوم استقلالية الأمّة في السنة النبوية

المطلب الأول

استقلالية الأمّة لغة واصطلاحاً

أولاً:- الاستقلالية لغة واصطلاحاً.

١. الاستقلالية لغة.

"القاف واللام أصلان صحيحان، يدلُّ أحدهما على نَزَارة الشيء، والآخرُ على خلاف الاستقرار، وهو الانزعاج.

ويقال: استقلَّ القومُ، إذا مضَوا لمسيرهم، وذلك من الإقلال أيضاً، كأنهم استخفُّوا السَّير واستقلُّوه، والمعنى في ذلك كلّه واحد, وقولنا في القُلّة ما أقلّه الإنسان فهو من القِلّة أيضاً، لأنّه يقلُّ عنده"[١].

"استقل: ارتفع, يقال: استقل الطائر في طيرانه, واستقل النبات, واستقلت الشمس والقوم مضوا وارتحلوا, وفلان انفرد بتدبير أمره, يقال: استقل بأمره والدولة استكملت سيادتها وانفردت بإدارة شؤونها الداخلية والخارجية لا تخضع في ذلك لرقابة دولة أخرى"[٢].

٢. الاستقلالية اصطلاحاً.

لا شك أنّ مصطلح الاستقلالية لا يبعد كثيراً عن معناه اللغوي, مع بعض الإضافات التي تشكل بعض القيود لتوضيح معنى استقلالية الأمة, وبالإمكان أن يقال بأنّ الاستقلالية بهذا المعنى هنا: مجموعة المفاهيم التي يتفرد بها شعب من الشعوب أو أمة من الأمم بحيث تبدو من خلال هذه المفاهيم سمة التميز جلية واضحة في مختلف الجوانب وشؤون الحياة.

والاستقلالية تعني:"الاستكمال التام في السيادة والإنفراد بإدارة الشؤون الداخلية والخارجية, وعدم الخضوع لرقابة أية دولة أخرى"[٣].

ثانيا:- مفهوم الأمة في الاصطلاح.

ذكر الطبري في تفسير قوله تعالى: **"إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ"**

---

[١] ابن فارس :أحمد ، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السّلام محمد هَارُون ،اتحاد الكتاب العرب،٢٠٠٢م،ج ٥، ص: ١.
[٢] مصطفى: إبراهيم - وآخرون ، **المعجم الوسيط**، تحقيق، مجمع اللغة العربية ،ج ٢، ص: ٤٢٩.
[٣] المرجع السابق ج ٢، ص: ٤٢٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أي: "دينكم دين واحد"[1].

فالأمة الواحدة يجمعها رابطة العقيدة والدين, بغض النظر عن العرق والجنس واللون وذلك بما ذكر ابو عبيد القاسم عن ابن شهاب: "**أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب بهذا الكتاب : هذا كتاب من محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين ، من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم ، فحل معهم وجاهد معهم : أنهم أمة واحدة دون الناس : المهاجرون من قريش على ربعاتهم يتعاقلون بينهم الأولى ، وهم يفكون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين . ثم ذكر حديثا طويلا في المعاقل حدثنا أبو عبيد قال : وحدثني يحيى بن عبد الله بن بكير ، عن الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، مثل ذلك بطوله إلا أنه قال : على رباعتهم**". قال أبو عبيد : وهذا عندي هو المحفوظ[2].

والذي نخرج به مما سبق أنّ المراد باستقلالية الأمة هو:

ما تتفرد به الشعوب الإسلامية من مفاهيم وتصورات مستمدة من عقيدة الإسلام وأحكامه, بما يميزها عن غيرها من الشعوب في شتى مجالات الفكر, وما ينبثق عنه من سلوكيات وتصرفات.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

[1] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ، أبو جعفر الطبري, **جامع البيان في تأويل القرآن**, الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م, تفسير سورة الأنبياء, ج: ١٨, ص: ٥٢٣.

[2] أبو عبيد القاسم بن سلام : الأموال ،ج١،ص: ٤٧٩.

المبحث الثاني

مجالات الاستقلالية في السنة النبوية

المطلب الأول

الاستقلالية الفكرية

إنّ الاستقلالية الفكرية مجال من مجالات الاستقلالية الهامة لدى المسلمين, وتعني هذه الاستقلالية: تميز الأمة المسلمة في فكرها, ونتاج عقلها, عن غيرها من الأمم حيث تتخذ الأمة في هذا التميز طابعاً فريداً, حيث إنّ الفكر الإسلامي رباني المصدر ويحقق التوازن والشمول.

مفهوم الفكر الإسلامي.

لقد استعمل المفكرون من علماء الأمة الإسلامية في تناولهم للعديد من قضايا الأمة المسلمة العديد من المصطلحات مثل "**فكر إسلامي**" و "**تصور إسلامي**" وكذلك "**فكر ديني**" على اعتبار أنّ تلك المصطلحات كلها من نتاج العقل, وهي مصطلحات جديدة لم يكن لها حظ في الاستعمال في سلف الأمة, وعلى الرغم من اختلاف الألفاظ لكن معناها واحد, فهي وجوه عدة لعملة واحدة, وقد تناولهما كثير من المفكرين والعلماء بالبيان والتعريف.

فقد عرّف الدكتور صالح آل الشيخ **الفكر الإسلامي** بأنه "عمل المسلمين العقلي ونتاجهم الذهني، في سبيل خدمة الإسلام بيانًا ودفاعًا"[1].

ضوابط الفكر الإسلامي:

إنّ مجال الخوض والبحث في الفكر الإسلامي أمر في غاية الدقة, فالفكر الإسلامي المنضبط بضوابط الشرع, غير المخالف لقواعد الكتاب والسنة وأحكامهما ذو أهمية بالغة في إذكاء روح الخطاب في نفوس أبناء هذه الأمة, ومعالجة العديد من قضاياها ومشكلاتها, فلغة الفكر تجد قبولا لدى كثير من أبناء هذه الأمة, وقد حدد أهل العلم الفكر الإسلامي بعدد من الضوابط أهمها:

" ١. عدم تعارض العقل وتصادمه مع النصوص الصحيحة.

٢.عدم استعمال العقل في الأمور الغيبية, والتي يعدّ الوحي هو مصدر تلقيها.

---

[1] آل الشيخ: صالح, **نصائح وتوجيهات في العلم والدعوة**, ج ١١, ص: ٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣.تقديم النقل على العقل في الأمور التي لم تتضح حكمتها وهو ما يعرف بالأمور التوقيفية"[١].

مصادر المعرفة في الفكر الإسلامي

لقد أبدى الإسلام احترامه للعقل, وفتح المجال له للنظر والفكر, لكن هذا الاحترام لا يقدمه على النقل الصحيح والنصوص الشرعية الثابتة, **ومصادر المعرفة في الفكر الإسلامي** هي:

١. **النقل (الوحي من كتاب وسنة)**, وهو المصدر الوحيد والصحيح للأمور الغيبية، وما لا تستطيع أن تدركه الحواس، وما أعده الله في الدار الآخرة، وما أرسل من الرسل... إلخ.

٢. **العقل** وما يستطيع أن يصل إليه، من خلال ما تسعفه به الحواس والمعلومات التي يمكن مشاهدتها واختبارها، وما يلحق ذلك من عمليات عقلية، تعتمد في جملتها على ثقافة الفرد ومجتمعه ،وغير ذلك من المؤثرات.

وهكذا يظهر أنه لا بد من تكامل العقل والنقل في التعامل مع النصوص الشرعية، كل فيما يخصه وبالشروط التي حددها العلماء[٢].

ميادين الفكر الإسلامي ومجالاته:-

إنّ ميادين الفكر الإسلامي ومجالاته متعددة، فالفكر الذي يتم وفق الضوابط الشرعية، ومن منطلق العقيدة الإسلامية النقية, ويستند إلى نصوص الوحي في البحث والاجتهاد في مختلف مجالات الحياة, من الأهمية بمكان في معالجة العديد من قضايا الأمة ومشكلاتها, وبذلك تعددت مجالات الفكر الإسلامي لتستوعب العديد من الميادين الهامة في حياة الأمة المسلمة.

ويمكن حصر أهم ميادين الفكر الإسلامي فيما يلي:

"١. فهم نصوص الكتاب والسنة، واستنباط الأحكام والعبر والمواعظ.

٢. استنباط براهين الحق, ودلائل التوحيد, ومعجزات النبي -صلى الله عليه وسلم-, وغير ذلك من العقائد بالتدبر لآيات الله التنزيلية, والتفكر في آيات الله الكونية.

٣. بيان محاسن الإسلامي, وسلامة نظمه وتشريعاته من النقائص، وأنها هي المصلحة لحياة الناس.

---

[١] الندوة العالمية للشباب الإسلامي, **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**, إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني, الناشر : دار الندوة العالمية, ج ٢٦, ص: ٩.

[٢] انظر: **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**, , ج ٢٦, ص: ٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٤. الدفاع عن الإسلام وتفنيذ الشبهات المثارة حوله، وبيان بطلان الأفكار المنحرفة والأديان الضالة.

٥. استكشاف الأسرار التي وضعها الله في خلقه، وسخرها للإنسان، والانتفاع من ذلك في تسهيل حياة الناس، والرقي بها، وفي الإعداد لقوة المسلمين في كافة المجالات، ويدخل في ذلك العلوم المادية، كالفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، والطب، والأحياء، والصناعات المختلفة، والزراعة، والعلوم الاقتصادية والتجارية.

والفكر الإسلامي معني بتطهير هذه العلوم، مما أدرج فيها من الضلالات، بالإضافة إلى نقل المفيد منها، واستخدامه وتطويره.

٦. البحث والدراسة للنفس البشرية والنشاط الإنساني، وإقامته على مبادئ الإسلام ومسلماته، ويشمل ذلك علم النفس، وعلم الاجتماع وفروعها، والدراسات التاريخية، ونحوها.

٧. التفكر في الأمور الغيبية التي أخبر الله بها، كالموت وأحوال القبر، وما يجري يوم القيامة من أهوال، وصفات الجنة والنار، مما يفيد في إصلاح القلوب واندفاعها للخير، وارتداعها عن الشر، وعدم تماديها في الحرص على الدنيا"[1].

ميزات الفكر الإسلامي وخصائصه:-

إنّ التفكير الواعي الصحيح المنضبط بضوابط الشريعة الإسلامية، الذي لا تشوبه الآراء المنحرفة والأفكار المزيفة, والذي يتناول العديد من معضلات الحياة ومشكلاتها, له دور بارز في مخاطبة العقول وردها عن ضلالتها, فالحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أولى بها, فالفكر الإسلامي فكر عميق ومنهجي بدرجة تجعله مستغنيا عن الحاجة إلى استيراد أية أفكار أو مناهج أخرى ولدت في بيئة غريبة عليه، لكنه في حاجة إلى من يجتهد في استخراج دُرره، ويقدمها للمسلمين في صورة نقية خالصة من كل شائبة ليحسن الانتفاع به.

وللفكر الإسلامي خصائص عديدة تميزه عن غيره من الأفكار والثقافات أهمها:

١.الربانية.

إنّ الفكر الإسلامي رباني المصدر, فهو وحي من عند الله, لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه, قال الله تعالى:

﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[2].

---

[1] المرجع السابق, ج٢, ص: ٥٨٦.
[2] [البقرة, ١٣٨].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أخرج الترمذي في (سننه) من حديث أبي بن كعب، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال له: "**إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) فَقَرَأَ فِيهَا: إِنَّ ذَاتَ الدِّينِ عِنْدَ اللهِ الْحَنِيفِيَّةُ الْمُسْلِمَةُ لاَ الْيَهُودِيَّةُ، وَلاَ النَّصْرَانِيَّةُ، مَنْ يَعْمَلْ خَيْرًا فَلَنْ يُكْفَرَهُ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ: وَلَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ مَالٍ لاَبْتَغَى إِلَيْهِ ثَانِيًا، وَلَوْ كَانَ لَهُ ثَانِيًا لاَبْتَغَى إِلَيْهِ ثَالِثًا، وَلاَ يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ**"[1].

إنّ التصور الإسلامي رباني المصدر، موحى به من عند الله سبحانه وتعالى, جاء من عند الله بكل خصائصه ومقوماته، وبهذه الخاصية جاء متميزاً عن كلّ التصورات الفلسفية، والأفكار البشرية التي ينشئها الفكر البشري الناقص[2].

٢. الثبات.

قال الله تعالى:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3].

أخرج الترمذي في (سننه) من حديث العرباض بن سارية، قال:" **وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم– يَوْمًا بَعْدَ صَلاَةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلاَلَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**"[4].

"وقوله –صلى الله عليه وسلم–: "**فمن يعِشْ منكم بعدي، فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلفاء الرَّاشدين المهديِّين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنواجذ**", هذا إخبار منه –صلى الله عليه وسلم– بما سيقع في أمته بعده من كثرة الاختلاف في أصول الدين وفروعه، وفي الأقوال والأعمال والاعتقادات، وهذا موافق لما روي عنه من افتراق أمته على بضع وسبعين فرقة، وأنها كلها في النار إلا فرقة واحدة، وهي من كان على ما هو عليه

---

[1] محمد بن عيسى الترمذي ، **سنن الترمذي** ,كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, باب مناقب معاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبي ، وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم, حديث رقم: ٣٧٩٣, قال الترمذي: حديث حسن صحيح، ج٦, ص: ٩١٧.

[2] انظر: قطب :سيد, **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**, , ج ١, ص: ٤٧.

[3] [سورة الروم, ٣٠].

[4] محمد بن عيسى الترمذي ،**سنن الترمذي** ,كتاب العلم , باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع, حديث رقم: ٢٦٧٦, قال الترمذي: حديث حسن صحيح، ج١, ص: ٦٦٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأصحابه، وكذلك في هذا الحديث أمر عند الافتراق والاختلاف بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، والسنة هي الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديما لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله ، وروي معنى ذلك عن الحسن والأوزاعي والفضيل بن عياض"[1] .

"إن الثبات في مقومات التصور الإسلامي وقيمه – فضلاً على أنه امتداد للنظام الكوني– هو الذي يضمن للحياة الإسلامية خاصية (الحركة داخل إطار ثابت حول محور ثابت) فيضمن للفكر الإسلامي وللحياة الإسلامية مزية التناسق مع النظام الكوني العام، ويقيه شر الفساد الذي يصيب الكون كله لو اتبع أهواء البشر، بلا ضابط من قاعدة ثابتة لا تتأرجح مع الأهواء.

وهو الذي يقي الفكر الإسلامي, ويقي المجتمع الإسلامي مثل تلك اللوثة في الفكر الماركسي وفي الجماعة الشيوعية, وهي اللوثة ذاتها التي أصابت الفكر الغربي والمجتمعات الغربية بصفة عامة – حتى وهي تعارض الماركسية من الناحية المذهبية والسياسية – وذلك منذ أفلتت من نطاق العقيدة، في ظل تلك الملابسات النكدة.

وهو الذي يبث الطمأنينة في الضمير المسلم، وفي المجتمع المسلم, الطمأنينة إلى ثبات الإطار الذي تتحرك فيه حياته، وثبات المحور الذي تدور حياته حوله, فيشعر أن حركته إلى الأمام ثابتة الخطو، موصولة الخيط، ممتدة من الأمس إلى اليوم إلى الغد, نامية مطردة النمو صاعدة في المرتقى المرسوم، بالتقدير الإلهي القويم"[2].

٣. الشمول.

قال الله تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[3].

إنّ الفكر الإسلامي شامل في تحديده للإطار العقيدي والسلوكي للإنسان, وهو شامل في تناوله للأمور ،من جميع زواياها وأطرافها ،وجميع مقوماتها وأسبابها, وهو شامل ،فلا يترك جزئية من جزئيات الحياة إلا ويكون له إزاءها تصور وحكم.

---

[1] ابن رجب الحنبلي, **جامع العلوم والحكم بشرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**, تحقيق: ماهر ياسين فحل, الحديث الثامن والعشرون, ج ٢٨, ص: ١٥.
[2] قطب: سيد, **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**, ج ١, ص: ٨٢.
[3] [سورة يس, ١٢].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قـــال الله تعـــالى:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1].

أخرج الطبراني في (المعجم الكبير) من حديث أبي ذر، قال: "**تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ، وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ، إلا وَهُوَ يُذَكِّرُنَا مِنْهُ عِلْمًا، قَالَ: فَقَالَ: -صلى الله عليه وسلم-: "مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ، إلا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ**"[2].

"وهي كذلك ناشئة من طبيعة الخاصية الأولى خاصية أنه رباني، من صنع الله لا من صنع الإنسان, والشمول طابع الصنعة الإلهية الأصيل, وتتمثل خاصية الشمول التي يتسم بها هذا التصور في صور شتى:

إحدى هذه الصور وأكبرها: رد هذا الوجود كله بنشأته ابتداء، وحركته بعد نشأته، وكل انبثاقة فيه، وكل تحور وكل تغير وكل تطور, والهيمنة عليه وتدبيره وتصريفه وتنسيقه إلى إرادة الذات الإلهية السرمدية الأزلية الأبدية المطلقة هذه الذات المريدة، القادرة، المطلقة المشيئة، المبدعة لهذا الكون، ولكل شيء فيه ولكل حي، ولكل حركة، وكل انبثاقة، وكل تحور، وكل تغير، وكل تطور بقدر خاص, وكل انبثاق وليد"[3].

٤. التوازن.

إنّ التوازن في حياة المسلم ضرورة حتمية، يتمكن المسلم من خلاله توزيع الحقوق والواجبات ،كل حسب استحقاقه ومكانته, فالتوازن في توزيع الحقوق والواجبات يعدّ ميزة فريدة، تميز بها الفكر الإسلامي الواعي المنضبط.

أخرج مسلم في (صحيحه) من حديث يحيى قال:" **انْطَلَقْتُ أَنَا وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ حَتَّى نَاتِيَ أَبَا سَلَمَةَ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِ رَسُولاً فَخَرَجَ عَلَيْنَا وَإِذَا عِنْدَ بَابِ دَارِهِ مَسْجِدٌ قَالَ: فَكُنَّا فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى خَرَجَ إِلَيْنَا, فَقَالَ: إِنْ تَشَاءُوا أَنْ تَدْخُلُوا, وَإِنْ تَشَاءُوا أَنْ تَقْعُدُوا هَا هُنَا, قَالَ: فَقُلْنَا: لاَ بَلْ نَقْعُدُ هَا هُنَا فَحَدِّثْنَا, قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضى الله عنهما قَالَ: كُنْتُ أَصُومُ الدَّهْرَ وَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ, قَالَ: فَإِمَّا ذُكِرْتُ لِلنَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- , وَإِمَّا أَرْسَلَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ, فَقَالَ لِي: "أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ"؟, قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَلَمْ أُرِدْ بِذَلِكَ إِلاَّ الْخَيْرَ, قَالَ:" فَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ",**

---

[1] [سورة المائدة: ٣]

[2] أبو القاسم الطبراني, **المعجم الكبير** , مكتبة العلوم والحكم – الموصل, ط٢ ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣,تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي, باب الجيم, جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري رضي الله عنه, ج ٢, ص: ١٥٥, حديث رقم: ١٦٤٨, ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ١٨٠٣, ج ٤, ص: ٤١٦.

[3] , سيد قطب: **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**, , ج ١, ص: ١٠١-١٠٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قُلتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّى أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ, قَالَ: "فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا, وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا, وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا, قَالَ: فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ نَبِيِّ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-, فَإِنَّهُ كَانَ أَعْبَدَ النَّاس, قَالَ: قُلتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَمَا صَوْمُ دَاوُدَ؟ قَالَ: "كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا" قَالَ: "وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِى كُلِّ شَهْرٍ" قَالَ: قُلتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّى أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: "فَاقْرَأْهُ فِى كُلِّ عِشْرِينَ" قَالَ: قُلتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّى أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ, قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِى كُلِّ عَشْرٍ, قَالَ: قُلتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّى أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ, قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِى كُلِّ سَبْعٍ وَلاَ تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ, فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا, وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا, وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا, قَالَ: فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَىَّ, قَالَ: وَقَالَ لِىَ النَّبِىُّ -صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّكَ لاَ تَدْرِى لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمْرٌ" قَالَ: فَصِرْتُ إِلَى الَّذِى قَالَ لِىَ النَّبِىُّ -صلى الله عليه وسلم-, فَلَمَّا كَبِرْتُ وَدِدْتُ أَنِّى كُنْتُ قَبِلْتُ رُخْصَةَ نَبِىِّ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-"[1].

إن التوازن شامل في حياة المسلم ، فالتوازن في مقوماته، والتوازن في إيحاءاته, وهي تتصل بخاصية الشمول, فهو تصور شامل, وهو شمول متوازن, وقد صانته هذه الخاصية الفريدة من الاندفاعات هنا وهناك، والغلو هنا وهناك، والتصادم هنا وهناك, هذه الآفات التي لم يسلم منها أي تصور آخر, سواءً التصورات الفلسفية، أو التصورات الدينية التي شوهتها التصورات البشرية، بما أضافته إليها، أو نقصته منها، أو أوّلته تأويلاً خاطئاً، وأضافت هذا التأويل الخاطئ إلى صلب العقيدة[2].

٥. الإيجابية.

إنّ الفكر الإسلامي يتسم بالإيجابية الفاعلة في تحديد علاقة الإنسان بالله سبحانه وتعالى،وكذلك بالكون والحياة, فالإنسان في التصور الإسلامي يتعامل مع خالقه, وأنّ الأمر يرجع إليه كله فكل شيء بإرادته وعلمه وتقديره وتدبيره, و القرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة في غير موضع.

---

[1] مسلم بن الحجاج النيسابوري, صحيح مسلم, الناشر : دار الجيل بيروت ، دار ابن الهيثم ، القاهرة،ط١، ٢٠٠١،كتاب الصيام, باب النهى عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم, حديث رقم: ١٨٢، ج ١, ص: ٢٧٧.

[2] انظر : قطب: سيد, خصائص التصور الإسلامي ومقوماته, , ج ١, ص: ١٢٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قال تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [1].

أخرج البخاري في (صحيحه)، من حديث عبيدة عن عبد الله –رضي الله عنه– قال: "جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: **"يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ, وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ, وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ, وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ, وَسَائِرَ الخَلاَئِقِ عَلَى إِصْبَعٍ, فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ, فَضَحِكَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ"** [2].

٦. الواقعية.

إنّ الإسلام يتعامل مع أتباعه بواقعية ومثالية, بعيدة عن المظاهر والأشكال, فلم تكن الصورة والشكل في نظر الشارع الحكيم محط نظر, يتم الحكم من خلالهما على حسن الباطن وسلامته, بل العبرة بسلامة الباطن وصلاح الأعمال, وهذه ميزة فريدة للفكر الإسلامي.

أخرج مسلم في (صحيحه) ،من حديث أبى هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: **"إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ"** [3].

٧. المرونة.

إنّ الفكر الإسلامي يتميز بالمرونة التي لا يخرج بها المسلم عن دائرة المشروع, فالمرونة داخل حدود المباح, وما اختيار الأيسر والأسهل عند تعدد الخيارات المباحة إلا دليل على يسر الدين ومرونة الفكر الإسلامي.

أخرج البخاري في (صحيحه) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: **"مَا خُيِّرَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْثَمْ, فَإِذَا كَانَ الإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ, وَاللَّهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ"** [1]

---

[1] [الأعراف ٥٤]

[2] محمد بن إسماعيل البخاري ،**صحيح البخاري** ,كتاب التفسير، باب قوله " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ" حديث رقم: ٤٨١١ ،ج ١, ص: ٦٧٩.

[3] مسلم بن الحجاج النيسابوري, ،**صحيح مسلم** , كتاب البر والصلة والآداب, **باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله**, , رقم الحديث:٦٧٠٨، ج ١, ص: ٦٥٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثاني

الاستقلالية الاقتصادية

إنّ النظام الاقتصادي الإسلامي بكل أساسياته وفروعه جزء من النظام الإسلامي الشامل ، لا ينفك عنه, ولا يقوم منفرداً عنه, ويرتبط ارتباطا وثيقا بالعقيدة, وذلك ما يميز الاقتصاد الإسلامي عن غيره من الأنظمة القديمة والمعاصرة, وهذا الاقتصاد يمثل دوماً عصب الحياة وسر ديمومتها فتأثيره واضح جليّ في الإنسان في جميع أحواله الفكرية والدينية والسلوكية، ويؤثّر كذلك في الأمة من جميع نواحيها العسكرية والسياسية والاجتماعية والفكرية، فالاقتصاد القوي القائم على أسس سليمة متينة مدعاة للعطاء والنشاط وسيادة الأمة وقوتها, وعلى النقيض من ذلك فالاقتصاد الضعيف الهزيل سبيل للركود والخمول وضعف الأمة وتخلفها.

والذي نعنيه بالاستقلالية الاقتصادية هو: تحقيق التنمية المستقلّة التي تقوم على أسس شرعية لدى المجتمع المسلم, و نفي التبعية الاقتصاديّة للأجنبي, وسيطرةَ المجتمع المسلِم على مقدّرات بلاده الاقتصاديّة دون تدخّل أجنبيّ.

ملامح الاقتصاد الإسلامي وخصائصه:

إنّ النظام الاقتصادي الإسلامي يمثل طريقا متميزا لبناء الأمة وعلى نحو يفوق في دقته وروعته أي نظام اقتصادي آخر, فهو يستند إلى المبادئ التي جاء بها القرآن الكريم والسنة المطهرة, ولقد حرص الإسلام على تحقيق الاستقلال الاقتصاديّ والتنمية المستقلة عند المسلمين ليكون هذا المجتمع الإسلامي أكثر تحرراً من التبعية التي تقوده إلى الذل والهوان.

ولعل من أهم مميزات الاقتصاد الإسلامي:

١. إنّ المال في الاقتصاد الإسلامي مال الله، والناس عباد الله مستخلفون في هذا المال[٢].

قال تعالى:﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ

---

[١] محمد بن إسماعيل البخاري ،صحيح البخاري , كتاب الحدود وما يحذر منها, باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله, , حديث رقم: ٦٧٨٦، ج ١, ص: ٩٣٤.

[٢] انظر: قطب :سيد, **في ظلال القرآن**, سورة النور, ج ٥, ص: ٤٩٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

وقال تعالى:﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[2], فالناس مؤتمنون على المال ومستخلفون فيه.

"وما دام المال مال الله، أعطاه رزقاً لبعض عباده، فالله صاحب المال الأول قد قرر قسماً منه لفئات من عباده، يؤديها إليهم من يضع يده على ذلك المال, ومن ثم سماها حقاً, ويذكر هنا من هذه الفئات "ذا القربى والمسكين وابن السبيل", ولم تكن الزكاة بعد قد حددت ولا مستحقوها قد حصروا, ولكن المبدأ كان قد تقرر, مبدأ أنّ **المال مال الله**، وأنّ لفئات من المحتاجين حقاً فيه ، يصل إليهم عن طريق واضع اليد على هذا المال, وهذا هو أساس النظرية الإسلامية في المال, وإلى هذا الأساس ترجع جميع التفريعات في النظرية الاقتصادية للإسلام, فما دام **المال مال الله**، فهو خاضع إذن لكل ما يقرره الله بشأنه بوصفه المالك الأول، سواء في طريقة تملكه أو في طريقة تنميته، أو في طريقة إنفاقه , وليس واضع اليد حراً في أن يفعل به ما يشاء"[3] .

أخرج الترمذي في سننه من حديث خَوْلَة بِنْتَ قَيْسٍ وَكَانَتْ تَحْتَ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَقُولُ: **"إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ مَنْ أَصَابَهُ بِحَقِّهِ بُورِكَ لَهُ فِيهِ وَرُبَّ مُتَخَوَّضٍ فِيمَا شَاءَتْ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ مَالِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَيْسَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا النَّارُ"**[4].

إنّ لهذه الميزة وهذه الخاصية من خصائص الاقتصاد الإسلامي آثاراً عديدة تعود بالنفع على الفرد, وعلى المجتمع المسلم بأسره أهمها:

أ. إذا أيقن المسلم أن المال مال الله تعالى، يقسمه الله بين عباده كيف شاء, يبسطه لفئة, ويقدره على آخرين, فإنه لا يجزع لفوات شيء منه، ولا تتطلع نفسه إلى ما ليس له، ويرضى بما قدر الله عليه فيه, وينفقه في المخارج التي أمر الله بها.

---

[1] [سورة النور,: ٣٣]

[2] {سورةالحديد٧].

[3] سيد قطب, **في ظلال القرآن**, سورة النور, ج ٥, ص: ٤٩٢.

[4] محمد بن عيسى الترمذي ،**سنن الترمذي** ، كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب اخذ المال،حديث رقم:٢٣٧٤، قالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، ج١،ص:٥٩٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب. إنّ المسلم يتصرف في المال تصرف الوكيل فهو مستخلف فيه، وقد يعزله الموكل إما بالموت، أو بالفقر، أو بغيرها من الأسباب, فهذا المال ليس للمخلوقين, وإنما هو لله الخالق وحده, والخلق مستخلفون فيه مدة محددة لا نعلم أمدها ومنتهاها, وهذا يقوده إلى حسن المراقبة والخشية من الوكيل.

ج. إنّ يقين المسلم أنّ المال لله وحده يجعل تعلقه بالمال ظاهرياً, وهذا يدفعه إلى استثماره في الصالح العام, وهذا الاستثمار هو جزء من النظام الاقتصادي للمجتمع المسلم.

٢. الاقتصاد الإسلامي جزء من نظام الإسلام الشامل ويرتبط بالعقيدة ارتباطاً وثيقاً.

إنّ أهم ما يميز الاقتصاد الإسلامي هو ارتباطه التام بدين الإسلام عقيدة وشريعة, فهو جزء من شريعة الإسلام, ودين الإسلام هو نبعه الزلال الذي يرتوي منه, بعكس أنظمة الاقتصاد الوضعية التي تنفصل تماماً عن الدين.

إنّ العقيدة الإسلامية هي المهيمنة في الفكر الاقتصادي الإسلامي، وفي منهج الاقتصاد ووسائله وأهدافه، فالمستثمر المسلم يسير في استثماره على منهج الله تعالى، وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم–, ولا يخالف الشريعة الإسلامية بحال[١].

فإذا كان هذا الارتباط الوثيق بين الاقتصاد الإسلامي وبين نظام الإسلام الشامل ، ارتباطاً لا ينفك بحال, فإنه يترتب على هذا الارتباط الأمور التالية[٢]:

أ. إنّ سمة النشاط الاقتصادي في الإسلام هي سمة تعبدية.

ب. إنّ أيّ نشاط اقتصادي يمارسه المسلم كالعمل والاستثمار وغير ذلك من الممارسات الاقتصادية, يمكن أن يتحول إلى عباده إذا قصد الفاعل بفعله وجه الله سبحانه وتعالى, وهذا ورد في السنة في وجوه مختلفة ومتعددة منها:

- نفقة المسلم على أهل بيته.

أخرج البخاري في (صحيحه) من حديث أبي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ, عَنْ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ: **"إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً"**[٣].

- التيسير على المعسر هو جزء من نشاط اقتصادي يمارسه المسلم.

أخرج مسلم في (صحيحه) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: **"مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ, وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ, وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ**

---

[١] انظر: ناصر بن محمد الأحمد, **معالم الاقتصاد الإسلامي**, ج ١, ص:٨-١٥.
[٢] المرجع السابق , ج ١, ص:٨- ٩.
[٣] ، محمد بن إسماعيل البخاري ، **صحيح البخاري** ،كتاب النفقات، بَابُ فضل النفقة على الأهل، حديث رقم: ٥٣٥١، ج١, ص: ٧٦٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ, وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ, وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ, وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ, يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ, وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ, إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ, وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ, وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ, وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ"[1].

إنّ التيسير على المعسر, وتنفيس الكربة عن المؤمن هو جزء من ممارسة نشاط اقتصادي يمارسه المسلم, وقد اتخذ طابعاً تعبدياً, بما رتب الله له من الجزاء الأوفى في الدنيا والآخرة.

ج. إنّ للنشاط الاقتصادي في الإسلام هدفاً سامياً وهو اعمار الأرض.

إنّ النشاط الاقتصادي لا يسعى فقط إلى النفع المادي فقط كما هو شأن الأنظمة الاقتصادية الوضعية, بل يعتبر النفع المادي وسيلة لتحقيق غاية أكبر ألا وهي إعمار الأرض لتكون ملائمة للجنس البشري, وكل ذلك امتثالاً لأوامر الله عزّ وجلّ, فالإسلام يدعو إلى إعمار الأرض والسير في مناكبها، وأن ينال الإنسان نصيبه منها، وهذه الأفعال جملة من النشاطات الاقتصادية, ولكنها غير مقصودة لذاتها, بل يجعل ذلك كله طريقاً إلى الدار الآخرة وينال المسلم عليها المثوبة والأجر.

أخرج أحمد في مسنده من حديث أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: **"إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ"**[2].

"تهدف النظم الاقتصادية الوضعية من الرأسمالية والاشتراكية إلى تحقيق النفع المادي وحده لأتباعها، ذلك هو هدفها, وكان من نتيجة ذلك تلك المنافسة الطاحنة التي تدور وتدور رحاها بين معسكرات الدول المختلفة بقصد السيطرة الاقتصادية، واحتكار الأسواق ومصادر المواد الخام في البلاد المختلفة, هذه المنافسة هي التي أدت إلى الحربين العالميتين الأولى والثانية، وهي التي تهدد العالم الآن بحرب نووية ثالثة بين المعسكرين الرأسمالي والشيوعي.

فإذا كان النشاط الاقتصادي في ظل الاقتصاد الإسلامي يسعى إلى النفع المادي، فهو لا يسعى إليه وحده، ولا يستهدفه كغاية في حد ذاته، وإنما يعتبره وسيلة لغاية أكبر وهدف أسمى، وهو إعمار الأرض وتهيئتها للعيش الإنساني امتثالاً لأمر الله, قال تعالى:﴿ يَاأَيُّهَا

---

[1]: مسلم بن الحجاج النيسابوري ، **صحيح مسلم** ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر, حديث رقم: ٢٦٩٩، ج ١, ص: ٦٨٤.

[2] أحمد بن حنبل الشيباني, **مسند الإمام أحمد بن حنبل**, تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون, الناشر: مؤسسة الرسالة, ط٢، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م, ج ٢٠, ص: ٢٩٦, حديث رقم: ١٢٩٨١, تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾[1].

د. الرقابة على ممارسة الأنشطة الاقتصادية في الإسلام رقابة ذاتية.

فالاقتصاد الإسلامي مبني على أساس ديني وخلقي، لا تحفه الأهواء, ولا تعتريه الشهوات, فهي تنبع من ضمير المسلم وتقوم على فكرة الإيمان بالله والخوف من الحساب والجزاء في اليوم الآخر, بينما الرقابة في ظل الأنظمة الوضعية الأخرى تخضع للسلطة العامة, أو أية سلطة رقابية أخرى.

٣. الاقتصاد الإسلامي يحقق التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة.

"فالاقتصاد الإسلامي في ظل الإسلام يعترف بكل من مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة, ولا يفترض أو يصطنع تعارضاً بينهما, فالإسلام يعترف بالملكية الفردية وفي الوقت نفسه يعترف بالملكية الجماعية, وكذلك يعترف بالحرية الفردية والجماعية على حد سواء ولا يقيد أيّ منهما إلا إذا أضرت إحدى الحريتين بالأخرى"[2].

"فالنظام الاقتصادي الرأسمالي ينظر إلى الفرد على أنه محور الوجود والغاية منه، ومن ثم فهو يهتم بمصلحته ويقدمها على مصلحة الجماعة كلها[3].

والنظام الاقتصادي الاشتراكي على العكس من النظام الرأسمالي، يقدم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد، بل هو يضحي تماماً بمصلحة الفرد في سبيل مصلحة الجماعة، وبناء على ذلك فقد ألغى النظام الملكية الفردية لأدوات الإنتاج إلغاءً تاماً، كما ألغى الحرية الاقتصادية الفردية واستبدل بهما الملكية العامة والحرية الاقتصادية العامة، أي ملكية الجماعة وحريتها.

أما الاقتصاد الإسلامي فهو لا يفترض مقدماً أن هناك تعارضاً بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، ويقوم على رعاية المصلحتين معاً، ومحاولة تحقيق التوازن بينهما، فيعترف بالملكية الفردية، ويعترف كذلك في نفس الوقت بالملكية الجماعية، فلا يلغي أياً منهما في سبيل الأخرى، فيعترف للفرد بحريته، ولكنه لا يغالي في ذلك إلى حد إطلاقها بغير قيود مما يضر بالجماعة .

---

[1] [البقرة ١٦٨]

[2] ناصر بن محمد الأحمد, **معالم الاقتصاد الإسلامي**, ج ١, ص: ٩.

[3] المرجع السابق, ج ١, ص: ٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما إذا كان هناك تعارض بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة وتعذر تحقيق التوازن، أو التوفيق بينهما، فإن الإسلام يقدم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد"[1].

لقد وازن الإسلام بين الملكيتين الفردية والجماعية, ولم يصطنع تعارضاً بينهما, من خلال الاعتراف بهما, ووضع الشروط المنضبطة التي تنظمهما في أطار مشروع محكم[2].

أ. اعتراف الإسلام بالملكية الفردية.

إنّ من أهم الأسس التي يقوم عليها الاقتصاد الإسلامي صيانته للملكية الفردية وحمايتها ضد أي اعتداء، ما دام أن تحصيلها قد تم عن طريق مشروع، وقد قرر الله تعالى هذه الحماية في كتابه الكريم في غير موضع, فحق التملك حق شخصي تقره الشريعة الغراء، ضمن ضوابط شرعية وقيود عادلة, وذلك بعدم تكديس المال وتجميعه واحتكاره، وتأدية حق الله فيه, وفي هذا ميزة يتميز بها الفكر الاقتصادي الإسلامي عن غيره من الأنظمة الوضعية, فالمال في نظر الإسلام وسيلة لا غاية.

قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾[3].

أخرج البخاري في (صحيحه)، من حديث أبي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ, قالَ" خَطَبَنَا النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- يَوْمَ النَّحْرِ, قالَ: **"أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ, فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ, قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟ قُلْنَا: بَلَى, قَالَ: أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ, فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ, فَقَالَ: أَلَيْسَ ذُو الْحَجَّةِ؟ قُلْنَا: بَلَى, قَالَ: أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؟ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ, قَالَ: أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الْحَرَامِ؟ قُلْنَا: بَلَى, قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ, كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا, فِي شَهْرِكُمْ هَذَا, فِي بَلَدِكُمْ هَذَا, إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ, أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ, قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ, فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ, فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ, فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ"**[4].

---

[1] المرجع السابق, ج ١, ص: ١٠-١٢.

[2] انظر: سيد قطب:في ظلال القرآن،ج٥،ص:٥٧٩، والفِقْهُ الإسلاميُ وأدلتُهُ, ج ٧, ص: ١٠، ناصر بن محمد الأحمد, معالم الاقتصاد الإسلامي, ج ١, ص: ٩.

[3] [سورة النساء٢٩]

[4] محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري ،كتاب الحج، بَابُ الخطبة أيام منى، حديث رقم: ١٧٤١، ج ١, ص: ٢٣٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب. الاعتراف بالملكية الجماعية.

لقد أقرّ الإسلام الملكية العامة للدولة في الأموال التي تتعلق بها حاجات الأمة، وما فيه مصلحة عامة، ومثاله مصادر الثروة، والموارد الطبيعية, كذلك أقرّ الإسلام الملكية الجماعية بما فيه منفعة للمسلمين عامة, ولا يتعلق بملكية فردية.

أخرج أبو داود في (سننه) من حديث أبي خِدَاشٍ – وَهَذَا لفظُ عَلِيٍّ – عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–, قَالَ: **غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– ثَلاثًا أَسْمَعُهُ يَقُولُ: " الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلاثٍ, فِي الْكَلإِ وَالْمَاءِ وَالنَّار"**[1].

فهذه تعد مرافق عامة وضرورية لحياة الجماعة, ولهم الحق في الانتفاع بهاو وتملك ما يشاءون من كلأها وماءها و ونارها.

٤. النظام الاقتصادي الإسلامي يدعو إلى تنمية المال بوسائل الكسب المشروع.

إنّ وسائل الكسب المشروع في ظل الاقتصاد الإسلامي عديدة ومتنوعة وأهمها:

أ. الدعوة إلى العمل المباشر.

فالمسلم عليه أن يعمل في أية حرفة, ما دامت وسيلة الكسب مشروعة, وإن كانت في نظر الناس محتقرة, وقد رفع الإسلام العمل إلى مرتبة جعلها معها نوعا من الجهاد.

قال الله تعالى:﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

أخرج البخاري في (صحيحه) من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ, أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ: **"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ"**[3].

---

[1] ، أبو داود السجستاني, **سنن أبي داود واللفظ** ،له كتاب الإجارة, باب في منع الماء, , حديث رقم: ٣٤٧٧، ج ١, ص: ٥٧٢, قال الألباني: صحيح.

[2] [سورة المزمل,: ٢٠]

[3] محمد بن إسماعيل البخاري ،**صحيح البخاري** ،كتاب البيوع، بَابُ كسب الرجل وعمل يده, حديث رقم: ٢٠٧٤، ج ١, ص: ٢٧٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأخرج البخاري أيضاً في (صحيحه) من حديث المِقْدَام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قالَ: **"مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ"**[1].

"إنّ الإسلام يقر الملكية الفردية ويحترمها، تجاوباً مع فطرة الإنسان وغريزة التملك والاقتناء، فطلب الغنى ليس محرماً في ذاته، ولكن يشترط أن يتخذ الإنسان وسائل الكسب المشروعة له، ومن أهمها وأشرفها العمل، ومن أفضل الأعمال إحياء الأرض الموات التي لا مالك لها واستثمارها.

وإذ يجيز الإسلام التملك بدون عمل عن طريق الإرث أو الوصية أو الهبة، فما ذلك إلا لأن الوارث امتداد لشخصية المورث، وأما الوصية أو الهبة ونحوهما من التبرعات فهي أثر لحرية الإنسان في التصرف، وتشجيع على أعمال البر والخير وعمل المعروف الذي يدعم فريضة الزكاة، ويغطي نواحي الحاجة والنقص أو الحالات التي لا تصرف فيها الزكاة، مع توافر بعض المقتضيات الإنسانية لها"[2].

ويترتب على حث الإسلام على العمل المباشر العديد من الآثار تعود بالنفع على الفرد وعلى المجتمع المسلم بأسره أهمها[3]:

- القضاء على البطالة, وإشراك الفرد في النشاط الاقتصادي في المجتمع بحيث يكون عضواً فاعلاً لا عالة على غيره.
- شيوع الأمن في المجتمع واستقراره, فأفراده منشغلون بأعمالهم يجدون كفايتهم وحاجتهم.
- سعادة الفرد والشعور بالطمأنينة والأمن.
- تماسك المجتمع المسلم وزيادة ترابطه وقوة أواصره.

ب. إحياء الأرض الموات.

كما أنّ إحياء الموات من الأرض التي لا مالك لها بأية وسيلة من وسائل الإحياء من وسائل تنمية المال بوسائل الكسب المشروع.

أخرج أبو داود في (سننه) من حديث سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ عَنِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– قال **"مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ وَلَيْسَ لِعِرْقِ ظَالِمٍ حَقٌّ"**[1].

---

[1] محمد بن إسماعيل البخاري ،**صحيح البخاري** ،كتاب البيوع، بَابُ كسب الرجل وعمل يده, حديث رقم: ٢٠٧٢، ج ١, ص: ٢٧٤.
[2]: وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ, **الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ**, دار الفكر- سوريّة- دمشق, ج ٧, ص: ٤٤.
[3] انظر: وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ, **الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ**, , ج ٧, ص: ١٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٥. المنافع العامة في الاقتصاد الإسلامي مقدمة على المنافع الخاصة.

فهي من أخص خصائص وميزات الاقتصاد الإسلامي، التي تميزه عن الأنظمة الاقتصادية العالمية، فهدف الأنظمة غير الإسلامية وغايتها إنما هي المنفعة الشخصية فحسب، بل إنها مقدمة على المصالح العامة، بعكس الإسلام الذي ارتقى بهذه الخاصية، وجعل للمنفعة العامة أولوية على كلّ ما سواها.

أخرج مسلم في (صحيحه) من حديث أبي هُرَيْرَةَ, **أنَّ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- قالَ: "إذَا اخْتَلَفْتُمْ فِي الطَّرِيقِ جُعِلَ عَرْضُهُ سَبْعَ أذْرُعٍ"**[٢].

"وقوله: **(إذا اختلفتم في الطريق جعل عرضه سبع أذرع)**, هذا محمول على أمهات الطرق, التي هي ممر **عامة الخلق بأحمالهم ومواشيهم**, فإذا تشاح من له أرض تتصل بها مع من له فيها حق جعل بينهما سبع أذرع، بالذراع المتعارفة في ذلك طريقا للناس، وخلي بينهما وبين ما زاد على ذلك"[٣].

الضوابط والقيود على الملكية الفردية في الإسلام[٤]:

لقد فرض الإسلام العديد من القيود على الملكية الفردية, وهذه القيود اتخذت طابعين من حيث الأسلوب, أحدهما سلبي والأخر ايجابي.

أولاً:- القيود السلبية.

١. منع الإضرار بالآخرين.

"إن حق الفرد في التملك أو الانتفاع بالملك ينظر إليه في الإسلام على أن الفرد عضو في الجماعة المستخلفة عن الله في الأموال، فلا يصح بداهة أن يكون التملك أو استعمال الملك طريقاً للإضرار بالجماعة أو أن يكون مصدر قلق أو اضطراب ومنازعة وسيطرة، لذا فإن المالك يمنع أثناء استعمال ماله من إضرارغيره، لقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- : "لا ضرر ولا ضرار" فلا يصح اعتبار المال وسيلة ضارة أو طريقاً للتسلط والإيذاء ، سواء أكان الضرر خاصاً أم عاماً"[٥].

---

[١] ، أبو داود السجستاني, **سنن أبي داود واللفظ** ،له كتاب الخراج, باب في إحياء الموات, , حديث رقم: ٣٠٧٥، ج ٣, ص: ١٤٢, قال الألباني: صحيح..

[٢]:مسلم بن الحجاج النيسابوري ،**صحيح مسلم** ، كتاب المساقاة، باب قذر الطريق إذا اختلفوا فيه، ج ٢, ص: ١٢٣, حديث رقم: ١٤٧٠.ج ٥, ص: ٥٩, حديث رقم: ٤٢٢٤.

[٣]: أبو العبَّاس أحمَدُ القرطبيُّ ، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**, كتاب العتق, باب إثم من غصب شيئًا من الأرض, ج ١٤, ص: ١٤٦.

[٤]: وَهْبَة الزُحَيْلِيّ, **الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلتُهُ**, , ج ٧, ص: ١٠.

[٥] المرجع السابق , , ج ٧, ص: ١٠.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٢. عدم جواز تنمية المال بالوسائل غير المشروعة.

"أوجب الإسلام استثمار المال وتنميته بالطرق المشروعة من زراعة وصناعة وتجارة ونحوها، وحرم كل الوسائل التي لا تتفق مع الإنسانية الحقة الرحيمة مما هو جائم في بلدان الحضارة المادية والرأسمالية الغاشمة, وأخطرها الربا أو الفائدة، والقمار، والغش، والاحتكار والتدليس، وبذلك هدم الإسلام صرح الرأسمالية التي يمتص فيها الغني دماء الفقراء والطبقة العاملة، كما أنه قضى على مفاسد الرأسمالية والملكية الفردية"[١].

لقد تميز الاقتصاد الإسلامي بتنمية الأموال بالوسائل الشرعية، وحرمت السنة النبوية أسباب الكسب غير المشروعة ومنها:

"أ. تحريم الغش بكل أنواعه.

فالغش في المعاملات يؤدي إلى فقدان الثقة والتعاون بين الناس, والإخلال بمبدأ التكافل الاجتماعي والتراحم والتآخي ، كما أنّه يؤول إلى الكسب غير المشروع مما يؤدي إلى خلخلة في المعاملات المالية وانهيار الاقتصاد.

أخرج مسلم في (صحيحه) ، من حديث أبي هريرة أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: **"مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا"**[٢].

ب. تحريم الاحتكار.

فقد اعتبره الإسلام طريقا غير مشروع، لان المحتكر يستغل حاجة الناس إليه فيحصل على ربح فاحش ويتحكم في السوق، وبخاصة إذا كانت السلعة التي يحتكرها من ضروريات الناس.

أخرج مسلم في صحيحه من حديث سعيد بن المسيب يحدث أن معمرا* قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: **"مَنْ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ"**[٣].

ج. تحريم الربا.

لقد حرم الله سبحانه وتعالى الربا, واعتبره من السبع الموبقات.

---

[١] المرجع السابق.

[٢] مسلم بن الحجاج النيسابوري: **صحيح مسلم** ، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من غشنا فليس منا, حديث رقم: ١٦٤، ج١، ص:٣٥.

* معمر بن أبي معمر ، عبد الله بن نافع بن نضلة القرشي العدوى،صحابي كبير،وهو من مهاجرة الحبشة،(تقريب التقريب،ج١٤٩٧).

[٣] مسلم بن الحجاج النيسابوري ،**صحيح مسلم** ، كتاب المساقاة ، باب تحريم الاحتكار في الأقوات, حديث رقم: ١٦٠٥، ج١، ص:٤١١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

قال الله تعالى:﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1].

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: **"لَعَنَ رَسُولُ اللَّـهِ – صلى الله عليه وسلم– آكِلَ الرِّبَا وَمُوْكِلَهُ وكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ وَقَالَ هُمْ سَوَاءٌ"**[2].

وذلك لما فيه من تعطيل المال والاستفادة منه، فالمرابي حينما يلجأ إلى التعامل بالربا فقد حبس المال عن النفع العام, فهو حين يستثمره في إقامة مصنع أو متجر أو مزرعة فانه سيحصل على أرباح أكثر مما لو استعمله في الربا، وهو بذلك قد قضى على البطالة باستقطابه عددا من الناس للعمل في المشروعات الاستثمارية، مما يحقق الفائدة له وللمجتمع، في حين أنّه في التعامل في الربا هو المستفيد الوحيد في الظاهر والمجتمع هو الخاسر، يضاف إلى ذلك روح الجبن التي يولدها التعامل بالربا، وعدم الجرأة على الاستثمارات المباحة، التي قد تؤدي إلى حصوله على أرباح طائلة، إضافة إلى ما يولده التعامل بالربا من الشحناء والبغضاء بين الناس.

ومن المعلوم أن مهاجمة الربا في الإسلام دليل على محاربة مختلف أشكال النظم الرأسمالية التي تتحكم فيها مصالح المرابين، وذلك حتى يكون المجتمع مجتمعاً متراحماً ومتعاوناً على الخير، لا يستغل القوي فيه حاجة الضعيف، ولا تتكون فيه طبقة تعيش على حساب رأسمالها دون بذل جهد من عمل ولا كسب، أو دون أن تتعرض هذه الفئة كبقية المشروعات الاقتصادية لاحتمالات الربح أو الخسارة.

وأما القمار بمختلف أنواعه ومنه اليانصيب فقد حرمه الإسلام, لأنه مرض فتاك خبيث يهدد طاقة الإنسان الجسدية والفكرية من دون فائدة مشروعة، ويعوّد الإنسان على الخمول والكسل, لأنه محاولة للتوصل إلى كسب بلا جهد ولا عمل، وفضلاً عن ذلك فإنه يولد بين الناس أحقاداً عميقة الجذور، ويثير شرارات نارية من المنازعات والاختلافات التي لا تنتهي ذيولها، حتى وصفه القرآن الكريم بأنه رجس من عمل الشيطان"[3].

---

[1] [سورة البقرة,: ٢٧٥]

[2] مسلم بن الحجاج النيسابوري ،**صحيح مسلم** ،كتاب المساقاة ،باب لعن آكل الربا ومؤكله,حديث رقم: ١٥٩٨،ج١،ص:٤٠٨.

[3]: عمر محيسن ، **الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في ضوء السنة النبوية** ،رسالة ماجستير ،٢٠٠٦م، جامعة آل البيت،ص ص:١٠٦-١١٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣. منع الإسراف والتقتير.

لقد أوجب الإسلام الاعتدال في النفقة, فلا إسراف ولا تقتير, قال تعالى:﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[١].

وكذلك يحرم الإسلام الإسراف وتبذير الأموال من غير وجه مشروع, أو يؤدي إلى الضرر ولو في سبيل الخير، قال الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾[٢].

فالتبذير طريق الفقر الذي يصبح به المبذر في النهاية عالة على المجتمع، مما ينذر بمخاطر اجتماعية سيئة، فضلاً عن أن التبذير سبيل لغرس الأحقاد والبغضاء بين الناس والمحرومين، وهكذا أوضح الإسلام مبدأ سياسة الاعتدال في الاستهلاك والادخار، فقال الله سبحانه: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [٣].

٤. المال في الاقتصاد الإسلامي ليس سبيلاً إلى الجاه والسلطان.

"حظر الإسلام على أرباب الأموال استخدامها في هضم الحقوق عن طريق الرشوة أو للتوصل إلى منصب سياسي أو جاه أو وظيفة ليس أهلاً لها.

قال الله تعالى:﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٤].

وفي هذا إيصاد الباب أمام ما تفعله التكتلات الاحتكارية والشركات العالمية في التأثير على السياسة الداخلية والخارجية في الدول الرأسمالية.."[٥].

٥. توزيع المال بعد الوفاة مقيّدٌ بنظام الإرث.

لقد أنزل الله عزّ وجلّ آيات محكمات تُتلى إلى يوم الدين في كتابه الكريم, يبين فيها مآل المال بعد وفاة مالكه, بحيث يصير تركة للورثة, وهو ارث جبري, لا يجوز مساسه أو العبث به بأي حال, وقد حدد الله سبحانه وتعالى نصيب كل وارث ذكراً كان أم أنثى.

---

[١] [الإسراء, الآية: ٢٩].
[٢] [الإسراء, الآية: ٢٧].
[٣] [الأعراف, الآية: ٣١].
[٤] [البقرة:١٨٨].
[٥]: وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ ،الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلتُهُ, , ج ٧, ص: ١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"ليس المرء حراً بالتصرف في ماله بعد وفاته حسبما يشاء كما هو مقرر في النظام الرأسمالي، وإنما هو مقيد بنظام الإرث الذي يعتبر في الإسلام من قواعد النظام الإلهي العام التي لا يجوز للأفراد الاتفاق على خلافها، فالإرث حق جبري، ولا يجوز الإيصاء بأكثر من ثلث المال، ولا يصح تفضيل بعض الورثة على حساب الآخرين، أو حرمان وارث أو الإضرار بالدائنين، وللسلطة القضائية الحق في إبطال التصرفات غير الشرعية في الإرث والوصية، فيكون تشريع الإرث عاملاً مهماً من عوامل تفتيت الثروات الضخمة، وتوزيع الملكيات والقضاء على التفاوت الفاحش بين الطبقات"[1].

ثانياً:- القيود الايجابية[2].

١. فريضة الزكاة على الأغنياء لصالح الفقراء.

إنّ الزكاة ركن من أركان الإسلام، تجب على الأغنياء القيام بها وأدائها لصالح الفقراء، فليست الزكاة منة أو مجرد صدقة بل هي فريضة، واجبة الأداء, وهي بهذا المعنى قيد ايجابي على الملكية, وبسببها يحصل التكافل الاجتماعي في أبهى صوره وأشكاله, قال الله تعالى:﴿

وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥ ﴾[3].

٢. كفاية الفقراء.

إنّ الإسلام حريص على أن تكون العلاقات الاجتماعية قائمة على أساس من التراحم والتوادد بين المسلمين في مختلف أحوالهم المعيشية، فلو انعزل الأغنياء عن المجتمع بأموالهم لساء المجتمع المسلم وتردت أحواله, ولم يكتفي الإسلام بفرضية الزكاة, بل اوجب أيضاً تكاليفاً أخرى في المال غير الزكاة، وقد حث الإسلام كذلك على تقديم الصدقات للفقراء تقرباً إلى الله عز وجل.

أخرج مسلم في صحيحه من حديث أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ, قَالَ: **"بَيْنَمَا نَحْنُ فِى سَفَرٍ مَعَ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ, قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالاً, فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ, وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ, قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ**

---

[1] المرجع السابق.
[2] المرجع السابق.
[3] [سورة المعارج,: ٢٤-٢٥].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لاَ حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ"[1]. وكذلك يجب على الإنسان تقديم النفقات لكفاية أقاربه الفقراء المحتاجين من الأصول والفروع.

٣. الإنفاق في سبيل الله.

"أوجب الإسلام على المسلمين الإسهام بالإنفاق في سبيل الله، والمقصود به الإنفاق على كل ما يتطلبه المجتمع من مصالح ضرورية كالدفاع عن البلاد، وتزويد الجيش العامل بالمؤن والسلاح، وبناء المؤسسات الخيرية العامة التي لا غنى لأي بلد متحضر عنها. وللحاكم كيفية تنظيم الحصول على هذه الموارد الكافية لسد العجز في موازنة الخزينة العامة، من طريق وضع نظام ضريبي عادل يلتزم خطة التصاعد بحيث يرتفع سعر الضريبة كلما زاد دخل المكلف، وبحسب درجة الغنى واليسار، و نص فقهاء الإسلام كالغزالي والشاطبي والقرطبي على مشروعية طرح جديدة على الأغنياء والغلات والثمار وغيرها بقدر ما يكفي حاجات البلاد العامة، وأقر ذلك مجمع البحوث الإسلامية في مؤتمره الأول المنعقد سنة ١٩٦٤م في قراره الخامس"[2]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

[1] مسلم بن الحجاج النيسابوري ،صحيح مسلم، كتاب اللقطة، باب استِحْبَابِ الْمُوَاسَاةِ بِفُضُولِ الْمَالِ, حديث رقم: ١٧٢٨، ج ١, ص: ٤٥٠.

[2]: وَهْبَة الزُحَيْلِيّ ، الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلتُهُ, , ج ٧, ص: ٣٣.

المطلب الثالث

الاستقلالية الاجتماعية

إنَّ غاية الإسلام من تكوين الجماعة، أن تكون هذه الجماعة ذات مبادئ إنسانية فاضلة تقوم على التقوى, ولا تتحقق التقوى إلا بعبادة الله سبحانه وتعالى وحده, فهي الغاية من خلق الخلق, وهي الأساس في قوة المجتمع, وهذا كله لا يتحصل إلا في امّة فاضلة تربطها الأخوة والمودة، وتكون العلاقة بينها وبين غيرها قائمة على الوفاء والعدل والمُثُل .

وفي سبيل تحقيق الجماعة الفاضلة هذه، لا بد من أن يكون مجتمعا مترابطاً تربطه علاقات اجتماعية دعت إليها شريعتنا الغراء، تميزه عن غيره وتجعله مستقلا عن غيره, مستفيداً من خبرات الآخرين دون الركون إليهم.

ولعل من أهم الميزات الاجتماعية التي يتميز المجتمع الإسلامي بها:

١. تحقيق مبدأ العدالة الاجتماعية في المجتمع المسلم.

لقد أقام الإسلام العدالة الاجتماعية على العديد من الأسس والمرتكزات التي من شانها تحقيق هذه العدالة, ومن أهم هذه الأسس:

"أ. ارتباط العدالة الاجتماعية بأحكام الإسلام وقواعده.

لن تتحقق العدالة الاجتماعية, ولن يكتب لها البقاء, ما لم تستند إلى شريعة الإسلام الغراء التي تبعث في النفوس رغبة في هذه العدالة, باعتبارها قربة إلى الله سبحانه وتعالى, وهذا كله يرتبط بالعقيدة ارتباطاً وثيقاً لا ينفك عنه.

ب. المساواة الإنسانية.

لم يكتف الإسلام بالمفهومات الضمنية المستفادة من ارتباط العدالة الاجتماعية بأحكام الإسلام وقواعده, بل قرر مبدأ المساواة الإنسانية جوهراً ومضموناً ليكون كل شيء واضحاً مقرراً منطوقاً.

ج. التكافل الاجتماعي.

لقد قرر الإسلام مبدأ التكافل الاجتماعي في كلّ صوره وأشكاله, وذلك بسبب نظرة الإسلام الشاملة لأهمية الفرد والجماعة, وإزالة الأسباب المؤدية إلى تعارض المصالح الفردية والجماعية, فيدع للفرد حريته كاملة في الحدود التي لا تؤذيه, ولا تأخذ على الجماعة الطريق, ويجعل للجماعة حقوقها ويكفلها من التبعات , في الوقت ذاته كفاء هذه الحقوق لتسير

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحياة في طريقها السوي القويم, وتصل إلى أهدافها العليا التي يخدمها الفرد وتخدمها الجماعة سواء"[1].

٤. المسؤولية التربوية على عاتق الجميع من اجل إنشاء مجتمع فاضل.

لقد أوجب الإسلام المسؤولية التربوية على كل عنصر من عناصر المجتمع المسلم, فتوزيع الأدوار امتد ليشمل الذكر والأنثى, والإمام والرعية, والحر والعبد, وهذا من تمام قيام المسلمين بواجباتهم تجاه من يتولونه من أفراد وجماعات, وما يتولونه من مال أو متاع, وترك هذه المسؤولية أو نكرانها يعتبر تركاً للأمانة, وتضييعاً للحقوق والواجبات.

أخرج البخاري في صحيحه ، من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضى الله عنهما: "**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلاءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ، وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: الرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**"[2].

٣. الدعوة إلى الترابط الاجتماعي بأسلوب المودة والرحمة والعطف.

أخرج مسلم في صحيحه، من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-" **مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**"[3].

إنّ الأمة المسلمة متميزة مستقلة، وذلك بتمسكها بكتاب ربها، وبهدي نبيها -صلى الله عليه وسلم-، وبتراحمها وتوادّها, وإلا فإنَّ الخطر المعاصر قادم عليها في غياب القدوة النموذجية ووحدة القلوب والصفوف.

إنّ الأساس القويم الذي يميز المجتمع الإسلامي عن غيره، التكافل والتوادد، والمحبة في الله فهي مقدمة على كل رابطة, وعلى كلّ حب, ولقد دعا الإسلام إلى نبذ العصبية القبلية والمناداة بالقومية, فالمسلمون كلهم أبناء الإسلام, بل دعا الإسلام إلى الإيثار ورتب عليه جزاءً عظيماً في الآخرة، وهذا الذي جعل الأنصار(الأوس والخزرج) أحبة في الله مجتمعين, بعد أن كانوا متفرقين متشاحنين، وكانت نار الحرب لا تنطفئ بينهم.

---

[1] سيد قطب ،**العدالة الاجتماعية في الإسلام**, ص: ٥٣.

[2] محمد بن إسماعيل البخاري ،**صحيح البخاري** ، كتاب الأحكام، باب قول اللهِ تعالى (أطيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرَّسُولَ وأولِى الأمرِ منكُمْ)حديث رقم: ٧١٣٨، ج١، ص:٩٨٢.

[3] مسلم بن الحجاج النيسابوري ،**صحيح مسلم** ، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: ٢٥٨٦، ج١، ص:٦٦٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قال الله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1].

وما سادت الصفات التي ذكرها الله سبحانه وتعالى آنفاً، إلاّ بعد أن ساد الترابط وتفشت المحبة في الله بينهم، فقد أصبح أعداء الأمس أخوة متحابين.

٤. محاربة الظلم والفساد وإقامة العدل بين أفراد المجتمع.

إنّ إقامة العدل والقسط ومحاربة الظلم, وإشاعة الأمن, مقصد من أهم مقاصد الشريعة المطهرة.

لقد أقامت الشريعة الإسلامية الغراء وتميزت بنظام دقيقٍ محكم في سبيل حفظ الحقوق, وإقامة العدل، وصيانة الأنفس والأعراض والأموال، ومنع الظلم والاعتداء، وليستتب الأمن في المجتمع وتسود الطمأنينة ويعم الخير.

لقد أمر الله عزّ وجلّ بإقامة العدل بين الناس فقال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾[2] ونهى عن الظلم والطغيان ولو كان ضد الأعداء فقال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[3].

لقد أذن الرسول –صلى الله عليه وسلم– لأصحابه وأمرهم بالهجرة إلى الحبشة, وليست الحبشة دار الإسلام, وإنما العدل وعدم الظلم متحقق فيها.

أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ:" **يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا, يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ, فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ, يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ, يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ,**

---

[1] [الحشر: ٩]
[2] [النحل: ٩٠]
[3] [المائدة: ٨]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ, يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ, وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا, فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ, يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي, وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي, يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا, يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا, يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ, فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ, يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا, لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا, فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ, وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ"[1].

إنّ في الحديث تحريم بيّن للجور والظلم, والتعدي على حقوق العباد, فالظلم ظلمات يوم القيامة, فقد نهى الإسلام في مواضع عديدة عن ظلم النفس وذلك بشركها بالله عزّ وجلّ, وظلم الغير وذلك بالتعدي على حقوقهم المادية والمعنوية.

لقد كان النبي –صلى الله عليه وسلم– أسوة حسنة, وقدوة لأصحابه, بوصفه القائد الأعلى فكان لا يتميز عنهم، وأكبر شاهد على ذلك غزوة الخندق، وبناء المسجد، فكان يعمل يدا بيد مع أصحابه, بل عمل معهم, وأنشد الشعر مشجعاً لهم.

أخرج البخاري في صحيحه من حديث عروة بن الزبير عن أبيه قال: **فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ, ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– الْغُلَامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا, فَقَالَا: لَا, بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ, فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا, ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا, وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَنْقُلُ مَعَهُمْ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ: هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالَ خَيْبَرْ هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْآخِرَهْ فَارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ فَتَمَثَّلَ بِشِعْرِ رَجُلٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُسَمَّ لِي قَالَ ابْنُ شِهَابٍ* وَلَمْ يَبْلُغْنَا فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– تَمَثَّلَ بِبَيْتِ شِعْرٍ تَامٍّ غَيْرَ هَذَا الْبَيْتِ"[2].**

إنّ المجتمعات غير الإسلامية يسودها الظلم والفساد، فالقوي يأكل الضعيف، والناس فيها طبقات طبقة إقطاع وطبقة كادحة، وكان الظلم يسود تلك المجتمعات، إلى أن جاء الإسلام وخلّص البشرية من الظلم والطغيان, وحرّر المرأة بعد أن كانت مستعبدة في كل الطوائف والملل.

---

[1] مسلم بن الحجاج النيسابوري ،**صحيح مسلم** ، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٧٧، ج١، ص:٦٥٨.

* سبق التعريف به ص:٢٧.

[2] محمد بن إسماعيل البخاري ، **صحيح البخاري** ، كتاب المناقب، بَاب هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ حديث رقم:٣٩٠٥، ج١، ص:٥٢٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قال تعالى:﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

٥. بيان الحقوق الاجتماعية المشتركة بين المسلمين.

أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قالَ: " **حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ, وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ, وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ, وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ, وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ, وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**"[2].

"**(حق المسلم على المسلم ست)** أي: الحقوق المشتركة بين المسلمين عند ملابسة بعضهم لبعض, والحق لغة هو: الثابت, ونقيضه هو: الباطل, والحق في الشريعة: يقال على الواجب وعلى المندوب المؤكد، كما قال : **(الوتر حق)**, لأن كل واحدٍ منهما ثابت في الشرع، فإنَّه مطلوب مقصود قصدًا مؤكدًا، غير أن إطلاقه على الواجب أوَّلُ وأولى, وقد أطلق في هذا الحديث الحق على القدر المشترك بين الواجب والندب، فإنَّه جمع فيه بين واجبات ومندوبات، وقد تقدَّم أن الابتداء بالسَّلام سنة, وأما إجابة الدعوة: فواجبة في الوليمة كما تقدَّم، وفي غيرها مندوب إليها . وأما **النَّصيحة:** فواجبة عند الاستنصاح، وفي غيره تفصيل على ما تقدَّم في كتاب الإيمان, وأما **تشميت العاطس:** فاختلف فيه على ما يأتي, وأما **عيادة المريض:** فمندوب إليها إلا أن يخاف ضياعه فيكون تفقده ، وتمريضه واجبًا على الكفاية, وقد تقدَّم الكلام على إتباع الجنائز.وكونه ــ -صلى الله عليه وسلم- ــ يسلِّم على الصبيان, إنما كان ليبيِّن مشروعية ذلك، وليفشي السَّلام، ولينالوا بركة تسليمه عليهم، وليعلمهم كيفية التسليم وسنته، فيألفوه، ويتمرَّنوا عليه"[3].

"فنرى أنّ الإسلام في استقلاليته الاجتماعية أصبح مستوعبا لكل القطرية والعرقية والقومية استيعابا كاملاً كونه نموذجاً تكاملياً, واستطاع أنْ يستوعب كافة تعاليم الرسالات السماوية السابقة، بل هو في حد ذاته دينٌ عالميٌّ, يستوعب كافة التكتلات القطرية، والعرقية، والقومية، والطائفية، وغيرها، وهذا الدين تجسد عملياً في مدرسة السنة النبوية.

---

[1] [المائدة ٢٣].

[2] مسلم بن الحجاج النيسابوري ،**صحيح مسلم**، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، حديث رقم:٢١٦٢، ج١، ص:٥٦٣.

[3] أبو العبَّاس أحمَدُ بنُ أبي حَفص عُمَرَ بن إبراهيمَ القرطبيُّ ، **المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم** ،ج ١٧ ، ص :١٤٩، .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالسُّنَّة أكبر داع للوحدة والمحبة والأخوة، ونابذ للفرقة والبغضاء والمشاحنة التي تساعد على إدامة تكوين المجتمعات والدليل أن الإسلام يحوي كل اللغات واللهجات والألوان[1].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

[1] انظر موسوعة البحوث والمقالات العلمية جمع علي الشحود،٣،بتصرف ،منهجية النبي صلى الله عليه وسلم في بناء وحدة الأمّة.

المطلب الرابع

الاستقلالية السياسية

إنّ للسياسة في حياة الأمم أهمية بالغة، فالأمة المسلمة دخلت غمار السياسة ومارستها منذ نشأتها, وذلك في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- بصفته حاكماً ورئيساً لدولة الإسلام في المدينة, وقد سار الخلفاء الراشدون على المنهج النبوي ذاته, واستمر المسلمون على ذلك النهج قروناً عدة, باعتبار أنّ السياسة هي جزء من الشريعة, وخاصة إذا ما علمنا أنّ السياسة هي سياسة أمر الرعية, في الوقت الذي انتشر فيه وظهرت العديد من الأنظمة السياسية المتباينة.

والسياسة: "هي استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل, وهي من الأنبياء على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم, ومن السلاطين والملوك على كل منهم في ظاهرهم لا غير, ومن العلماء ورثة الأنبياء على الخاصة في باطنهم لا غير"[1].

"**فالسياسة الشرعية:** هي تدبير الشؤون العامة للدولة الإسلامية بما يكفل تحقيق المصالح ودفع المضار مما لا يتعدى حدود الشريعة وأصولها الكلية، وإن لم يتفق وأقوال الأئمة المجتهدين"[2].

النشأة التاريخية لمفهوم الدولة الإسلامية

لقد كان للهجرة النبوية إلى المدينة المنورة, وما سبقها من أحداث كبيعتي العقبة الأولى والثانية أساساً في نشأة وتكوين الدولة الإسلامية، وبذلك الحدث تميزت شخصية المسلمين عن المشركين، وتوطدت لهم في المدينة الدعائم الأولى للأمن والاستقرار، وبرزت السلطة السياسية للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وهي عنصر أساسي في تكوين الدولة الإسلامية.

لقد كان من مظاهر ممارسة النبي -صلى الله عليه وسلم- لتلك السلطة قيامه بالعديد من النشاطات على النطاق العام للدولة الإسلامية, من أبرزها عقد معاهدة مع اليهود كمجتمع آخر في المدينة حيث عاهدهم فيها على دينهم وأموالهم، وحدد ما لهم وما عليهم, وكذلك تنفيذ القوانين والأنظمة التي شرعها الله جلّ وعلا، فأقام الحدود على الجناة والعصاة، وأعلن الحرب على الأعداء, فكانت غزوة الأبواء أول غزوة في الإسلام حدثت بعد اثني عشر شهراً

---

[1]: أبو البقاء الكفوي, **كتاب الكليات, معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**, مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م, تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري, ج ١, ص: ٨٠٨.

[2]: عبد المالك بن أحمد الجزائري, **مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحَمَاسية**, ج ١, ص: ١١٦, نقلا عن كتاب السياسة الشرعية عبد الوهاب خلاف.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من مقدمه عليه السلام إلى المدينة حيث خرج فيها الرسول -صلى الله عليه وسلم- قاصداً قريشاً يريد حربهم.

لقد كانت الأسس الرئيسة في بناء الدولة الإسلامية في المدينة عديدة أهمها:-

١. بناء المسجد النبوي.

لقد كان أول شيء قام به الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعد قدومه إلى المدينة المنورة هو بناء المسجد، وقد كان للمسجد أثره الكبير في إقامة المجتمع الإسلامي على آداب الإسلام وتعاليمه، فلم يكن المسجد مكانًا لأداء الصلاة فقط، وإنما كان مكانًا للتربية وللعلم وللقيادة وللحكم وللمناسبات الإسلامية, فقد كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يعلم المسلمين في المسجد أحكام الإسلام وتعاليمه وآدابه.

وكان -صلى الله عليه وسلم- يقضي بين الناس في المسجد، وكانت تُعقد فيه ألوية الحرب وتوجيه الرسل إلى الملوك، وإدارة شئون الدولة الإسلامية، وكان المسجد مكانًا لعلاج المرضى وإسعافهم سواء في وقت السلم أو الحرب، وهكذا يظهر دور المسجد في بناء الدولة الإسلامية وحضارتها.

٢. المؤاخاة بين المسلمين (المهاجرين والأنصار).

لقد كانت المؤاخاة بين المسلمين هي الأساس الذي أرساه الرسول -صلى الله عليه وسلم- لبناء المجتمع الإسلامي في المدينة بعد بناء المسجد النبوي, وقد فعله الرسول -صلى الله عليه وسلم- من قبل بين المسلمين في مكة قبل الهجرة.

لقد آخى الرسول -صلى الله عليه وسلم- بين المهاجرين والأنصار، فالمهاجرون لا يملكون شيئًا بعد هجرتهم من مكة إلى المدينة، فقد تركوا أموالهم وأولادهم في سبيل الله, وقامت هذه المؤاخاة على العديد من الأسس أهمها الأسس المادية, كالمشاركة في المال والثروة والتوارث فيها، وكذلك الأسس المعنوية, كالولاء والمناصرة والحب، وبذلك قامت دولة الإسلام على المحبة, فقد جعلت المسلمين أسرة واحدة ومجتمعًا واحدًا.

٣. المعاهدة بين المسلمين وغيرهم من الملل والطوائف.

لقد وضع الرسول -صلى الله عليه وسلم- دستورًا وميثاقًا للعلاقة بين المسلمين وغيرهم، وكانت هذه المعاهدة من أعظم المظاهر الحضارية في الحياة السياسية والاجتماعية التي جاء بها الإسلام, لبيان الحقوق والواجبات التي تترتب على المسلمين وغيرهم بصورة لم تعهدها شبه الجزيرة العربية من قبل.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤. الاستقلال الاقتصادي ويتمثل ذلك في بناء سوق المدينة.

٦. **الاستقلالية العسكرية** وذلك بإرسال البعثات والسرايا إلى جُرش باليمن لكي يتعلموا صنع السلاح.

أركان الدولة الإسلامية

إنّ الحديث عن الاستقلالية السياسية يلزمه إبراز دولة الإسلام بأركانها وشروطها, فلا يمكن القول باستقلال سياسي من غير دولة, وهذا يقودنا بالضرورة إلى بيان أركان الدولة في دار الإسلام.

إنّ للدولة الإسلامية أركانها الرئيسة التالية:-

الشعب والإقليم والسيادة[1]

الركن الأول:- الشعب.

إنّ الشعب في مفهوم تكوين الدولة الإسلامية هو المسلمون الذين يقطنون دار الإسلام ويدينون برسالة الإسلام ديناً وشرعاً وعقيدة ونظاماً سياسياً, والشعب أيضاً من الذميين وهم غير المسلمين الذين يقيمون إقامة دائمة في دار الإسلام، فمن هؤلاء جميعاً يتكون شعب الدولة الإسلامية أو رعاياها الذين يرتبطون في المفهوم الحديث برابطة سياسية وقانونية هي رابطة الجنسية أو الرعوية.

الركن الثاني:- الإقليم.

إنّ إقليم الدولة الإسلامية يشمل جميع البلاد الإسلامية، فهو يتحدد بحدود دار الإسلام وأرضها مهما اتسعت رقعتها، ودولة الإسلام تلك التي يحوزها المسلمون وتكون تحت أيديهم, وهذه الحدود ليست ثابتة أو دائمة، إذ أنه يجب شرعاً تبليغ الدعوة الإسلامية إلى العالم.

الركن الثالث:- السيادة.

تتمتع الدولة الإسلامية بصفة السيادة على شعبها وفي أرضها, وهذه السيادة تشمل النطاقين الداخلي والخارجي.

- **ففي النطاق الداخلي:** فان الدولة تمارس سيادتها على رعاياها وذلك بالهيمنة التامة على جميع الأشخاص والهيئات القائمة في دار الإسلام, فتلتزم الرعية بالطاعة والسمع ضمن حدود الشرع.

---

[1] انظر: المرجع السابق, ج ٨, ص:٤٢٥-٤٢٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

• وأما مظهر السيادة في المجال الدولي أو الخارجي: فهو توفير العزة والاستقلال الكامل لدولة الإسلام دون السماح لأية سلطة أخرى بانتقاصه أو محاولة التسلط عليه.

قال تعالى:﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾[1]. وقال سبحانه وتعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] وهذا يستلزم اتخاذ الوسائل الكفيلة بحماية دولة الإسلام, وذلك بتحصين الثغور, وإعداد القوة اللازمة المدربة على مهارات وفنون القتال[3].

خصائص الدولة الإسلامية[4].

إن الدين لا يمكن أن يقام إلا بدولة، وإنّ الواجبات من جهاد وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وإقامة الحدود، وإعانة المظلوم, وردع الظالم، والعدل بين الناس في جميع الحقوق، لا يمكن أن يقوم بها الأفراد وإنما تقوم بها دولة، ومن أجل ذلك يجب أن تقوم دولة إسلامية تقوم بكل هذا .

والدولة الإسلامية لها العديد من الميزات والخصائص التي تميزها عن غيرها من الأنظمة ومن أهم هذه الميزات:-

أولاً:- الدولة الإسلامية تقوم على منهج رباني ومبادئ سامية لإصلاح الحياة البشرية.

إنّ الدولة الإسلامية تسير وفق قانون رباني واضح المعالم, فالقرآن الكريم والسنة النبوية هما أساس الدستور الإسلامي، وقد يدخل في هذا الدستور من القواعد العامة أشياء غير منصوص عليها في الكتاب ولا في السنة ومع ذلك يمكن إدخالها تحت قاعدة كلية من الكتاب والسنة, فسلطة التشريع في الإسلام حق لله وحده، وبذلك يتصف التشريع الإسلامي بالإنصاف والعدل، ويبتعد عن الهوى والجور.

فالدولة في الإسلام **ذات منهج إلهي** تسعى إلى إصلاح الحياة البشرية وفق منهج العقيدة الإسلامية وقواعد الإسلام وأحكامه, ومهمتها نشر العقيدة الإسلامية, وتصحيح مفاهيم الناس

---

[1] [النساء ١٤١]
[2] [المنافقون ٨]
[3] وَهْبَة الزُحَيْلِيّ ، **الفقه الإسلامي وأدلته**, , ج ٨, ص:٤٣٤.
[4] انظر: المرجع السابق, ج ٨, ص: ٤٥٧-٤٥٨.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

نحو عالم الغيب وعالم الشهادة, بتقديم الحلول السليمة ووضع المناهج السديدة للحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية على نمط يحقق الخير والسعادة للفرد والجماعة[1].

ثانياً:- غاية دولة الإسلام أداء رسالة الإسلام وجوباً اعتقادياً.

إنّ غاية إقامة الدولة الإسلامية تنفيذ أوامر الله، وتحكيم شريعة الإسلام بين الناس، وأداء رسالة الإسلام النقية بعيداً عن الغلو والتطرف.

فغاية دولة الاسلام القيام بالمهام الموكلة اليها بمقتضى الكتاب والسنة, وإصلاح دين الخلق, وحثهم على الوصول إلى غاياتهم وأهدافهم, وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم[2].

ثالثاً:- الدولة الإسلامية دولة دين ودنيا.

فهي ليست دولة قبيلة ولا حزب ولا بلد مخصوص, ومهمة الدولة في الإسلام حراسة شؤون الدين والدنيا، وتحقيق السعادة للبشر في الحياة الدنيا والآخرة، وكل ذلك يحول دون شيوع الفوضى والفساد، وانتشار الظلم بين العباد, وهي كذلك منظمة لأمور الناس وحافظة على توازنها، وليست غاصبة لحقوقهم, وأهدافها تتمثل في تحقيق مصالح الناس, والحفاظ على مقدرات الأمة على أساس من التقدير والاحترام للفرد والمجتمع, والحيلولة دون استعباد القوي للضعيف.

أخرج مسلم في صحيحه من حديث مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ يَقُول:"سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ :"**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ قَالُوا: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ؟ عِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ**"[3].

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- أقام دولة الإسلام ولم يردها لشخصه ولا لعشيرته، بل جعلها دولة الإسلام، فالله سبحانه وتعالى خيّر النبي -صلى الله عليه وسلم- بين النبوة والملك, لكن النبي اختار أن يكون عبدا نبيا.

أخرج أحمد في (مسنده) من حديث **أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: "جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ, فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ, فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ**

---

[1] انظر: المرجع السابق, ج ٨, ص: ٤٥٧-٤٥٨.

[2] انظر: ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس, **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**, دار المعرفة, الفصل الرابع, معرفة الأصلح ومعرفة تمامها, ج ١, ص: ٣٧.

[3] مسلم بن الحجاج النيسابوري ،**صحيح مسلم** ،كتاب الإمارة ، باب خيار الأئمة وشرارهم،حديث رقم: ١٨٥٥،ج١،ص:٤٨٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ. فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ يَا مُحَمَّدُ: أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ قَالَ. أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ. أَوْ عَبْدًا رَسُولًا؟ قَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: بَلْ عَبْدًا رَسُولًا"[1].

رابعاً:- أساس الدولة الإسلامية قائم على الشورى لا على التسلط والاستبداد.

إنّ دولة الإسلام هي دولة شورى يتشاور المسلمون فيها فيما بينهم في جميع أمورهم، في اختيار حاكمهم، و تحديد سياساتهم و ترتيب أولوياتهم، كل هذا جعل هذه الدولة مميزة عما سواها من الدول, فالغاية من الشورى هي تماسك المجتمع الإسلامي, وتقوية روابط المحبة والمودة بين أفراده حتى يصبحوا كالجسد الواحد يشد بعضه بعضاً, وقد أمر الله عزّ وجلّ بالشورى حيث قال تعالى:﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[2] .

إنّ اتخاذ حكم أو قرار في أمر أو شأن ليس استبداداً في ظل دولة الإسلام, وقد شاور الرسول -صلى الله عليه وسلم- أصحابه وهو غني عن مشاورتهم وعن آرائهم, حيث أمر الله عزّ وجلّ بها نبيه -صلى الله عليه وسلم- في قوله تعالى:﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾[3].

لقد ركز الإسلام على الشورى في نظام الحكم, لما لها من الآثار الايجابية الطيبة التي تعود بالنفع على حياة الفرد والمجتمع، ومن هذه الآثار[4]:-

أ. إنّ الشورى تتفق مع أحكام الإسلام ونظمه فيما قرره من احترام للفرد وآرائه, والاعتراف بشخصيته في إطار مصلحة الجماعة.

ب. إنّ الشورى طريق سليمة للوصول إلى أصح الآراء وأصوبها في موضوع يهم الفرد والمجتمع المسلم بأسره.

ج. في الشورى حفظاً لحقوق الراعي والرعية، وفيها تصحيح لمسار ولي الأمر إذا انحرف عن جادة الصواب، ففيها تحصل استقامتهم وحسن تدبيرهم لأمور دولتهم.

د. إنّ الأخذ بالشورى يجعل من المسؤولية مشتركة بين الأمة المسلمة وقائدها, فلا يلوم طرف على آخر, ولا يتعرض أحدهما للآخر بالنقد والتجريح.

---

[1] احمد بن حنبل الشيباني ، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**،حديث رقم: ٧١٦٠، ج١٢،ص:٧٦، تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[2] [الشورى٣٨] .
[3] [آل عمران١٥٩].
[4] انظر العدالة الإسلامية ،ج١،ص:١٠٧وما بعدها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد اتخذت المشورة شكلين هما:

أ. طلب الرسول –صلى الله عليه وسلم– الرأي والمشورة صراحة من الصحابة رضي الله عنهم في المسائل العامة والخاصة.

- طلب المشورة في الأمور العامة.

أخرج البخاري في صحيحه من حديث المِسْوَر بْن مَخْرَمَة وَمَرْوَانَ بْن الحَكَم يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ قَالاَ: **" خَرَجَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي بِضْعَ عَشْرَةَ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا أَتَى ذَا الْحُلَيْفَةِ قَلَّدَ الْهَدْيَ ، وَأَشْعَرَهُ ، وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ ، وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ ، وَسَارَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ الأَشْطَاطِ ، أَتَاهُ عَيْنُهُ قَالَ إِنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا ، وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الأَحَابِيشَ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْتِ وَمَانِعُوكَ . فَقَالَ « أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَىَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِىِّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ الْبَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِلاَّ تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ ، لاَ تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ وَلاَ حَرْبَ أَحَدٍ ، فَتَوَجَّهْ لَهُ ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ, قَالَ : امْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ"**[1].

فالتشريع كله لمجلس الشورى، وهذا مما جعل الإسلام مستقلا في اختيار القيادة، لأن الذين يختارون هم أهل المشورة من العلماء الربانيين، أهل الحل والعقد، الذين غايتهم إقامة حكم الله في الأرض.

ومما جعل النظام السياسي نظاما مستقلا عن غيره, أنّه اختلف اختلافا عن الأنظمة العالمية غير المسلمة وأنهم ينادون **بالديمقراطية:** وهي أن يشترك كل الناس في الحكم، وهذا محال مخالف للشرع، لأنه يتطلب أن يكون الناس سواسية، لكنّ الإسلام حدد الذين يقومون بأمر المسلمين يتصفون بالعلم والعدالة، فعمر أوكل أمر المسلمين إلى خير خلق الله بعد الأنبياء إلى البقية من العشرة المبشرين في الجنة.

والشورى ملزمة من أهل الحل والعقد في الأمور التي فيها تحقيق للمصير، وفي باقي الأمور فإنها لازمة غير ملزمة، لأن الحاكم لم يتعين إلا بعد المشورة.

- طلب المشورة في المسائل الخاصة.

---

[1] محمد بن إسماعيل البخاري ،صحيح البخاري ، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، حديث رقم: ٤١٧٨-٤١٧٩، ج١، ص:٥٧٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أخرج البخاري في صحيحه من حديث عائشة "أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- خَطَبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ, وَقَالَ:" مَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِي قَوْمٍ يَسُبُّونَ أَهْلِي مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءٍ قَطُّ وَعَنْ عُرْوَةَ قَالَ : لَمَّا أُخْبِرَتْ عَائِشَةُ بِالأَمْرِ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَى أَهْلِي؟ فَأَذِنَ لَهَا, وَأَرْسَلَ مَعَهَا الْغُلاَمَ, وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: سُبْحَانَكَ {مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ}[1]".

ب. قبول الرأي والمشورة من الصحابة من غير طلب صريح منهم[2].

أخرج ابن ماجه في سننه من حديث الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ :" كَانَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- يُصَلِّي إِلَى جِذْعٍ, إِذْ كَانَ الْمَسْجِدُ عَرِيشًا، وَكَانَ يَخْطُبُ إِلَى ذَلِكَ الْجِذْعِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: هَلْ لَكَ أَنْ نَجْعَلَ لَكَ شَيْئًا تَقُومُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حَتَّى يَرَاكَ النَّاسُ وَتُسْمِعَهُمْ خُطْبَتَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ , فَصَنَعَ لَهُ ثَلاَثَ دَرَجَاتٍ، فَهِيَ الَّتِي عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمَّا وُضِعَ الْمِنْبَرُ، وَضَعُوهُ فِي مَوْضِعِهِ الَّذِي فِيهِ، فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنْ يَقُومَ إِلَى الْمِنْبَرِ، مَرَّ إِلَى الْجِذْعِ الَّذِي كَانَ يَخْطُبُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا جَاوَزَ الْجِذْعَ، خَارَ حَتَّى تَصَدَّعَ وَانْشَقَّ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- لَمَّا سَمِعَ صَوْتَ الْجِذْعِ، فَمَسَحَهُ بِيَدِهِ حَتَّى سَكَنَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمِنْبَرِ، وَكَانَ إِذَا صَلَّى، صَلَّى إِلَيْهِ، فَلَمَّا هُدِمَ الْمَسْجِدُ وَغُيِّرَ, أَخَذَ ذَلِكَ الْجِذْعَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَكَانَ عِنْدَهُ فِي بَيْتِهِ حَتَّى بَلِيَ، فَأَكَلَتْهُ الأَرَضَةُ وَعَادَ رُفَاتًا[3].

خامساً:- نظام الحكم في النظام السياسي في دولة الإسلام يقوم على مبدأ الخلافة أو الإمامة.

إنّ الخلافة أو الإمامة في النظام السياسي في دولة الإسلام هي جزء من دولة الإسلام, يترتب عليها العديد من التبعات التي تتعلق بالإمام والرعية, فدولة الإسلام توجب إقامة إمام للأمة يحكمها ويسوسها وفق أحكام الشريعة الإسلامية, ضمن شروط عديدة تتعلق بهذا الإمام, على أن تتم البيعة لهذا الإمام من الأمة المسلمة عن رضا واختيار, عندها تتحدد الحقوق والواجبات المشتركة بين الإمام والرعية.

إنّ الإمامة بمثابة عقد أطرافه الإمام والأمة، ذلك الإمام الذي توافرت فيه شروط الإمامة، فيكون كالوكيل يسعى لمصلحة من دونه من غير ظلم أو جور[4].

---

[1] المرجع السابق ، حديث رقم: ٧٣٧٠،ج١، ص:١٠١٢.

[2] انظر: سيد قطب, العدالة الاجتماعية في الإسلام ،ج١،ص:٣٥وما بعدها

[3] ابن ماجه القزويني:**سنن ابن ماجة**, أبواب إقامة الصلوات والسنة فيه ,باب ما جاء في بدء شأن المنبر،حديث رقم: ١٤١٤ ,قال الألباني حسن، ج ٢, ص: ٤١٧.

[4] انظر: أحمد بن سعد الغامدي, **الأمة الإسلامية من جديد وليس الشرق الأوسط الجديد**, ج ١, ص: ٣٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قال تعالى:﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾[1].

أسس وقواعد الحكم في الدولة الإسلامية

١. حق الأمة الإسلامية في اختيار الحاكم وتقويمه.

إنّ الأمة الإسلامية لها الحق في اختيار الحاكم ومبايعته، وفي الإشراف على سياسته وتصرفاته، ولها الحق في تقويمه والإشراف على سياسته عن طريق أهل الحل والعقد, ويُعزل الحاكم إذا ثبت عجزه وفساده، وظهر استخفافه بمصالح المسلمين، وعدم اهتمامه بما يحفظ على المسلمين حقوقهم وعزتهم وكرامتهم, وذلك مع ضمان عدم وقوع الفتنة في جسد الأمة الإسلامية الواحد[2].

٢. الشورى.

إنّ الشورى ركن أساسي من أركان الحكم الإسلامي، وهذه الشورى لا تكون في أمر فيه نص صريح الدلالة من كتاب الله أو سنة نبيه –صلى الله عليه وسلم–, وكان –صلى الله عليه وسلم– يستشير أصحابه, وقد فعل الخلفاء ذلك من بعده في كل الأمور, فقد كوّن أبو بكر رضي الله عنه مجلس للشورى يعرض عليه العديد من المسائل التي ليس فيها نص قرآني أو نبوي صريح.

٣. العدل.

فالعدل أساس الملك, وهو مسئولية وأمانة تترتب في ذمة ولي الأمر, والإسلام أمر بالعدل، وجعله غاية الحكم الإسلامي وهدفه، وهو مسئولية الحاكم، وواجب الأداء عليه.

قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[3].

---

[1] أحمد بن سعد الغامدي, **الأمة الإسلامية من جديد وليس الشرق الأوسط الجديد**, ج١, رقم الصفحة, ٣٨.
[2] انظر:علي بن نايف الشحود, **الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل**, الباب الأول الحضارة الإسلامية واسسها, ج ١, ص: ١٥١.
[3] [سورة النساء:: ٥٨]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤. طاعة الحاكم.

إنّ طاعة الحاكم هي إحدى القواعد الأساسية من قواعد الحكم الإسلامي، ما دام الحاكم قائماً بأمر الله منفذاً لحدوده, وما لم يأمر بمعصية، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[١].

"وعلى المسلم أن يسمع ويطيع للحاكم، فيما يحب ويكره، إلا أن يأمر بمعصية، فإن أمر الحاكم بمعصية فلا طاعة له"[٢].

أخرج مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر عَنِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– أَنَّهُ قَالَ: "**عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ إِلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ, فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ**"[٣].

٥. الحرية.

لقد احترم الإسلام الحرية الفردية، فلم يكره أحدًا على أن يعتنق فلسفة معينة، ولم يُرغمه على أن يعيش حياته وفق نظرية محددة، وأجاز الإسلام لغة التعبير عن الرأي بشرط أن لا يؤثر هذا التعبير على حرية الآخرين, وفي مجال العقيدة فقد أعطى الإسلام الحرية لغير المسلمين أن يختاروا دينهم من غير إكراه[٤].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

[١] [سورة النساء:: ٥٩]

[٢] علي بن نايف الشحود ،**الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل**, , ج ١, ص: ١٥٤.

[٣] مسلم بن الحجاج النيسابوري ، **صحيح مسلم** , كتاب الإمارة, باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية وتحريمها فى المعصية, ج ٦, ص: ١٥, حديث رقم: ٤٨٦٩.

[٤] انظر: علي بن نايف الشحود:**الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل**, , ج ١, ص: ١٥٤.

المبحث الثالث

أهمية الاستقلالية في السنة النبوية

المطلب الأول

فضل الأمة في السنة النبوية

لقد أكرم الله البشرية برسالة الإسلام، تلك الرسالة التي ختم الله بها الرسالات كلها، وبها فضل الأمة الإسلامية, وجعلها خير أمة أخرجت للناس, تأمر بالمعروف, وتنهى عن المنكر, وتؤمن بالله, ولقد رفع الله قدر هذه الأمة, وشرفها, واصطفاها على غيرها من الأمم، ونجح المسلمون في إقامة مجتمع صالح، وأصبحت دولة الإسلام دولة عظمى، تسود الأمم, وما كان لها أن تدرك هذا الفضل إلا بإيمانها بالله، وإتباعها لسنة نبيها محمد -صلى الله عليه وسلم- وبالدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عندها تغيرت النفوس والقلوب, وأخرجت الكفر والطغيان والاستبداد من قلوبها، فملكت عند ذلك الدنيا, وأصبحت خير الأمم, وفضلها الله عزّ وجلّ على سائر مخلوقاته تفضيلا.

لقد كان العرب في الجزيرة العربية ضالين ممزقين، تابعين لا متبوعين، يخيّم عليهم البأس والمرض، يأكل القوي فيهم الضعيف، لا دين يوحدهم, ولا عقيدة تجمعهم, متفرقين تسودهم العداوة والبغضاء, ثمّ منّ الله عليهم بأن أرسل لهذه الأمة رسوله بالهدى ودين الحق، فآمنوا به واهتدوا ودخلوا في دين الله أفواجا, فأصبحوا أئمة يدعون إلى الخير وينهون عن الشرّ, فجعلهم الله خير الأمم، وفضلهم على سائر البشر, وما تحصّل هذا الفضل إلا عندما صلحت عقائدهم، واستنارت بصائرهم، وكان الدين وحده لله.

لقد أنجز الله وعده لمن آمن به, أن يستخلفهم في الأرض، ويمكن لهم دينهم الذي ارتضى فهو عزهم وذكرهم، فتحقق لهم هذا الوعد عندما امتثلوا لأوامر الله واتبعوها.

قال تعالى:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1].

---

[1] [النور ٥٥].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فعندما ارتضى الله لهم الدين، وأصلحوا به نفوسهم وأمتهم، ارتقوا به إلى مرتبة لم تكن لأمة من الأمم، فكانت خير الأمم, قال الله تعالى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1], ولقد فضل الله تبارك وتعالى الأمة الإسلامية، وخصها بخصائص ميزها فيها عن غيرها، وجعلها بها مستقلة تفضل سائر الأمم والملل.

خصائص الأمة الإسلامية وفضائلها

لقد فضّل الله عزّ وجلّ هذه الأمّة على سائر الأمم واختصّها بكرامات وخصائص كثيرة في الدّنيا والآخرة ليست لغيرها, ولم تحظى بهذا التكريم أمة من الأمم, كيف لا, ونبيها محمد –صلى الله عليه وسلم– سيّد الأوّلين والآخرين, وإنّما نالت هذه الأمّة ما نالته من تكريم وتشريف بإتباعها لأوامر الله عزّ وجلّ والسير على نهج نبيه محمّد –صلى الله عليه وسلم–, والعمل بشريعته.

إنّ خصائص الأمة الإسلامية كثيرة جدا, ولقد صنفت كتب كثيرة في بيان خصائصها وفضائلها، ولكن اقتصر في هذا المطلب على سرد بعض الخصائص والفضائل المهمة التي استقلت بها الأمة الإسلامية وتميزت بها عن غيرها من الأمم.

إنّ قسماً من هذه الخصائص يتعلق بهذه الأمة في الدنيا, والقسم الآخر يرتبط بها في الآخرة.

أولاً:– خصائص الأمة الإسلامية وفضائلها الدنيوية.

إنّ الأمة الإسلامية تحظى بالعديد من السمات والخصائص خصها بها الله عزّ وجلّ أهمها:

١. الأمة الإسلامية خير الأمم.

لقد شرّف الله سبحانه وتعالى هذه الأمّة, ورفع ذكرها وأعلى شأنها, واصطفاها على غيرها من الأمم, فجعلها خير أمة أخرجت للناس, فهي أعظم الأمم في الدنيا والآخرة، بالرغم من قلة عددها ومحدوديته, فعددها بالنسبة إلى الأمم كالشعرة السوداء في جلد الثور الأبيض، ومع هذا فهي الذروة والمقدمة, وتحظى بالخيرية في أزهى صورها قال تعالى: ﴿ كُنتُم خَيْرَ

[1] [آل عمران ١١٠].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾[1].

فالأمة المسلمة منوط بها واجب الأمر بالمعروف, والنهي عن المنكر, شريطة الإيمان الصادق الخالص بالله, وإلا لما ترتب في ذمتها هذه الواجبات العظيمة التي تنوء عن حملها الجبال الشامخات الرواسي, فهي امة ذات قيمة عالية, وتضطلع بدور القيادة في هذا العالم, وهي بهذه الأسباب تقدم الأمم وتفضلهم[2].

أخرج الترمذي في (سننه) من حديث بَهْز بْن حَكِيمٍ، عَنْ أبيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالى: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس} قَالَ: أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ"**[3].

إنّ الأمة المسلمة ينبغي أن تدرك خيريتها لتعرف حقيقتها وقيمتها، وتعرف أنها أخرجت للناس لتكون في الطليعة، ولتكون لها القيادة، تقود للخير لا للشر في هذه الأرض, ومن ثم لا ينبغي لها أن تتلقى من غيرها من أمم الجاهلية, إنما ينبغي دائما أن تعطي هذه الأمم مما لديها من خير عظيم في كل المجالات, وأيضاً لا بد لها من الإيمان أيضا ليملك الدعاة إلى الخير، الآمرون بالمعروف، الناهون عن المنكر، أن يمضوا في هذا الطريق الشاق، ويحتملوا تكاليفه[4].

ذكر السعدي في تفسير{كنتم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس}:

أنّ هذا مدح من الله تعالى لهذه الأمة, أنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتحقيق شرطي الخيرية وذلك بالايمان الصادق بالله سبحانه وتعالى, ثم بالأمر بالمعروف

---

[1] [آل عمران: ١١٠]

[2] انظر: محمد العبدة ، مفهوم الأمة لماذا لا نستفيد منه؟ مقال١٤٢٥/٣/٢١، في موسوعة البحوث والمقالات العلمية ،اعداد علي الشحوذ، .

[3] محمد بن عيسى الترمذي ،سنن الترمذي , كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, باب من سورة آل عمران, حديث رقم: ٣٠٠١،قال الترمذي: هذا حديث حسن،ج١ , ص: ٧٣٩.

[4] انظر::سيد قطب ، في ظلال القرآن, , ج ١, ص: ٤٤٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله, وجهادهم على ذلك, وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغيهم وعصيانهم[1].

٢. الأمة الإسلامية هي الأمة الوسط.

إنها الأمة التي جعلها الله عزّ وجلّ أمة وسطا التي تشهد على الناس جميعا، فتقيم العدل والقسط بينهم وتضع لهم الموازين والقيم وتبدي فيهم رأيها فيكون هو الرأي المعتمد وتزن قيمهم وتصوراتهم, قال تعالى مبينا فضل هذه الأمة:قال تعالى:وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2].

أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- : "**يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ, فَيَقُولُ لأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ لاَ, مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ, فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ -صلى الله عليه وسلم- وَأُمَّتُهُ, فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ, وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ }, وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ**"[3].

"يعني جل ثناؤه بقوله: **(وكذلك جَعلناكم أمة وسطا)**، كما هديناكم أيّها المؤمنون بمحمد عليه الصلاة والسلام, وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقِبلة إبراهيم وملته، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم ففضّلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمة وسطًا"[4].

إنّ الأمة الإسلامية هي أفضل الأمم, لاحتياج الأمم الغابرة إليها, واستغناء هذه الأمة عنهم بكمال نبيها ورسالته, فلم يحوج الله الأمة بعده إلى محدث ولا ملهم ولا صاحب كشف.

---

[1] انظر: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله, السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة, الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م, سورة آل عمران, ج ١, ص: ١٤٣.

[2] [البقرة :١٤٣].

[3] محمد بن إسماعيل البخاري ،صحيح البخاري , كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة, باب قوله تعالى: {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}, وما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم الجماعة وهم أهل العلم, حديث رقم: ٧٣٤٩, ج ١, ص: ١٠٠٨.

[4] محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق أحمد محمد شاكر ،مؤسسة الرسالة ،ط١،٢٠٠٠م،ج٣،ص:١٤١-١٤٣..

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أخرج مسلم في (صحيحه) من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: " **قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ**"[1], قال ابن القيم معلقا على الحديث:

"وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية رحمه الله يقول: جزم بأنهم كائنون في الأمم قبلنا, وعلق وجودهم في هذه الأمة بإنّ الشرطية, مع أنها أفضل الأمم لاحتياج الأمم قبلنا إليهم, واستغناء هذه الأمة عنهم بكمال نبيها ورسالته, فلم يحوج الله الأمة بعده إلى ولا صاحب كشف, ولا منام, فهذا التعليق لكمال الأمة واستغنائها, لا لنقصها"[2].

٣. الأمة الإسلامية أمة مجتباة.

لقد اختار الله الأمة واصطفاها من الأمم, واختار لها الدين ورضيه لهم, لتحمله وتبلغه إلى الناس كافة، ولتكون كذلك شاهدة عليهم, واختار الله عزّ وجلّ لهذه الأمة أفضل الكتب, وأفضل الرسل.

قال تعالى:﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ﴾[3].

"وقوله:{ هُوَ اجْتَبَاكُمْ } أي: يا هذه الأمة، الله اصطفاكم واختاركم على سائر الأمم، وفضلكم وشرفكم وخصكم بأكرم رسول، وأكمل شرع"[4].

واختار الله عزّ وجلّ أيضا واصطفى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من هذه الأمة، فرسول الله -صلى الله عليه وسلم- خيار، من خيار، من خيار، وكانت أمته كذلك.

أخرج مسلم في (صحيحه) من حديث وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ يقول: سمعت رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: " **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ, وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ, وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ, وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**"[5].

---

[1]: مسلم بن الحجاج النيسابوري ،صحيح مسلم ،كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ،باب من فضائل عمر رضي الله عنه،حديث رقم: ٢٣٩٨،ج١،ص:٦١٦.

[2] ابن قيم الجوزية: أبو عبد الله الزرعي محمد بن أبي بكر أيوب ،**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق** : محمد حامد الفقي،ط٢، دار الكتاب العربي ،بيروت،١٩٧٣،ج١،ص:٣٩.

[3] [الحج ٧٨].

[4]ابن كثير: إسماعيل بن عمر القرشي, **تفسير القرآن العظيم**, دار طيبة للنشر والتوزيع, الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩, سورة الحج, ج ٥, ص: ٤٥٥.

[5]:مسلم بن الحجاج النيسابوري ، **صحيح مسلم** ، كتاب الفضائل، بَاب فَضْلِ نَسَبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَسْلِيمِ الْحَجَرِ عَلَيْهِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، حديث رقم: ٢٢٧٦، ج١، ص:٥٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولا يكون الاصطفاء والاجتباء لهذه الأمة ونبيها، إلا لفضلها وعلو شأنها، وقد أخبر الله عزّ وجلّ هذه الأمة بمكانتها, كي لا تذلّ في مجال الصراع، ولا تهون في ميدان الخصام وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[1].

لقد ادَّعي كل من اليهود والنصارى والوثنيين أنهم الأفضل والأكمل، وأنّ غيرهم دونهم, والحقّ أنّ الأمة الإسلامية هي خير الأمم, فهي امة وسطاً كما ذكرها الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم, وقد تمّ بيان ذلك بالوسطية الأفضلية، وهذا التصريح جاء في قوله تعالى:

﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[2].

٤. الأمة الإسلامية لا تجتمع على ضلالة.

لقد أكرم الله تبارك وتعالى الأمّة الإسلامية في الدّنيا بالعصمة لها من أن تجتمع على ضلالة, فصانها من الخطأ عند اجتماعها, والمتتبع لفضل الأمة الإسلامية يجد هذه العصمة سر من أسرار خيريتها, وأنّ نفي الضلالة في اجتماعها منشأه أسباب عدة أهمها:

أ. إجماع الأمة واجتماعها وخاصة في القرون الثلاثة الخيرية الأولى, وفي طليعتهم الخلفاء الراشدون, ومن تبعهم من الأمة بإحسان إلى يوم الدين, نهلوا من النبع الزلال, وتميزوا بالفهم الصحيح للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فسلكوا الطريق السويّ السليم للعمل بهما, وتطبيقهما واقعاً عملياً في حياتهم، ففهموا مقاصد الشريعة ومبتغاها, وميزوا بين الحق والباطل، فكان أمراً مستبعداً أن يجتمعوا على باطل, أو تعتريهم ضلالة, فلذلك كان الإجماع المنضبط بضوابط الشرع مصدراً من مصادر التشريع, وكان حجة ودليلاً ملزماً.

ب. إنّ الأمة المسلمة ورثت واجب الدعوة من نبيها -صلى الله عليه وسلم-, ورسالتها عالمية, فكانت خير الأمم وشاهدة على الناس كلهم, ولذلك لم يكن لها لتضل الطريق وتجتمع على ضلالة, فحملت واجب الدعوة, فإذا ضلّ بعض أفرادها وانحرفوا لكنها لا تجتمع أبداً على ضلالة.

---

[1] [آل عمران ١٣٩].
[2] [آل عمران ١١٠].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أخرج ابن أبي عاصم من حديث كعب بن عاصم الأشعري, قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: "**إن الله قد أجار أمتي أن تجتمع على ضلالة**"[1].

ومن أنواع الفضل في النصوص النبوية أنّ **هذه الأمة لا تجتمع أبدا على ضلالة**، والمقصود بها أمة المؤمنين المستمسكين بما كان عليه النبي –صلى الله عليه وسلم–، فإنها لا تجتمع على ضلالة كما قال جل وعلا: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[2], وقال تعالى:﴿ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾,وسبيل المؤمنين هو سبيل هذه الأمة التي لم تفترق, ولن تتفرق في دينها،

ويستطيع المرء المسلم أن يعصِم نفسه من الضلال بأن يلتزم على ما أجمعت عليه الأمة، فمن التزم بالعقيدة بما أجمعت عليه الأمة عند حلول الأقوال المختلفة, والأهواء المتباينة فإنه على سبيل نجاة ورشد, فالمسلم يلتمس السبيل القويم الذي سار عليه السلف الصالح من أهل السنة والجماعة[3].

٥. الحماية الربانية للأمة الإسلامية من الهلاك والاستئصال.

إنّ الأمة الإسلامية محفوظة من الهلاك والاستئصال، فهي لا تهلك بسنة عامة ولا بجوع ولا بغرق، ولا يسلط الله عليها عدوا من غيرها، يستأصل شأفتها، وينهي حياتها ولو اجتمع عليها كل أهل الأرض, فإن ضعفت الأمة مرات عديدة لكنها لا تموت أبداً, حتي يرث الله عزّ وجلّ الأرض ومن عليها, بخلاف غيرها من الأمم, فأنهم أهلكوا بالسنين والعذاب, وسلط الله عزّ وجلّ عليهم عدوا دمّر أولهم وآخرهم.

أخرج مسلم في صحيحه من حديث ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– : "**إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ, فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا, وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا, وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ, وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ, وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ, وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي**

---

[1] احمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك ابن مخلد الشيباني ، أبو بكر بن أبي عاصم ، **السنة** ،حديث رقم ٧٠،ج١،ص:٩٢ ، قال الألباني في " **السلسلة الصحيحة** بمجموع هذه الطرق حسن. ٣ / ٣١٩ .

[2] [النساء١١٥]

[3] انظر: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ, **شرح عدة متون في العقيدة, قسم العقيدة**, شرح كتاب فضل الإسلام, ج ١٥, ص: ٢٦،..

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إذا قضَيْتُ قضَاءً فإنَّهُ لا يُرَدُّ, وَإنِّي اعْطَيْتُكَ لِأمَّتِكَ أنْ لا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ, وأنْ لا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ, وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأقْطَارِهَا, أوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أقْطَارِهَا, حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا"[1].

والسنة العامة هي القحط والجدب، اي لا تعمهم السنة كافة فيهلكوا عن آخرهم، فأما أن يجدب قوم ويخصب آخرون, فهذا يجري لهذه الأمة بين الفينة والأخرى, وقد جرى لهم ذلك, إلا أن ذلك لم يكن على سبيل العموم والاستيعاب لكافة الأمة فلم يكن في شيء منها خلف الخبر[2].

لقد توعد الله سبحانه وتعالى الأمم بالعذاب وقد حلّ بهم، وقد استقلت الأمة بسلامتها ونجاتها من الهلاك والعذاب ولم يلحق بها ما لحق الأمم والأقوام الغابرة .

أخرج الطبراني في المعجم الكبيرمن حديث نَافِع بن خَالِدٍ الخُزَاعِيِّ ، عَنْ أبِيهِ ، قَالَ :" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إذَا صَلَّى وَالنَّاسُ حَوْلَهُ, صَلَّى صَلاةً خَفِيفَةً, تَامَّةَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ, فَجَلَسَ يَوْمًا ، فَأطَالَ الْجُلُوسَ حَتَّى أوْمَا بَعْضُنَا إلَى بَعْضٍ أنِ اسْكُتُوا، فَإنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُوحَى إلَيْهِ، فَلَمَّا قَرَعَ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أطَلْتَ الْجُلُوسَ حَتَّى أوْمَا بَعْضُنَا إلَى بَعْضٍ أنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْكَ ، فَقَالَ : لا , وَلَكِنَّهَا صَلاةُ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ سَأَلْتُ اللَّهَ فِيهَا ثَلاثًا فَأعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً ، سَأَلْتُهُ أنْ لا يُعَذِّبَكُمْ بِعَذَابٍ عُذِّبَ بِهِ مَنْ قَبْلَكُمْ ، وَسَأَلْتُهُ أنْ لا يُسَلِّطَ عَلَى عَامَّتِكُمْ عَدُوًّا يَسْتَبِيحُهَا ، فَأعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أنْ لا يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأسَ بَعْضٍ ، فَمَنَعَنِيهَا ، قُلْتُ لَهُ : أبُوكَ سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ؟ قَالَ : نَعَمْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ إنَّهُ سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَدَدَ أصَابِعِي هَذِهِ الْعَشْرِ الأصَابِعِ"[3].

إنّ مظاهر الحماية الربانية عديدة, وهذا واضح من الأحاديث النبوية سالفة الذكر, وغيرها من

الأحاديث في مسند الإمام أحمد وغيره بأسانيد صحيحة, وتتمثل بعض هذه المظاهر بالآتي:

أ. حماية الأمة الإسلامية من القحط والجوع, وهلاكهم بالسنين.

---

[1]:مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ،حديث رقم: ٢٨٨٩ ، ج١،ص:٧٣٠.

[2] انظر: أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي, معالم السنن, المطبعة العلمية – حلب- الطبعة الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ج ٤, ص: ٣٩٩.

[3] الطبراني، المعجم الكبير،باب الخاء، ،حديث رقم: ٤١١٥،ج٤،ص:١٩٣.وقال الهيثمي، رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح غير نافع بن خالد وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه أحد ورواه البزار ،(الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ،دار الفكر، بيروت ، ١٤١٢ هـ ،حديث رقم: ١١٩٧٢،ج٧،ص:٤٥٤).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب. حماية الأمة من الغرق.

ج. حماية الأمة من عدو يدمرها, ويستبيح بيضتها.

د. حماية الأمة من عذاب وقع على أقوام قبلها.

٦. رفع المشقة والحرج عن الأمة الإسلامية, وتمييزها عن سائر الأمم.

لقد رفع الله عزّ وجلّ عن هذه الأمة الآصار والأغلال التي كانت على الأمم السابقة، ودفع عنها كذلك المشقة والحرج, وجعل لهذه الأمة فسحة في دينها, فأحلّ لها كثيرا ممّا حرّم على غيرها، ولم يجعل عليها من عنت وشدّة, وقد أخذت هذه الميزة العديد من المظاهر أهمها:-

أ . لم يجعل الله عزّ وجلّ عليها من حرج ولا عنت ولا شدة، بل يسر لهذه الأمة وفرج عليها في العقائد والعبادات والمعاملات.

قال تعالى:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1].

أخرج البخاري في (صحيحه) من حديث سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم-" **بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ قَالَ يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا**"[2]

ب. تجاوز الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وعما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم.

أخرج البخاري في (صحيحه) من حديث أبي هريرة, عَنْ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: " **إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا, مَا لَمْ تَعْمَلْ, أَوْ تَتَكَلَّمْ** "[3].

وأخرج مسلم في (صحيحه) من حديث أبي هُرَيْرَةَ, قال: "**لما نزلت عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-{ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }, قَالَ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-, فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-, ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ, فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ كُلِّفْنَا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ, الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ, وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا, قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -**

---

[1] [البقرة ,الآية:١٨٥].

[2] محمد بن إسماعيل البخاري ،صحيح البخاري , كِتَاب الجهاد والسير, باب مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّنَازُعِ وَالاخْتِلافِ فِي الْحَرْبِ وَعُقُوبَةِ مَنْ عَصَى إِمَامَهُ ، حديث رقم: ٣٠٣٨، ج ١، ص: ٤٠٩.

[3] محمد بن إسماعيل البخاري ،صحيح البخاري ،كتاب الطلاق، بَاب الطَّلاق فِي الإِغْلاق وَالكُرْهِ وَالسَّكْرَان وَالمَجْنُون وَأَمْرِهِمَا وَالغَلَطِ وَالنِّسْيَان فِي الطَّلاق،حديث رقم: ٥٢٦٩ ،ج١،ص:٧٥٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

صلى الله عليه وسلم-: أُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ, قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ, فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ, فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا{ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }, فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ{ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا }, قَالَ: نَعَمْ, { رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا }, قَالَ: نَعَمْ, { رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ }, قَالَ: نَعَمْ, { وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ }, قَالَ: نَعَمْ"[1].

ج. جعل الله عزّ وجلّ الأرض للأمة مسجداً وطهوراً.

فأيما عبد أدركته الصلاة ولم يجد ماء ولا مسجدا فعنده طهوره ومسجده، فيتيمم ويصلي, بخلاف الأمم التي من قبلنا فإن صلاتهم في أماكن مخصوصة كالبيع والصوامع.

أخرج البخاري في (صحيحه) من حديث جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-:"أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي, نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ, وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا, وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ, وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ, وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً, وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً, وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ"[2].

د. نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن التشديد على النفس.

أخرج البخاري في (التاريخ الكبير) عن أبي أمامة رضي الله عنه, بن سهل بن حنيف, عن أبيه, عن جده, عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: " لا تشددوا على أنفسكم, فإنما هلك من قبلكم بتشديدهم على أنفسهم, وستجدون بقاياهم في الصوامع والديارات"[3].

وأخرج احمد في (المسند) من حديث حذيفة رضي الله عنه قالَ: " بَلَغَهُ أَنَّ أَبَا مُوسَى كَانَ يَبُولُ فِي قَارُورَةٍ, وَيَقُولُ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا إِذَا أَصَابَ أَحَدَهُمْ الْبَوْلُ قَرَضَ مَكَانَهُ, قَالَ حُذَيْفَةُ: وَدِدْتُ أَنَّ صَاحِبَكُمْ لَا يُشَدِّدُ هَذَا التَّشْدِيدَ, لَقَدْ رَأَيْتُنِي نَتَمَاشَى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -

---

[1] مسلم بن الحجاج النيسابوري ،صحيح مسلم ،كتاب الإيمان، بَاب بَيَان أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يُكَلِّفْ إِلَّا مَا يُطَاقُ،حديث رقم: ١٢٥،ج١،ص:٤٠.

[2] محمد بن إسماعيل البخاري ،البخاري: محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، كِتَاب الصَّلَاةِ، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، حديث رقم: ٤٣٨، ج١، ص:٦٧.

[3] محمد بن إسماعيل البخاري ، إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله ، التاريخ الكبير، تحقيق : السيد هاشم الندوي، دار الفكر،حديث رقم: ٢٠٩٠،ج٤،ص:٩٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

صلى الله عليه وسلم- فَانْتَهَيْنَا إِلَى سُبَاطَةِ, فَقَامَ يَبُولُ كَمَا يَبُولُ أَحَدُكُمْ, فَذَهَبْتُ أَتَنَحَّى عَنْهُ, فَقَالَ: ادْنُهْ, فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى كُنْتُ عِنْدَ عَقِبِهِ"[1].

هـ. جعل الله لهذه الأمة فسحة في دينها.

أخرج أحمد في (المسند) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- يَوْمَئِذٍ:" **لِتَعْلَمَ يَهُودُ أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ"**[2].

٧. هداية الله عزّ وجلّ هذه الأمة إلى يوم الجمعة واختلاف الأمم السابقة فيه.

إنّ يوم الجمعة هو سيّد الأيام, وهو خير يوم طلعت فيه الشّمس، ففيه خُلق آدم عليه السّلام، وفيه أدخل الجنّة، وفيه أخرج منها، وفيه تقوم السّاعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا إلّا أعطاه ما سأل، وفيه صلاة الجمعة الّتي أمر الله بالسّعي إليها وترك العمل, فهذا اليوم بكل ما فيه من أحداث جسام, وفضائل جمة قد هدى الله عزّ وجلّ إليه هذه الأمة, وجعله خاصاً بها, في الوقت الذي ضلت عنه الأمم السابقة واختلفوا فيه.

أخرج البخاري في (صحيحه) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ:" **نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِى فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللَّهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، الْيَهُودُ غَدًا وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ"**[3].

٨. صفوف الأمة في الصلاة كصفوف الملائكة.

لقد خصّ الله عزّ وجلّ هذه الأمّة بأن جعل صفوفها في الصّلاة كصفوف الملائكة, وهذا أكرام لهذه الأمة على سائر الأمم, والملائكة يتمون الصفوف, ويتراصون في الصف.

أخرج مسلم في (صحيحه) من حديث حُذَيْفَة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "**فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلاثٍ جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلائِكَةِ وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدْ الْمَاءَ**"[4], وَذَكَرَ خَصْلَةً أُخْرَى.

٩. وجود طائفة من هذه الأمة يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة.

أخرج مسلم في (صحيحه) من حديث جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: "**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ:**

---

[1] احمد بن حنبل الشيباني ، **مسند احمد** ،حديث رقم: ٢٣٢٤٨،ج٣٨،ص:٢٨٤، تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين، قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٢٠٤٣ **في صحيح الجامع**(الألباني محمد ناصر الدين، **الجامع الصغير وزيادته**، المكتب الإسلامي،حديث رقم: ٣٨٠٦،ج١،ص:٣٨١).

[2]:: احمد بن حنبل الشيباني ،**مسند احمد**،حديث رقم: ٢٤٨٩٩ ، تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث قوي وهذا سند حسن، ج٦،ص:١١٦.

[3] محمد بن إسماعيل البخاري **صحيح البخاري** , كِتَاب الْجُمُعَةِ, بَاب فَرْضِ الْجُمُعَةِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى{إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}, حديث رقم: ٨٧٦، ج ٢, ص: ٢.

[4]مسلم بن الحجاج النيسابوري ،**صحيح مسلم** , كتاب المساجد, حديث رقم: ١١٩٣ , ج ٢, ص: ٦٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ -صلى الله عليه وسلم- فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا, فَيَقُولُ: لاَ, إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ, تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الأُمَّةَ"[1].

١٠. الأمة الإسلامية يجمعها الدين, ومكلفة بما كلف الله عزّ وجلّ به الأنبياء.

لقد جعل الله هذه الأمة بهذه الخاصية مستقلة متميزة عن سائر الأمم, فكل نبي تنتهي دعوته بموته، إلا أمّة الإسلام, أمّة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- ، شرفها الله بأن جعل علمائها ورثة الأنبياء، وكلّف الناس جميعهم بدعوة الأنبياء.

أخرج أبو داود في (سننه) من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: "أَنَّ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- جَالِسٌ, فَصَلَّى, قَالَ ابْنُ عَبْدَةَ: رَكْعَتَيْنِ, ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا, فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا, ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَالَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ, فَأَسْرَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَنَهَاهُمْ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- وَقَالَ: إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ, وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ, صُبُّوا عَلَيْهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ, أَوْ قَالَ: ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ"[2].

وأخرج احمد في مسنده من حديث زيد بن ثابت " خَرَجَ مِنْ عِنْدِ مَرْوَانَ نَحْوًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ, فَقُلْنَا: مَا بَعَثَ إِلَيْهِ السَّاعَةَ إِلَّا لِشَيْءٍ سَأَلَهُ عَنْهُ, فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُهُ, فَقَالَ: أَجَلْ سَأَلَنَا عَنْ أَشْيَاءَ سَمِعْنَاهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-, سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ, فَإِنَّهُ رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ, وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ, ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ أَبَدًا, إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ, وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأَمْرِ, وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ, فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ, وَقَالَ: مَنْ كَانَ هَمُّهُ الْآخِرَةَ, جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ, وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ, وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ, وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ الدُّنْيَا, فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ, وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ, وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ, وَسَأَلْنَا عَنْ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَهِيَ الظُّهْرُ"[3].

أي أنّ كل مسلم مكلف بالدعوة إلى الله, والتبليغ عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

.

---

[1] المرجع السابق: كتاب الإيمان, باب نُزُول عِيسَى ابن مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم , حديث رقم: ٤١٢،ج ١, ص: ٩٥.

[2] أبو داود السجستاني ، **سنن أبو داود** ،كتاب الطهارة، باب الأرض يصيبها البول ،حديث رقم،٣٨٠،ج١،ص:٧٣، وقال الشيخ الألباني : (صحيح) (الألباني محمد ناصر الدين، **صحيح وضعيف أبو داوود** برنامج منظومة التحقيقات الحديثية ، المجاني ، من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية،، حديث رقم: ٣٨٠،ج١،ص:٣٨٠).

[3] احمد بن حنبل الشيباني ، **مسند احمد** ،حديث رقم: ٢١٥٩٠ ، تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح، ج٣٥،ص: ٤٦٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أخرج البخاري في صحيحه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه, أَنَّ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم– قَالَ: **"بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً, وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ, وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ"**[1].

فالتبليغ عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في الحديث (ولو آية), أي واحدة ليسارع كل سامع لأمر متيقن إلى تبليغ ما وقع له من الآي وبذلك يتصل نقل جميع ما جاء به –صلى الله عليه وسلم–, وهذا ما تميزت به أمّة الإسلام, واستقلت به عن الأمم السابقة في الدعوة إلى الله، فبقيت الدعوة قائمة، حتى بعد موت النبي –صلى الله عليه وسلم–[2].

١١. أحلت الغنائم لهذه الأمة.

أخرج البخاري في صحيحه من حديث جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–:**"أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي, نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ, وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا, وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ, وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ, وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً, وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً, وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ"**[3].

ثانياً:– خصائص الأمة الإسلامية في الآخرة وفضائلها[4]:

لقد اختصّ الله عزّ وجلّ هذه الأمّة بالعديد من الخصائص والفضائل في الآخرة لم تعطها غيرها من الأمم وفي ذلك تشريف وتكريم لنبيّها –صلى الله عليه وسلم–، ومن أهم هذه الخصائص والفضائل[5]:

١. الأمة الإسلامية شاهدة على الأمم يوم القيامة.

إنّ هذه الأمّة هي خير الأمم وأفضلها، وقد خصّها الله عزّ وجلّ بأكمل شريعة وأقوم منهاج , فشريعتها واضحة بينة، وهذه الأمة وسط بين الملل بعيدة عن الغلو والتطرف، وتأتي هذه الأمة شاهدة على الأمم أن أنبيائها قد بلغوا رسالاتهم, وأدوا ما عليهم من واجب التبليغ والدعوة.

---

[1] ، محمد بن إسماعيل البخاري ،**صحيح البخاري** ، كتاب الأنبياء، **باب مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**، حديث رقم: ٣٤٦١، ج١، ص:٤٧٣.

[2] انظر: بن حجر العسقلاني ، **فتح الباري** ، ج ٦, ص: ٤٩٦.

[3] محمد بن إسماعيل البخاري ،**صحيح البخاري** ، كِتَاب الصَّلَاةِ، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، حديث رقم: ٤٣٨، ج١، ص:٦٧.

[4] انظر: علي بن نايف الشحود ،**خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم** ،ط١ ،١٤٣٠هـ،ص١٢٨-٢٣٤، .

[5] انظر: محمد العبدة ، مفهوم الأمة لماذا لا نستفيد منه؟ مقال١٤٢٥/٣/٢١، في موسوعة البحوث والمقالات العلمية ،إعداد علي الشحوذ، و انظر: علي بن نايف الشحود ،**خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم** ،ط١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قـــال تعـــالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1].

"ومن شهادة هذه الأمة على غيرهم، أنه إذا كان يوم القيامة، وسأل الله المرسلين عـــن تبليغهم، والأمم المكذبة عن ذلك، وأنكروا أن الأنبياء بلغتهم، استشهدت الأنبياء بهذه الأمـــة، وزكاها نبيها

وفي الآية دليل على أنّ إجماع هذه الأمة، حجة قاطعة، وأنهم معصومون عن الخطـــأ، لإطلاق قوله: { وَسَطًا } فلو قدر اتفاقهم على الخطأ، لم يكونوا وسطا، إلا في بعض الأمور، ولقوله: { ولتكونوا شهداء على الناس } يقتضي أنهم إذا شهدوا على حكـــم أن الله أحلـــه أو حرمه أو أوجبه، فإنها معصومة في ذلك, وفيها اشتراط العدالة في الحكم، والشهادة، والفتيـــا، ونحو ذلك"[2].

أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- : **"يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى هَلْ بَلَّغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ فَيَقُـــولُ لأُمَّتِهِ هَلْ بَلَّغَكُمْ فَيَقُولُونَ لاَ مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ فَيَقُولُ لِنُوحٍ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ** -صلى الله عليه وسلم- **وَأُمَّتُهُ فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ}, وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ"**[3].

٢. الأمة الإسلامية آخر الأمم وهي السابقة يوم القيامة.

لقد جعل الله عزّ وجلّ هذه الأمّة آخر الأمم زمانا، ولكنها الأولى في المنزلة والفضل، وهي سابقة لكل الأمم في الآخرة.

أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: **"نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَـــابَ**

---

[1] [البقرة :١٤٣].

[2] السعدي: **تفسير السعدي**, , ج ١, رقم الصفحة.٧٠.

[3] **البخاري: صحيح البخاري** , كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة, باب قوله تعالى: {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}, وما امر النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم الجماعة وهم أهل العلم, حديث رقم: ٧٣٤٩, ج ١, ص: ١٠٠٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللَّهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، الْيَهُودُ غَدًا وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ"[1].

ويتخذ هذا السبق مظاهر عدة أهمها:

أ. الأمة الإسلامية أول من يحاسب يوم القيامة.

ب. الأمة الإسلامية أول من يدخلون الجنة

أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه, قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: "نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ, وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ, بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا, وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ, فَاخْتَلَفُوا, فَهَدَانَا اللَّهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ, فَهَذَا يَوْمُهُمْ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ, هَدَانَا اللَّهُ لَهُ قَالَ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ, فَالْيَوْمَ لَنَا, وَغَدًا لِلْيَهُودِ, وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى"[2].

ج. الأمة ونبيهم –صلى الله عليه وسلم– أول من يجيز الصراط يوم القيامة.

أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه, أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: " وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ, فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ"[3].

٣. الأمة الإسلامية أكثر أهل الجنة.

أخرج البخاري في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه, قال: " كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ فِي قُبَّةٍ, فَقَالَ: أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْنَا: نَعَمْ, قَالَ: أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْنَا: نَعَمْ, قَالَ: أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْنَا: نَعَمْ, قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ, إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ, وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ, وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ, أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ"[4].

٤. يأتي أتباع النبي –صلى الله عليه وسلم– وأمته يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء.

أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه "أن رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– أَتَى الْمَقْبُرَةَ, فَقَالَ: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ, وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ, وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا, قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي,

---

[1] البخاري : صحيح البخاري , كِتَاب الْجُمُعَةِ, بَاب فَرْضِ الْجُمُعَةِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى{إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}, ج ٢, ص: ٢, حديث رقم: ٨٧٦.

[2] النيسابوري : صحيح مسلم ، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، حديث رقم:٨٥٥، ج١، ص:٢٠٣.

[3] النيسابوري : صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، بَاب مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ، حديث رقم:١٨٢، ج١، ص:٥٧.

[4]: محمد بن اسماعيل البخاري, صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، حديث رقم: ٦٥٢٨، ج١، ص:٩٠٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ, فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ, أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ, قَالَ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ, وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ, أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ, أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ, فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا "[1], قال ابن حجر في الفتح: " ثبت أن الغرة والتحجيل خاص بالأمة المحمدية"[2].

٥. ميز الله عزّ وجلّ هذه الأمة عن اليهود والنصارى وغيرهم من الأمم بكثرة العطاء والأجر مع قلة العمل وقصر العمر.

إنّ هذه الأمة هي أقلّ الأمم عملا ممّن سبقها من الأمم, وأكثرها أجراً وثواباً.

أخرج الترمذي في صحيحه من حديث ابْن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– قَالَ: " **إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِيمَا خَلَا مِنَ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ, وَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى, كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالًا, فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ الْيَهُودُ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ, فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ النَّصَارَى عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ, ثُمَّ أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ, فَغَضِبَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى, وَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلُّ عَطَاءً, قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا, قَالُوا: لَا, قَالَ: فَإِنَّهُ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ**"[3].

والمراد من هذا التشبيه بالعمال في الحديث السالف الذكر تفاوت أجورهم, وأن ذلك ليس منوطا بكثرة العمل وقلته، فكم من عمل قليل أجدى ما لا يجديه العمل الكثير، ويترتب له الأجر والثواب الجزيل كليلة القدر مثلاً, فهي خير من ألف شهر, وهؤلاء أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم– أنفقوا في أوقات لو أنفق غيرهم من الذهب مثل أحد ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه من تمر, فهذه الأمة إنما شرفت وتضاعف ثوابها ببركة سيادة نبيها وشرفه وعظمته[4].

---

[1] مسلم بن الحجاج النيسابوري, **صحيح مسلم** ، كتاب الإيمان ، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ،حديث رقم:٢٤٩،ج١،ص:٧٤.

[2] **ابن حجر العسقلاني: فتح الباري** ،ج١١،ص:٤٥٨.

[3] أبو عيسى الترمذي: **سنن الترمذي** ، كِتَاب الْأَمْثَال عَنْ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَاب مَا جَاءَ فِي مَثَل ابْن آدَمَ وَأَجَلِهِ وَأَمَلِهِ، حديث رقم:٢٨٧١،ج١،ص:٧٠٨، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ،وصححه الألباني، (الجامع الصغير وزياداته، حديث رقم: ٤٠٧٩،ج١،ص:٤٠٨).

[4] انظر: ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي, **البداية والنهاية**, دار إحياء التراث العربي, الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ ،ج ٢, ص: ١٧٦.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

قال ابن بطال: "كذلك حديث ابن عمر، لما كان المسلمون أكثر أجرًا من أهل التـوراة وأهل الإنجيل, دلّ ذلك على فضل القرآن على التوراة والإنجيل, لأنّ المسلمين إنما اسـتحقوا هذه الفضيلة بالقرآن الذي فضلهم الله به، وجعل فيه للحسنة عشر أمثالها وللسيئة واحدة"[1]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

[1] شرح ابن بطال، ج ١٩ ، ص ٣٣٧.

المطلب الثاني

شمول استقلالية الإسلام في ضوء السنة النبوية

قال تعالى:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾[1].

إنّ شريعة الإسلام تتسم بالشمولية والتفرد, ولا تقتصر هذه الشمولية على إطار محدد من أطر الإسلام وجوانبه, ولا تنحصر في بوتقة ضيقة, فرسالة الإسلام عالمية, وأمة الإسلام خير الأمم, وقد تناول الإسلام شؤون المسلم من جميع الزوايا والأطراف في تحديده لإطار العقيدة النقية التي لا تشوبها شائبة, ولا يعتريها نقص, وكذلك شمولية الإسلام في جميع مقومات الحياة وأسبابها, فامتدت هذه الشمولية لتشمل الجانب السلوكي والعملي كالعبادات والعادات والمعاملات, فلم تترك الشريعة جزئية من جزئيات الحياة إلا وكان لها حكماً صائباً, وتصوراً لا يدانيه تصور.

أخرج الطبراني في (المعجم الكبير) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال: تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ، وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ، إِلا وَهُوَ يُذَكِّرُنَا مِنْهُ عِلْمًا، قَالَ: فَقَالَ: -صلى الله عليه وسلم-: **"مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ، إِلا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ"**[2].

"اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: يعني جل ثناؤه بقوله: **"اليوم أكملت لكم دينكم"**، اليوم أكملت لكم، أيها المؤمنون، فرائضي عليكم وحدودي، وأمري إياكم ونهيي، وحلالي وحرامي، وتنزيلي من ذلك ما أنزلت منه في كتابي، وتبياني ما بيَّنت لكم منه بوحيي على لسان رسولي، والأدلة التي نصبتُها لكم على جميع ما بكم الحاجة إليه من أمر دينكم، فأتممت لكم جميع ذلك، فلا زيادة فيه بعد هذا اليوم. قالوا: وكان ذلك في يوم عرفة، عام حجَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- حجة الوَدَاع, وقالوا: لم ينزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد هذه الآية شيء من الفرائض، ولا تحليل شيء ولا تحريمه، وأنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يعش بعد نزول هذه الآية إلا إحدى وثمانين ليلة"[3].

---

[1] [المائدة٣] .

[2] أبو القاسم الطبراني, **المعجم الكبير**, حديث رقم: ١٦٤٨, ج ٢, ص: ١٥٥, ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ١٨٠٣, ج ٤, ص: ٤١٦.

[3] القرطبي: **جامع البيان في تأويل القرآن**, , تفسير سورة المائدة, ج: ٩, ص: ٥١٧-٥١٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اتساع إطار شمولية الإسلام ورحابة دائرته.

إنّ دائرة الشمول في الإسلام بعيدة المدى, وقطرها من السعة بحيث يشمل كافة جوانب حياة المسلم, فالعقيدة النقية, وعبادات المسلم, وعاداته, ومعاملاته, وأخلاقه جزء من هذه الدائرة.

شمولية الإسلام للعقيدة.

إنّ الإسلام دين شامل، في أحكامه وقواعده, فهو يشتمل على مصالح العباد في أمر دينهم ودنياهم, ومن أهمها بيان الحقوق المشتركة بين الخالق والمخلوق, حيث برزت فيه حقوق الخالق سبحانه وتعالى على المخلوق واضحة جلية، ونظّم الإسلام كذلك علاقة المخلوق مع سائر المخلوقات, فالعلاقة دقيقة, ومسألة العقيدة من أخطر المسائل في ديننا الحنيف, ومواطن الشرك الخفي قد لا يلحظها إلا ذي لب متبصر, وأخطر الأسباب في الضلال في العقائد هو التشبه بالكافرين، واتباع سننهم, وتقليد خطواتهم, حيث لم تدخل العقائد الفاسدة والبدع في كثير من العبادات إلا عن طريق هذا التشبه الخطير, والتقليد الأعمى.

خصائص العقيدة الإسلامية وسماتها.

إنّ للعقيدة الإسلامية العديد من المزايا والسمات التي تميزها عن غيرها من العقائد والأديان التي نادى بها أصحابها ومعتقديها, فهي نتاج تصور ناقص, وطبيعة بشرية يعتريها الغفلة والنسيان, أمّا العقيدة الإسلامية فهي نقية المصدر, ربانية الوجهة, جاءت من لدن حكيم عليم, وأهم هذه السمات:

أ. الربانية.

إن العقيدة الإسلامية ربانية المصدر, فهي ثابتة لا يعتريها التغيير والتبديل، والربانية هي إفرادُ الله عزّ وجلّ بالقصد والتلقي.

أخرج الترمذي في (سننه) من حديث أبي بن كعب، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال له: "**إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَرَأَ فِيهَا: إِنَّ دَاتَ الدِّينِ عِنْدَ اللهِ الْحَنِيفِيَّةُ الْمُسْلِمَةُ لاَ الْيَهُودِيَّةُ، وَلاَ النَّصْرَانِيَّةُ، مَنْ يَعْمَلْ خَيْرًا فَلَنْ يُكْفَرَهُ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ: وَلَوْ أَنَّ لاِبْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ مَالٍ لاَبْتَغَى إِلَيْهِ ثَانِيًا، وَلَوْ كَانَ لَهُ ثَانِيًا لاَبْتَغَى إِلَيْهِ ثَالِثًا، وَلاَ يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ**"[1].

---

[1] الترمذي: سنن الترمذي,كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،باب مناقب معاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبي ، وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم حديث رقم: ٣٧٩٣, قال الترمذي: حديث حسن صحيح, ج:١, ص: ٩١٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتتسم هذه الخاصية بالعديد من الملامح أهمها:

- القرآن الكريم والسنة الصحيحة هما مصدر العقيدة النقية, فلا ترتبط بشخص أو ملة أو مذهب, فهي عقيدة توقيفية.
- العقيدة الإسلامية تتسم بالكمال ومبرأة من النقائص، سالمة من العيوب، بعيدة عن الحيف والظلم.
- العقيدة منسجمة مع الفطرة الإنسانية, وتلبي حاجاتها, فهذه الفطرة لا يلبيها إلا منهاج قويم ودستور قائم على منهج رباني رصين، فكل الأنظمة المادية وقفت عاجزة عن تلبية احتياجات الفطرة الإنسانية, وألقت بأتباعها في براثن التخلف والظلام.
- أساس التفاضل في العقيدة قائم على التقوى, وليس على اعتبار الجنس أو العرق أو اللون.

ب. الثبات.

العقيدة الإسلامية ثابتة قطعية لا يعتريها شك, ولا خلل, ولا نقص, ولا سهو, ولا يكتنفها غموض، ولا مجال للريب أو الشك فيها على الإطلاق, وسرّ ثباتها أنها عقيدة ربانية المصدر, جاء بها النبي –صلى الله عليه وسلم– من عند الله منزهة عن الخطاء صالحة لكل زمان ومكان, فالثبات سمة لها, والخلل والنقص لا يعتريانها.

قال تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

أخرج الترمذي في (سننه) من حديث العرباض بن سارية، قال: "وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم– يَوْمًا بَعْدَ صَلاَةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ

[1] [الروم: ٣٠]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلاَلَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ"[1].

"وثبات العقيدة نتاج الربانية، وهذا سر ثباتها, فعلى الرغم من انقطاع الوحي الا ان نصوص الدين بقيت ثابته إلى يوم الدين لا ينسخها ناسخ ولا يبدلها كافر, والإنسان يتحرك ويتطور داخل إطار العقيدة الثابت فإذا خرج الإنسان من الإطار الثابت فإنه يتخبط في ظلام حالك لا يعرف بدايته من نهايته[2].

ج. الوسطية.

تتسم العقيدة الإسلامية بالوسطية, فهي موافقة للحق, فلا إفراط ولا تفريط, وأهل السنة, وأصحاب العقيدة الصافية هم وسط في فرق الأمة نفسها، كما أنّ هذه الأمة هي الوسط في سائر الأمم, فلا تنهج نهج الطوائف المنحرفة التي ضلت وأضلت, وتاهت بسبب تهاون بعضها, وتشدد البعض الآخر.

د. الشمول.

تتسم العقيدة الإسلامية بشمولها لجميع حاجات الفرد، بما يحقق له السعادة في الدنيا والآخرة, فجاءت شاملة لمتطلبات قلبه وأحاسيسه, وكذلك جوارحه ومتطلبات حياته، فموضوعاتها الإيمانية مترابطة ومتداخلة مع بعضها البعض، سواء منها ما يتعلق بالإيمان بالله وتوحيده وأسمائه وصفاته، أو الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره شره, فهذا الشمول يستوعب كلّ أركان العقيدة, لا تنفصل جزئياتها عن بعضها بحال.

ه. السهولة والوضوح.

لقد جاءت العقيدة الإسلامية سهلة واضحة, حيث تلقاها أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من غير غموض أو تعقيد, حتى أنّ الأعرابي كان يأتي من عند قومه فيتعلم أصولاً يسيرة في الإيمان والاعتقاد فيرجع إلى قومه معلماً وداعياً إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

أخرج مسلم في (صحيحه) من حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ:" **بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ, فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ, فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ, فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ, فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ, فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-,**

---

[1] الترمذي :سنن الترمذي ,كتاب العلم،باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع, حديث رقم: ٢٦٧٦, قال الترمذي: حديث حسن صحيح،ج١،ص:٦٦٦.

[2] انظر:عبد الله عزام, العقيدة وأثرها في بناء الجيل, ج, ص: ٤٨-٤٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ, فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي, وَلاَ ضَرَبَنِي, وَلاَ شَتَمَنِي, قَالَ: "إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَىْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ, إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ", أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ, وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالإِسْلاَمِ, وَإِنَّ مِنَّا رِجَالاً يَأْتُونَ الْكُهَّانَ, قَالَ: " فَلاَ تَأْتِهِمْ ", قَالَ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ, قَالَ: "ذَاكَ شَىْءٌ يَجِدُونَهُ فِى صُدُورِهِمْ فَلاَ يَصُدَّنَّهُمْ", قَالَ ابْنُ الصَّبَّاحِ: « فَلاَ يَصُدَّنَّكُمْ », قَالَ: قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ, قَالَ:« كَانَ نَبِىٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ, فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ », قَالَ: وَكَانَتْ لِى جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِى قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ, فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا, وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِى آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ, لَكِنِّى صَكَكْتُهَا صَكَّةً, فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-, فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَىَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ, أَفَلاَ أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: "ائْتِنِى بِهَا ", فَأَتَيْتُهُ بِهَا, فَقَالَ لَهَا: " أَيْنَ اللَّهُ ؟", قَالَتْ: فِى السَّمَاءِ, قَالَ: " مَنْ أَنَا ؟". قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ, قَالَ: "أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ "[1].

هذا الحديث من أحاديث الصفات, ويشمل أمرين هامين في الإيمان, **أحدهما:** الإيمان به من غير خوض في معناه مع اعتقاد أن الله تعالى ليس كمثله شيء, وتنزيهه عن سمات المخلوقات, **والثاني:** تأويله بما يليق به, فلما ذكرت المرأة وقالت: في السماء, علم أنها موحدة وليست مشركة, أو عابدة للأوثان[2].

أركان العقيدة الإسلامية.

إنّ الإيمان هو محور العقيدة الإسلامية, وسرّ قوامها, ولا تقوم العقيدة بغير إيمان جازم, ويقين قاطع لا يقبل الشك, ولذلك فإنّ أركان العقيدة الإسلامية هي أركان إيمانية تتطلب القبول والتسليم.

إنّ العقيدة الإسلامية هي الإيمان الكامل بالله سبحانه وتعالى, وملائكته, وكتبه, ورسله, والقدر خيره وشره, وبهذا تميّزت العقيدة الإسلامية عن غيرها من العقائد, واتسمت بالاستقلالية بحد ذاتها.

قال تعالى:

---

[1] مسلم بن الحجاج النيسابوري: **صحيح مسلم**, كتاب المساجد، باب تحريم الكلام فى الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، حديث رقم: ١٢٢٧، ج: ١، ص: ١٣٠.

[2] انظر: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**, كتاب المساجد، باب تحريم الكلام فى الصلاة ونسخ ما كان من إباحته ج: ٥, ص: ٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[1].

أخرج مسلم في (صحيحه) من حديث أبي هُرَيْرَةَ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "سَلُونِي, فَهَابُوهُ أنْ يَسْألُوهُ, فَجَاءَ رَجُلٌ فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ فَقالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْلامُ؟ قالَ: لا تُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا, وَتُقِيمُ الصَّلاةَ, وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ, وَتَصُومُ رَمَضَانَ, قالَ: صَدَقْتَ, قالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِيمَانُ؟ قالَ: أنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ, وَتُؤْمِنَ بِالبَعْثِ, وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ كُلِّهِ, قالَ: صَدَقْتَ, قالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِحْسَانُ؟ قالَ: أنْ تَخْشَى اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ, فَإِنَّكَ إنْ لا تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ, قالَ: صَدَقْتَ, قالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ قالَ: مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ, وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْ أشْرَاطِهَا, إذَا رَأَيْتَ المَرْأَةُ تَلِدُ رَبَّهَا فَذَاكَ مِنْ أشْرَاطِهَا, وَإذَا رَأَيْتَ الحُفَاةَ العُرَاةَ الصُّمَّ البُكْمَ مُلُوكَ الأَرْضِ فَذَاكَ مِنْ أشْرَاطِهَا, وَإذَا رَأَيْتَ رِعَاءَ البُهْمِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ فَذَاكَ مِنْ أشْرَاطِهَا, فِي خَمْسٍ مِنْ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهُنَّ إلَّا اللَّهُ ثُمَّ قَرَأَ{ إنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }قالَ: ثُمَّ قامَ الرَّجُلُ, فَقالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: رُدُّوهُ عَلَيَّ, فَالتُمِسَ فَلَمْ يَجِدُوهُ, فَقالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: هَذَا جِبْرِيلُ أرَادَ أنْ تَعَلَّمُوا إذْ لَمْ تَسْألُوا"[2].

إنّ أركان العقيدة الإسلامية هي:

أ. الإيمان بالله

إنّ أساس العقيدة الإسلامية, وركنها القويم هو الإيمان بالله عزّ وجلّ, وبقية الأركان تبعاً لهذا الركن, فلا يقوم إيمان بغير توحيد الله, وإفراده بالعبودية.

وفيما يلي أهم أركان الإيمان بالله:

- **توحيد الربوبية.**

توحيد الربوبية وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق والملك والتدبير, فالله تعالى هو الخالق وحده، لا خالق سواه، وبهذا تميزت العقيدة الإسلامية بتوحيد الله والإيمان الكامل به

---

[1] [البقرة ٢٨٥].

[2] مسلم بن الحجاج النيسابوري:صحيح مسلم, كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، ج١،ص: ١٦, حديث رقم:١٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عن غيرها من العقائد الزائفة، كعقائد النصارى الذين قالوا بالتثليث، والمجوس القائلين بالأصلين: النور والظلمة وأن العالم صدر عنهما، وغيرها من العقائد الباطلة الفاسدة، فالعقيدة الإسلامية سليمة من كل زيف وتحريف وضلال، وبهذا استقلت بتوحيدها وإيمانها بأن الله ربّ كل شيء، ولا رب سواه .

قال الله تعالى:﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾"[1].

أخرج أبو داود في سننه من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه, عَنْ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–, أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ:" إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ, وَرَبَّ الْأَرْضِ, وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ, فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى, مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ, أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ, أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ, وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ, وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ, وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ, زَادَ وَهْبٌ فِي حَدِيثِهِ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنْ الْفَقْرِ"[2].

إنّ في الحديث دلالة واضحة صريحة أن الله رب كل شيء ولا رب سواه.

•توحيد الإلوهية.

وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة, بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحدا يعبده, أو يتقرب إليه كما يعبد الله تعالى ويتقرب إليه, وهذا النوع من التوحيد هو الذي ضلّ فيه المشركون الذين قاتلهم النبي –صلى الله عليه وسلم–.

أخرج الترمذي في سننه من حديث عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ : "أَتَيْتُ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ, فَقَالَ: يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ, وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ, وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ, وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ"[3].

---

[1] [فاطر٣.]

[2] ، أبو داود السجستاني: سنن أبو داود , كِتَاب الْأَدَبِ ،بَاب مَا يُقَالُ عِنْدَ النَّوْمِ، وقال الألباني صحيح، حديث رقم: ٥٠٥١،ج١،ص:٨١٨.

[3] الترمذي: سنن الترمذي، ,كتاب تفسير القرآن عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ حديث رقم: ٣٠٩٥.قال الألباني حسن.ج١،ص:٧٦٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فأمّة الإسلام متميزة في عباداتها بإفراد العبودية لله، وكل من أفرد العبادة لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له فهو مسلم، بخلاف اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الشرك والكفر والطغيان.

أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "أَنَّ أُنَاسًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: نَعَمْ، هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا قَالَ: وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ وَغُبَّرَاتُ أَهْلِ الكِتَابِ فَيُدْعَى اليَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ فَيُقَالُ لَهُمْ كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ فَقَالُوا: عَطِشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَكَذَلِكَ مِثْلَ الأَوَّلِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ العَالَمِينَ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، فَيُقَالُ: مَاذَا تَنْتَظِرُونَ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ؟ قَالُوا: فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَفْقَرِ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ رَبَّنَا الَّذِي كُنَّا نَعْبُدُ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا"[1]، وفي هذا الحديث تمييز للأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم.

•توحيد الأسماء والصفات.

من ميزات الأمة الإسلامية، والفرقة الناجية من هذه الأمة، أنها تؤمن بأسماء الله وصفاته، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾"[2].

---

[1] محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري ، كتاب التفسير باب تفسير قوله "قل هو الله أحد " النساء، ج١،ص:٦٢٧، حديث رقم: ٤٥٨١.

[2] [الأعراف١٨٠-١٨١].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قال البيهقي في شعب الإيمان:

" فلا نسمي الله عز و جل باسم لم يسم هو به نفسه, و لا رسوله, ولا اتفق المسلمون عليه, قال الله عز و جل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1], ثم قال في إثبات الصفات لله سبحانه وتعالى، أن الله حي قادر عالم مريد سميع بصير متكلم له الحياة والقدرة و العلم و الإرادة و السمع و البصر و الكلام :﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[2], وقال تعالى : ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾[3] وقال : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾[4], أي علمه قد أحاط بالمعلومات كلها ــ إلى سائر الآيات التي وردت في هذا المعنى, وقال :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[5], فاثبت القوة لنفسه, وهي القدرة, و أثبت العلم, فدل أنه عالم بعلم قادر بقدرة "[6].

إنّ الأمة الإسلامية تميزت بسلامة عقيدتها عن سائر الملل والديانات والفرق الضالة, فهي الفرقة الناجية التي سلمت من التعطيل والتشبيه والتجسيم، كاليهود والنصارى وبقية الفرق الضالة.

أخرج الترمذي في سننه من حديث أبي هُرَيْرَةَ قَالَ :"قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- **"يَمِينُ الرَّحْمَنِ مَلَأى سَحَّاءُ, لا يُغِيضُهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ, قَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ**

---

[1] [الأعراف١٨٠].
[2] [البقرة٢٥٥].
[3] [طه٩٨].
[4] [الطلاق١٢].
[5] [الذاريات٥٨].
[6] أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، **شعب الإيمان**، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول دار الكتب العلمية ، بيروت, الطبعة:١٤١٠،١.ج١، ص:١٣٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ, وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ, وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الْمِيزَانُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ"[1].

وذكر الترمذي في مصنفه أيضا:"وَتَفْسِيرُ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[2], وَهَذَا حَدِيثٌ قَدْ رَوَاهُ الأَئِمَّةُ نُؤْمِنُ بِهِ كَمَا جَاءَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُفَسَّرَ أَوْ يُتَوَهَّمَ, هَكَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ الأَئِمَّةِ, مِنْهُمْ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ, وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ, وَابْنُ عُيَيْنَةَ, وَابْنُ الْمُبَارَكِ, أَنَّهُ تُرْوَى هَذِهِ الأَشْيَاءُ وَيُؤْمَنُ بِهَا وَلَا يُقَالُ كَيْفَ"[3].

ويجب أن نثبت أنّ لله أسماء ونؤمن بها، كما أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه, أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: " **إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**"[4].

فالأيمان بالصفات والأسماء خاصية للمؤمنين فحسب، فهم العارفين لها المؤمنين بها.

•الإيمان بالملائكة.

إنّ الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان وجزء مما اشتملت عليه عقيدة المسلم, فالإيمان بوجودهم وحقيقتهم يجب أن لا يتطرّق إليه شك أو ريب، فإنكار وجودهم كفر بالله عزّ وجلّ، قال تعالى:﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾"[5].

إنّ المسلمين يؤمنون بالملائكة كما وصفهم الله سبحانه وتعالى, وبهذا الإيمان يتميزون عن سائر الملل والنحل, فهم ليسوا كالكفرة الذين قالوا إنهم بنات الله, قال تعالى:﴿ وَجَعَلُواْ

---

[1] الترمذي: **سنن الترمذي**، كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من سورة المائدة،حديث رقم:٣٠٤٥،ج١،ص:٧٤٩، قال أبو عيسى حسن صحيح ،وقال الشيخ الألباني : صحيح.

[2] [المائدة ٦٤].

[3] **الترمذي: سنن الترمذي**، كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من سورة المائدة، ج١،ص:٧٤٩.

[4]: محمد بن اسماعيل البخاري, **صحيح البخاري** , كتاب الشروط, باب مَا يَجُوزُ مِنَ الاشْتِرَاطِ وَالثُّنْيَا فِي الإِقْرَارِ،حديث رقم:٢٧٣٦،ج١،ص:٣٦٨.

[5] [النساء١٣٦].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾"[1].

ويتميزون كذلك عن اليهود الذين عادوا جبريل عليه السلام, ولم يؤمنوا به، وهو معلوم لدى علمائهم, ومكتوب في كتبهم، هو رسول السماء إلى الرسل والأنبياء، بأنّهم يؤمنون بالملائكة ويجلوهم ويسلمون عليهم، وأنّ جبريل عليه السلام هو الروح الأمين, قال تعالى:﴿

وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾"[2].

"**الرُّوحُ الأمِينُ**: هو جبريل عليه السلام، قاله غير واحد من السلف: ابن عباس، ومحمد بن كعب، وقتادة، وعطية العوفي، والسدي، والضحاك، والزهري، وابن جريج, وهذا ما لا نزاع فيه.

قال الزهري: وهذه كقوله {مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ[3]}.

وقال مجاهد: من كلمه الروح الأمين لا تأكله الأرض.

عَلى قَلبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ أي: نزل به ملك كريم أمين، ذو مكانة عند الله، مطاع في الملأ الأعلى، عَلى قَلبِكَ يا محمد، سالمًا من الدنس والزيادة والنقص, **لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ** أي: لتنذر به بأس الله ونقمته على من خالفه وكذبه، وتبشر به المؤمنين المتبعين له, وأنّ العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها, والمراد: العدول منهم، الذين يعترفون بما في أيديهم من صفة محمد –صلى الله عليه وسلم– ومبعثه وأمته، كما أخبر بذلك مَنْ آمن منهم كعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، عَمَّنْ أدركه منهم ومَنْ شاكلهم"[4].

---

[1] [الزخرف ١٩].
[2] [الشعراء ١٩٣-١٩٦].
[3] [البقرة٩٧].
[4] ":ابن كثير القرشي: تفسير ابن كثير, ج ٣ ، ص ص:٣٥٩-٣٦٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أخرج البخاري في صحيحه من حديث انس رضي الله عنه قالَ: " سَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ بِقُدُومِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ فِي أَرْضٍ يَخْتَرِفُ ، فَأَتَى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاَثٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ نَبِيٌّ, فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ وَمَا يَنْزِعُ الوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟ قَالَ: أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا, قَالَ: جِبْرِيلُ؟ قَالَ: نَعَمْ , قَالَ ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلاَئِكَةِ . فَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ (مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ)[1] أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرْأَةِ نَزَعَ الوَلَدَ ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ المَرْأَةِ نَزَعَتْ , قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ , يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ ، وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلاَمِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتُونِي , فَجَاءَتِ اليَهُودُ فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- :أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ فِيكُمْ ؟ قَالُوا خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا ، وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا , قَالَ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ ؟ فَقَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ , فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ , فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا , وَانْتَقَصُوهُ , قَالَ: فَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أُخَافُ يَا رَسُولَ اللَّه"[2].

•الإيمان بالكتب السماوية.

تتميز الأمة الإسلامية في إيمانها بالكتب السماوية، أخرج البخاري في صحيحه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "كَانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالعِبْرَانِيَّةِ, وَيُفَسِّرُونَهَا بِالعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الإِسْلاَمِ, فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ, وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ, وَقُولُوا﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾[3]"[4].

فأهل الكتاب هم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، حرفوا كتبهم التي أنزلت إليهم، فكيف بالكتب التي لم تنزل إليهم، فهم لم يؤمنوا بها، وبهذا تميزت الأمة الإسلامية بإيمانها

---

[1] [البقرة٩٧].

[2] محمد بن اسماعيل البخاري صحيح البخاري, ،كتاب مناقب الأنصار،باب ٥١،حديث رقم:٤٤٨٠،ج١،ص٦١٠.

[3] [البقرة١٣٦].

[4] محمد بن اسماعيل البخاري صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب، باب لا تسألوا أهلَ الكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ ،حديث رقم:٧٣٦٢،ج١،ص:١٠١٠.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الكامل بالكتب السماوية التي انزلها الله، وتميزت واستقلت بحفظها لكتاب الله، القرآن الذي تكفل الله بحفظه.

•الإيمان بالرسل.

تتميز أمة الإسلام بالإيمان بالرسل والرسالات, وأنهم عباد الله ورسله، خلاف المشركين الذين غالوا في الرسل, ولم يؤمنوا بهم, **قال تعالى:**﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾"[1].

أخرج البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس, انه سمع عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: "**سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ, فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**"[2].

•الإيمان باليوم الآخر.

من ميزات هذه الأمة، الأمة الناجية أنها تؤمن باليوم الآخر، والقضاء والقدر، خلاف الذين أشركوا وخلاف أصحاب الفرق الضالة.

أخرج مسلم في (صحيحه) من حديث أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-:" **سَلُونِي, فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ, فَجَاءَ رَجُلٌ فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا, وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ, وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ, وَتَصُومُ رَمَضَانَ, قَالَ: صَدَقْتَ, قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ, وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ, وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ, قَالَ: صَدَقْتَ, قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَخْشَى اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ, فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ, قَالَ: صَدَقْتَ, قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ, وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا, إِذَا رَأَيْتَ الْمَرْأَةَ تَلِدُ رَبَّهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا, وَإِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصُّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الْأَرْضِ فَذَاكَ**

---

[1] [النساء ١٧١].

[2] محمد بن اسماعيل البخاري صحيح البخاري, كتاب أحاديث الأنبياء، باب وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا،حديث رقم:٣٤٤٥،ج١،ص:٤٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مِنْ أَشْرَاطِهَا, وَإِذَا رَأَيْتَ رِعَاءَ الْبُهْمِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا, فِي خَمْسٍ مِنَ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ قَرَأَ{ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }قَالَ: ثُمَّ قَامَ الرَّجُلُ, فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: رُدُّوهُ عَلَيَّ, فَالْتُمِسَ فَلَمْ يَجِدُوهُ, فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: هَذَا جِبْرِيلُ أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا"[1].

فمن أنكر القدر ليس بمسلم، بل إنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– عدّه من المجوس

أخرج أبو داود في (سننه) من حديث ابْنِ عُمَرَ, عَنْ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ: " الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ, إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ, وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ"[2].

•الإيمان بالقدر خيره وشره.

الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان, وهو أن تؤمن بتقدير الله عز وجل للأشياء كلها، سواء ما يتعلق بفعله أو ما يتعلق بفعل غيره، وأنّ الله عز وجل قدرها وكتبها عنده قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، ومعلوم أنه لا كتابة إلا بعد علم, فالعلم سابق على الكتابة, وهو أن يعلم أن المؤمن أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه, فمن أنكره لم يكن مؤمنا.

أخرج مسلم في صحيحه:عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَقُولُ: "كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ, قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ"[3].

"قال العلماء: المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره، لا أصل التقدير، فإن ذلك أزلي لا أول له وقوله: (وعرشه على الماء) أي قبل خلق السماوات والأرض, والله أعلم"[4].

ثانياً:- شمولية الإسلام للعبادات.

لقد جاء الإسلام شاملا لجميع نواحي الحياة، وليست العبادة في فرائض الدين فحسب, بل تتعداه إلى كل أمر يحبه الله ويرضاه، وهذا أكرام من الله سبحانه وتعالى، وتمييزا لأمة

---

[1] مسلم بن الحجاج النيسابوري: **صحيح مسلم**, ،كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى،حديث رقم:١٠،ج١،ص:١٦.

[2] ، أبو داود السجستاني:**سنن أبو داود**, ،كتاب السنة، باب في القدر،حديث رقم ٤٦٩١،ج١،ص:٧٦٥, قال الألباني: حسن.

[3] مسلم بن الحجاج النيسابوري: **صحيح مسلم**, , كتاب القدر, باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام, ج: ٨, ص: ٥١, حديث رقم: ٦٩١٩.

[4] **النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم**, , ج: ٩، ص: ٣, حديث رقم: ٤٧٩٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم–, وسوف أتوسع بإذن الله عزّ وجلّ في مجال استقلالية الأمة في العبادات والشرائع في مطلب مستقل, وهو في المبحث الخامس من هذا الفصل.

١. تعريف العبادة لغة واصطلاحاً.

"والعِبَادَةُ: هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ: مِنْ الْأَقْوَالِ، وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ؛ فَالصَّلَاةُ، وَالزَّكَاةُ، وَالصِّيَامُ، وَالْحَجُّ، وَصِدْقُ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةُ الْأَرْحَامِ، وَالْوَفَاءُ بِالْعُهُودِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَالْجِهَادُ لِلْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ، وَالْإِحْسَانُ إلَى الْجَارِ، وَالْيَتِيمِ، وَالْمِسْكِينِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالْمَمْلُوكِ مِنْ الْآدَمِيِّينَ وَالْبَهَائِمِ، وَالدُّعَاءُ، وَالذِّكْرُ، وَالْقِرَاءَةُ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنْ الْعِبَادَةِ. وَكَذَلِكَ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَخَشْيَةُ اللَّهِ وَالْإِنَابَةُ إلَيْهِ، وَإِخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ، وَالصَّبْرُ لِحُكْمِهِ، وَالشُّكْرُ لِنِعَمِهِ، وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، وَالرَّجَاءُ لِرَحْمَتِهِ، وَالْخَوْفُ لِعَذَابِهِ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ هِيَ مِنْ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ. وَذَلِكَ أَنَّ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ هِيَ الْغَايَةُ الْمَحْبُوبَةُ لَهُ، وَالْمَرْضِيَّةُ لَهُ، الَّتِي خَلَقَ الْخَلْقَ لَهَا, كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا خَلَقْت الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إلَّا لِيَعْبُدُونِ}"[١].

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى فعل "العبادة" ومشتقاته في مواضع عديدة من القرآن الكريم, فالعبودية هي جوهر الرابط بين الخالق وعبيده, وأساس هذه العبودية تقوم على الخوف والرجاء, والعبادة حق عظيم لله على خلقه, وعبادته والتسليم له والانقياد لأمره أمر واجب مفروض, وقد استحق هذا الحق بمقتضى ربوبيته وإلوهيته وكماله.

قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْت الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾"[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾[٣].

---

[١] الفتاوى الكبرى, , كتاب مسائل منثورة, وسئل الشيخ رحمه الله: عن قوله عز وجل: {يا أيها الناس اعبدوا ربكم}, ج:٥, ص: ١٥٥.
[٢] الفتاوى الكبرى, , كتاب مسائل منثورة, وسئل الشيخ رحمه الله: عن قوله عز وجل: {يا أيها الناس اعبدوا ربكم}, ج:٥, ص: ١٥٥.
[٣] [الإسراء ٢٣]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لقد تميزت الأمة المسلمة عن غيرها من الأمم الغابرة في سلامة عبوديتها, فاليهود جحدوا الطريق المستقيم وأنكروه, والنصارى ضلوا عن طريق الهداية, فكان الشرك سجيتهم, والكبر قائدهم إلى دروب الجهل والضلال.

فالشرك غالب على النصارى, والكبر سجية اليهود, **قال الله تعالى في النصارى:** ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

وقال في اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا﴾"[2].

- **فالنصارى مشركون في الله في العبادة كلها, بل أنهم اتخذوا رهبانهم وأحبارهم أربابا من دون الله.**

قال تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾"[3].

أخرج الترمذي في (سننه) من حديث عَدِيِّ بْن حَاتِمٍ قَالَ : "**أَتَيْتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ, فَقَالَ: يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ, وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ, وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ, وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ**"[4].

---

[1] [التوبة ٣١]

[2] الفتاوى الكبرى, , كتاب مسائل منثورة, وسئل الشيخ رحمه الله: عن قوله عز وجل: {يا أيها الناس اعبدوا ربكم}, ج: ٥, ص: ١٩٣.

[3] [آل عمران٦٤]

[4] الترمذي: سنن الترمذي , كتاب تفسير القرآن عَنْ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ , حديث رقم: ٣٠٩٥, قال الألباني: حسن، ج١،ص:٧٦٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

• **أما اليهود فهم الذين استكبروا عن عبادة الله, وادعوا محبة الله,** قال الله تعالى فيهم:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾"[1].

إنّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عندما جاء برسالته إلى الناس كافة, وإنّ الأمة الأمية هي دعاة من بعده وورثة لرسالته استكثر أهل الكتاب أن يدعوهم النبي الذي ليس منهم, فكيف من كانوا من أمة النبي إذ كانوا أشد جحودا ونكراناً, فقد كانوا يتعالون عليهم من قبل ويتعالمون, لأنهم هم أهل الكتاب وهؤلاء أميون, فلما أراد الله الكرامة لهؤلاء الأميين بعث منهم خاتم النبيين، وجعل فيهم الرسالة الأخيرة، الشاملة للبشر أجمعين, وعلم هؤلاء الأميين، فإذا هم أعلم أهل الأرض, وأرقاهم تصوراً واعتقاداً, وأقومهم منهجاً وطريقاً ، وأفضلهم شريعة ونظاماً ، وأصلحهم مجتمعاً وأخلاقاً, وكان هذا كله من فضل الله عليهم؛ ومن إنعامه بهذا الدين وارتضائه لهم, وما كان للأميين أن يكونوا أوصياء على هذه البشرية لولا هذه النعمة؛ وما كان لهم, وليس لهم بعد من زاد يقدمونه للبشرية إلا ما يزودهم به هذا الدين, وفي هذا النداء الإلهي لأهل الكتاب، يسجل عليهم أنهم مدعوون إلى الإسلام , مدعوون للإيمان بهذا الرسول ونصره وتأييده، كما أخذ عليهم ميثاقه . ويسجل عليهم شهادته – سبحانه – بأنّ هذا النبي الأميّ هو رسوله إليهم – كما أنه رسول إلى العرب، وإلى الناس كافة, فلا مجال لإنكار رسالته من عند الله أولاً, ولا مجال للادعاء بأن رسالته مقتصرة على العرب، أو ليست موجهة إلى أهل الكتاب ثانياً :{ **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا ، يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير** }[2].

٢. مظاهر من استقلالية الإسلام في العبادات ومخالفة الكفار.

---

[1] [المائدة١٨].

[2] انظر: سيد قطب: **في ظلال القرآن**، ج٢، ص:٨٦١-٨٦٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن ذلك مخالفة الكفار والصلاة في النعال والخفاف, فقد أخرج أبو داود في (سننه) من حديث شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "خَالِفُوا الْيَهُودَ, فَإِنَّهُمْ لاَ يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ, وَلاَ خِفَافِهِمْ"[1].

وكذلك مخالفة الكفار والنهي عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد, فقد أخرج مسلم في (صحيحه) من حديث جُنْدَبٌ قَالَ:" سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: " إِنِّى أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِى مِنْكُمْ خَلِيلٌ, فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِى خَلِيلاً, كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً, وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِى خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً, أَلاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ, أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ, إِنِّى أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ"[2].

وكذلك مخالفة الكفار وعدم الغلو في الدين, فهو طريق إلى الفتور والملل, والقعود عن الطاعة وتركها, وهو أمر مذموم والشارع لا يقره بحال وهو منهج مرفوض شرعاً وعقلاً وفطرة, لأنه مخالف لنصوص الكتاب والسنة, وكذلك هو مخالف للعقل السليم الصحيح وللفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها.

فقد أخرج ابن ماجه في (سننه) من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:" قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- غَدَاةَ الْعَقَبَةِ, وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ: "الْقُطْ لِي حَصًى, فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذَفِ, فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّهِ وَيَقُولُ: أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ فَارْمُوا, ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ"[3].

ثالثاً:- شمولية الدين في العادات.

لقد تميزت الأمة الإسلامية بعاداتها التي لم تكن فيها تبعا لأحد, بل كانت هي الأساس الذي يحتذى، فهي من وحي السماء، أخبر به الذي لا ينطق عن الهوى، فأمر به أمته، وأمرهم بمخالفة الكفار والمشركين في عباداتهم وعاداتهم، حتى يبقى الدين ظاهراً.

---

[1] ، أبو داود السجستاني, سنن أبو داود, , كتاب الصلاة, باب الصلاة في النعل, ج: ١, ص: ٢٤١, حديث رقم: ٦٥٢, قال الألباني: حديث صحيح, مشكاة المصابيح, ج: ١, ص: ١٦٨, حديث رقم: ٧٦٥.

[2] مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم , كتاب المساجد, باب النهى عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهى عن اتخاذ القبور مساجد, ج: ٢, ص: ٦٧, حديث رقم: ١٢١٦.

[3] ابن ماجة القزويني :سنن ابن ماجة, , كتاب المناسك, باب قدر حصى الرمي, ج: ٢, ص: ١٠٠٨, حديث رقم: ٣٠٢٩, قال الألباني: حديث صحيح, صحيح ابن ماجه, ج: ٢, ص: ١٧٧, حديث رقم: ٢٤٥٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إنّ الأحاديث التي تدعوا لمخالفة الكفار في عاداتهم, وعباداتهم, وعقائدهم تحقق ذات الأمة وسيادتها وهويتها. وتكون مرجعاً لكل الأمم والملل, وثمرة ذلك أن كانت الأمة تابعة لا متبوعة.

١. تعريف العادة في اللغة والاصطلاح.

والعادة: "مَا اسْتَمَرَّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى حُكْمِ المَعْقُول، وَعَادُوا إِلَيْهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى"[١].

ومن ذلك أيضاً ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: إنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: " **إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ**"[٢].

وسنبسط هذا الموضوع في المبحث الذي يتحدث عن مخالفة أهل الكتاب والوثنيين.

أما هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- في العادات وإن لم يكن فيه صريح مخالفه فهو تعليم لأمته لم يسبق النبي -صلى الله عليه وسلم- به أحد.

١. بعض هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- في استقلالية عادات الأمة المسلمة.

لقد برز الهدي النبوي جلياً في الدعوة إلى استقلالية الأمة المسلمة في عاداتها في العديد من المظاهر ومنها:

مخالفة الكفار في اللباس والزينة, فقد أخرج مسلم في (صحيحه) من حديث عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ أَخْبَرَهُ قَالَ:" **رَأَى رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ فَقَالَ: "إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الكُفَّارِ فَلاَ تَلْبَسْهَا"**[٣].

وكذلك مخالفة المشركين والمجوس في توفير اللحى وإحفاء الشوارب, فقد أخرج البخاري في (صحيحه) من حديث ابن عمر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: " **خَالِفُوا المُشْرِكِينَ, وَفِّرُوا اللِّحَى, وَاحْفُوا الشَّوَارِبَ**"[٤].

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "**جُزُّوا الشَّوَارِبَ, وَأَرْخُوا اللِّحَى, خَالِفُوا المَجُوسَ**"[٥].

---

[١]: علي بن محمد بن علي الجرجاني, **التعريفات**, تحقيق : إبراهيم الأبياري, الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت, الطبعة الأولى، ١٤٠٥, باب العين, ج: ١, ص: ١٨٨.

[٢] محمد بن اسماعيل البخاري: **صحيح البخاري**, ،كتاب أحاديث الأنبياء، باب مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ،حديث رقم:٣٤٦٢،ج١،ص:٤٧٣.

[٣] مسلم بن الحجاج النيسابوري: **صحيح مسلم**, , كتاب اللباس والزينة, باب النهى عن لبس الرجل الثوب المعصفر, ج: ٦, ص: ١٤٣, حديث رقم: ٥٥٥٥.

[٤]. محمد بن اسماعيل البخاري: **صحيح البخاري**, ،كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار،حديث رقم:٥٨٩٢،ج١،ص:٨٢٨.

[٥] مسلم بن الحجاج النيسابوري : **صحيح مسلم**, , ،كتاب اللباس والزينة ، باب في مخالفة اليهود بالصبغ،حديث رقم:٢٠١٣،ج١،ص:٥٥٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكذلك جاء الهدي النبوي في العديد من الآداب والعادات التي لم يـرد فيهـا مفهـوم المخالفة صراحةً.

تميز الإسلام بوضع العديد من القواعد والآداب, التي تبين الحقـوق والواجبـات فـي العادات, فكان سباقاً في تقريره لهذه القواعد, والداعي إليها منذ فجر الإسلام الأول, وفيما يلي **بعضاً من هذه الآداب والقواعد ومن أهمها:**

البدء بالسلام, فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هُرَيْرَةَ قالَ: **"قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ, وَالمَارُّ عَلَى القَاعِدِ, وَالقَلِيلُ عَلَـى الكَثِيرِ"**[1], وعند مسلم من حديث أبي هريرة أيضا: **" يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي".**

وكذلك الهدي النبوي في المجالس, فمن ميزات ديننا الحنيف أنّ الناس سواء, والأحقية في المجالس لمن سبق إليها, وحقه فيها إذ قام منها ثم عاد إليها.

فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قالَ: **"لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ ثُمَّ يَجْلِسُ فِي مَجْلِسِهِ, وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا قَامَ لَهُ رَجُلٌ عَنْ مَجْلِسِهِ لَمْ يَجْلِسْ فِيهِ"**[2].

وأخرج مسلم في صحيحه أيضاً من حديث أبي هُرَيْرَةَ "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قالَ:" **إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ, وَفِي حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ مَنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ"**[3].

وكذلك الهدي النبوي في الطعام, ومنه تعليمه -صلى الله عليه وسـلم- للغـلام آداب الأكل.

فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ:**"كُنْتُ غُلَامًـا فِـي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-, وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ, فَقَالَ لِي رَسُـولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ, وَكُلْ بِيَمِينِكَ, وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ, فَمَا زَالَتْ تِلْـكَ طِعْمَتِي بَعْدُ"**[4].

وكذلك الهدي النبوي في السفر, ومنه النصح للمسافرين, ويشمل الراحلة والطريق.

---

[1] البخاري: **صحيح البخاري,** ، كِتَاب الإستئذان ،بَاب تسليم الصغير على الكبير،حديث رقم:٦٢٣١،ج١،ص:٥٦٣.

[2] مسلم بن الحجاج النيسابوري: **صحيح مسلم،** كِتَاب السَّلَام، بَاب تَحْرِيمِ إِقَامَةِ الْإِنْسَانِ مِنْ مَوْضِعِهِ الْمُبَاحِ الَّذِي سَبَقَ إِلَيْهِ،حديث رقم:٢١٧٧،ج١،ص:٥٦٦.

[3] مسلم بن الحجاج النيسابوري: **صحيح مسلم،** كِتَاب السَّلَام، بَاب إِذَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ عَادَ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ،حديث رقم:٢١٧٩،ج١،ص:٥٦٦.

[4] محمد بن اسماعيل البخاري: **صحيح البخاري،** كِتَاب الْأَطْعِمَةِ ،بَاب التَّسْمِيَةِ عَلَى الطَّعَامِ وَالْأَكْلِ بِالْيَمِينِ،حديث رقم:٥٣٧٦،ج١،ص:٧٦٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: **إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْخِصْبِ فَأَعْطُوا الْإِبِلَ حَظَّهَا مِنْ الْأَرْضِ, وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِي السَّنَةِ فَبَادِرُوا بِهَا نِقْيَهَا, وَإِذَا عَرَّسْتُمْ فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ, فَإِنَّهَا طُرُقُ الدَّوَابِّ وَمَأْوَى الْهَوَامِّ بِاللَّيْلِ**"[1].

وكذلك في النظافة، وذلك من خلال البيان النبوي للناس أنّ هذه الخصال ميزة يتميز بهن المسلم على غيره، وهن طهارة للبدن والنفس, فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: " **الْفِطْرَةُ خَمْسٌ: الْخِتَانُ, وَالِاسْتِحْدَادُ, وَقَصُّ الشَّارِبِ, وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ, وَنَتْفُ الْآبَاطِ**"[2].

فالإسلام لم يترك صغيرة ولا كبيرة في العادات إلا علمها, وفي الفصل الثاني تفصيل عن الهدي النبوي في مخالفة الكفار.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

[1] مسلم بن الحجاج النيسابوري: **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة ، باب مراعاة مصلحة الدوس في السير والنهي عن التعريس في الطريق ،حديث رقم:١٩٢٦،ج١،ص:٥٠٣.

[2] محمد بن اسماعيل البخاري: **صحيح البخاري**، كِتَاب اللباس، باب قصّ الشّارب، ج١، ص:٨٢٨, حديث رقم:٥٨٨٩.

المبحث الرابع

مقومات الاستقلالية وخطورة تجاهلها

المطلب الأول

مقومات الاستقلالية

إنّ الهوية المستقلة المتميزة تجد ذاتها في شريعة الإسلام ومنهجه, فالأمة المسلمة القائمة بشرع الله, والمنهج النبوي واقعاً عملياً في حياتها تجد نفسها في المقدمة, تحظى بالريادة والقيادة, وتكون دوماً متبوعة لا تابعة, فهوية الإسلام تنبثق من عقيدة صافية منبعها عذب زلال, ويوحدها لغة هي خير اللغات وأميزها, وبها نزل القرآن الكريم, ويجمعها تاريخ ناصع لا غش فيه ولا تدليس, وتؤدي دورها الذي ارتضاه لها خالقها, ويجعل لها الخيرية إن هي آمنت بربها, وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر, وواجبها السامي نصب عينيها بإعلاء كلمة الله, ودعوة الخلق لعبادته, وتحريرهم من العبودية لغيره, فكان الجهاد في سبيل الله للذود عن بيضة الإسلام, وكرامة المسلمين لا للقتل والدمار, وإنما لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد.

أولاً:- سلامة العقيدة.

لقد تميز الدين الإسلامي بتوحيد الله الخالص، وقصده بالعبادة، والإخلاص له وحده لا شريك ولا ندّ له، وأن يكون هذا العمل صحيحاً، موافقاً للكتاب والسنة, كما يريد ربنا ويرضى، والاستعانة به، والتوكل عليه، ومحبته وحده لا شريك له، بخلاف المشركين، والملل والطوائف والفرق الضالة التي انتسبت إلى الإسلام والمسلمين, قال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم:

"وقد فسر إسلام الوجه لله بما يتضمن إخلاص قصد العبد لله بالعبادة له وحده وهو محسن بالعمل الصالح المشروع المأمور به, وهذا جماع الدين أن لا نعبد إلا الله, وأن نعبده بما شرع لا نعبده بالبدع, **قال تعالى:**﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1].

---

[1] [الكهف ١١٠].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما يتميز الإسلام عن باقي الديانات بأنّ الدين واحد, وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وعدم الخضوع والاستسلام إلا له وحده، وقد أمرهم الله على لسان نبيه، بتوحيد الله وحده، وهي دعوة الأنبياء، فمن اسلم لله فهو مسلم، ومن ابتغى غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو من الخاسرين"[1] .

قال تعالى:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[2], ولهذا قال تعالى في سياق خطاب النصارى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[3], وقال تعالى في سياق تقريره للإسلام, وخطابه لأهل الكتاب: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[4].

---

[1] الحراني تقي الدين احمد بن تيمية ،اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، محمد بن صالح العثيمين ،خرج أحاديثه احمد بن شعبان،مكتبة الصفا،القاهرة،ط١، ٢٠٠٥م ،ج١،ص:٤٥١.

[2] [آل عمران ٨٥].

[3] [آل عمران ٦٤].

[4] [البقرة ١٣٦-١٤٠].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولما كان أصل الدين الذي هو دين الإسلام واحداً, وإن تنوعت شرائعه, قال النبي - صلى الله عليه وسلم- **في الحديث الصحيح**[1] **(إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد, والأنبياء إخوة لعلات, وإنّ أولى الناس بابن مريم لأنا, فليس بيني وبينه نبي), فدينهم واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له, وهو يعبد في كل وقت بما أمر به في ذلك الوقت, وذلك هو دين الإسلام في ذلك الوقت"**[2].

ومما يميز العقيدة الإسلامية أنها المصدر الرئيس لاستقلالية الأمة الإسلامية، وذلك أنّ مصدرها واحد, فلم يقع فيها أي انحراف، أو تغيير أو تبديل، وما كان من خلل في العقيدة الإسلامية، إلا جراء التشبه بالكفار.

فانحراف العقيدة كان في جله بسبب الابتداع أو التشبه بالكفار من لدن آدم عليه السلام وتلقي العقيدة من غير مصدرها الصحيح النقي وهو مصدر الوحي، بمن ابتدع في دينه, ويلاحظ على هذه الدعوى في صياغاتها وشعاراتها المتنوعة أنها تميل إلى جانب الديانة النصرانية أكثر من غيرها، مما يدل على أن التوجه إليها على ما فيه من إخلال بالعقيدة الإسلامية، فهو جَرْيٌ وراء التشبه بالكفار، وعند تطبيقه سيكون أكبر مثال لأثر التدرج في التشبه بالكفار، وأنّ التشبه بهم سيوصل إلى تصحيح أديانهم يوماً ما، وذلك كفر بالإسلام, فإنّ الله عز وجل ذكر في كتابه تكفير النصارى الذين ادعوا له البنوة أو التعدد.

فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[3], وقال: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[4]

---

[1] لم اعثر على هذا الحديث بهذا اللفظ في كتب المتون لكن الصحيح ما أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء، باب وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا،حديث رقم:٣٤٤٣،ج١،ص: :٤٧١، من حديث أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ".

[2] الحراني:ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم،ج١،ص٤٥٥.

[3] [المائدة ١٧].

[4] [المائدة ٧٣].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما ذكر كفر اليهود وأنهم ملعونين **فقال:** ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾[1]، كما أخبر عنهم أنهم ادعوا لله الابن، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، **قال تعالى:** ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾[2]،

وأخبر عنهم أنهم افتروا على الله الكذب ووصفوه بالنقائص تجرأ عليه، نسأل الله السلامة والعافية، كما وصفهم في نفس الآية بأنهم يؤججون الحروب والفتن في الأرض **فقال:**

﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[3].

وبيَّن أن من طبيعتهم قتل الأنبياء، وتكذيبهم، **فقال:** ﴿ لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ﴾المائدة الآية ٧٠"[4].

فكانت العقيدة الإسلامية ميزة من ميزات استقلالية الأمة في أنّ الله وحده مستحق للعبادة, وهذا ما أرسل الله به أنبياءه ورسله، كما أنّه يدخل في إفراده في العبادة أنّ الخوف من الله فحسب والرجاء منه وحده لا شريك له, والسؤال منه وحده والاستعانة به لا شريك له.

---

[1] [المائدة ٧٨].
[2] [التوبة٣٠].
[3] [المائدة ٦٤].
[4] انظر بارقعان، اشرف بن عبد الحميد بن محمد، مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين، رسالة ماجستير في العقيدة في جامعة أم القرى، عام ١٤٢٣ هـ الشبكة العنكبوتية، ص:٦٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قال ابن تيمية:

" فالله تعالى مستحق أن يعبد لا يشرك به شيء, وهذا هو أصل التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزلت به الكتب, قال تعالى:﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [1], وقال تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[2] , ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾[3] ويدخل في ذلك أن لا نخاف إلا إياه, ولا نتقي إلا إياه كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [4] فجعل الطاعة لله وللرسول, وجعل الخشية والتقوى لله وحده, وكذلك قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾[5], وجعل التحسب بالله وحده فقال تعالى :﴿ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾ ولم يقل ورسوله كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ

---

[1] [الزخرف ٤٥]
[2] [الأنبياء٢٥]
[3] [النحل ٣٦]
[4] [النور٥٤].
[5] [التوبة٥٩].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]. أي حسبك وحسب من اتبعك الله, فهو وحده كافيكم ومن ظن أن معناها حسبك الله والمؤمنون فقد غلط غلطا عظيما لوجوه كثيرة مبسوطة في غير هذا الموضع, ثم قال:﴿ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾[3] فجعل الفضل لله, وذكر الرسول في الإيتاء, لأنه لا يباح إلا ما أباحه الرسول, فليس لأحد أن يأخذ كل ما تيسر له إن لم يكن مباحا في الشريعة, ثم قال:﴿ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[4] ,فجعل الرغبة إلى الله وحده دون ما سواه, كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾[5]. فأمر بالرغبة إليه, ولم يأمر الله قط مخلوقا أن يسأل مخلوقا, وإن كان قد أباح ذلك في بعض المواضع, لكنه لم يأمر به بل الأفضل للعبد أن لا يسأل قط إلا الله كما ثبت في الصحيح في صفة الذين يدخلون الجنة بغير حساب **(هم الذين لا يسترقون, ولا يكتوون, ولا يتطيرون, وعلى ربهم يتوكلون)**[6], فجعل من صفاتهم أنهم لا يسترقون, أي: لا يطلبون من غيرهم أن يرقيهم, ولم يقل لا يرقون, وإن كان ذلك قد روي في بعض طرق مسلم فهو غلط, فإن النبي صلى الله عليه و سلم رقى نفسه وغيره لكنه لم يسترق, فالمسترقي طالب الدعاء من غيره بخلاف الراقي لغيره فإنه داع له, وقد قال صلى الله عليه و سلم لابن عباس: **"وإذا سألتَ فاسأل اللَّهَ، وإذا استعنتَ فاستعِنْ باللَّهِ"**[7], فالله هو الذي يتوكل عليه, ويستعان به, ويستغاث به, ويخاف,

---

[1] [آل عمران١٧٣].
[2] [الأنفال ٦٤].
[3] [التوبة ٥٩].
[4] [التوبة ٥٩].
[5] [الشرح٧-٨].
[6] أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو ،حديث رقم:٥٧٠٥، من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" عُرِضَتْ عَلَىَّ الأُمَمُ ، فَجَعَلَ النَّبِىُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرُّهَطُ ، وَالنَّبِىُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، حَتَّى رُفِعَ لِى سَوَادٌ عَظِيمٌ ، قُلْتُ مَا هَذَا أُمَّتِى هَذِهِ قِيلَ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ . قِيلَ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ . فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلأُ الأُفُقَ ، ثُمَّ قِيلَ لِى انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِى آفَاقِ السَّمَاءِ فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلأَ الأُفُقَ قِيلَ هَذِهِ أُمَّتُكَ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ، ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ فَأَفَاضَ الْقَوْمُ وَقَالُوا نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ ، وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ ، فَنَحْنُ هُمْ أَوْ أَوْلاَدُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِى الإِسْلاَمِ فَإِنَّا وُلِدْنَا فِى الْجَاهِلِيَّةِ . فَبَلَغَ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم فَخَرَجَ فَقَالَ هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ ، وَلاَ يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » . فَقَالَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « نَعَمْ » . فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ أَمِنْهُمْ أَنَا قَالَ « سَبَقَكَ عُكَّاشَةُ »" ج١،ص: ٨٩٧.
[7] أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، من حديث ابن عَبَّاس ، قَالَ : كُنْتُ خَلْفَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا ، فَقَالَ : يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويرجى, ويعبد, وتنيب القلوب إليه لا حول ولا قوة إلا به, ولا منجى منه إلا إليه, والقرآن كله يحقق هذا الأصل, والعبادات التي شرعها الله كلها تتضمن إخلاص الدين كله لله تحقيقا لقوله تعـــالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [1] فالصلاة لله وحده, والصدقة لله وحده, والصيام لله وحده, والحج لله وحده إلى بيت الله وحده, فالمقصود من الحج عبادة الله وحده في البقاع التي أمر الله بعبادته فيها, ولهذا كان الحج شعار الحنيفية حتى قال طائفة من السلف حنفاء لله: أي حجاجا, فإن اليهود والنصارى لا يحجون البيت, قال طائفة من السلف لما أنزل الله تعالى:﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾[2] قالت اليهود والنصارى نحـــن مـــسلمون فأنزل الله: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾ [3] فقالوا ألا نحج فقال تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾"[4].

ونخلص إلى القول:

أنّ العقيدة الإسلامية من مقومات استقلالية الأمة التي تختلف عن عقائد أهـــل الكفـــر والطغيان، ومن شذ من افترق من المسلمين فاتبع الباطل وقلّد فقد ضلّ ضلالاً بعيداً، فالعبادة لله وحده، والسؤال له, والاستعانة به وحده، والخوف والرجاء منه وحده، والتوكل عليه وحده.

ثانياً:- الجهاد في سبيل الله:

الجهاد في سبيل الله من أفضل الأعمال، فهو ذروة سنام الإسلام وهو عزّ الأمـــة، لأنّ العزة بالإسلام، وإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى هو غاية الجهاد ومبتغاه، وبهذا تميز الإسلام

اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ،هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.كتاب ، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه و سلم،الباب القبل الأخير في الكتاب باب منه، حديث رقم:٢٥١٦، وصححه الألباني ،ج١،ص:٦٢٩.

[1] [البينة ٥].

[2] [آل عمران٨٥].

[3] [آل عمران٩٧].

[4] الحراني:ابن تيمية :اقتضاء الصراط المستقيم، ج١، ص:٤٤٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عن غيره في الجهاد، وهو من مقومات هذا الدين، ومن مقومات استقلالية الأمة وتفردها، لأن أعداء الدين لا يجاهدون لنصرة دين الله, بل لأمر دنياهم، والعلو فيها، ويختلف جهاد المسلمين عن جهاد الأعداء أنّه مراتب، والغاية من هذه المراتب كلها لتكون كلمة الله هي العليا، بينما جهاد غير المسلمين هو الظلم والطغيان, وأكل أموال الناس بالباطل.

مراتب الجهاد في سبيل الله

إنّ للجهاد في سبيل الله مراتب عديدة اتخذت أشكالا وصوراً متعددة, تميزت من خلالها الأمة المسلمة عن غيرها من الملل والنحل.

قال ابن القيم:

"فالجهاد أربع مراتب جهاد النفس, وجهاد الشيطان, وجهاد الكفار, وجهاد المنافقين.

فجهاد النفس أربع مراتب أيضا: مجاهدتها على تعلم الهدى, ودين الحق, ومجاهدتها على العمل بالعلم, والدعوة الى العلم, والصبر على مشاق الدعوة إلى الله, وجهاد الشيطان مرتبتان: جهاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان, وجهاده على دفع ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات فالجهاد الأول يكون بعده اليقين والثاني يكون بعده الصبر, قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] فأخبر أن إمامة الدين إنما تنال بالصبر واليقين فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة واليقين يدفع الشكوك والشبهات, وجهاد الكفار والمنافقين يكون بأربع مراتب: بالقلب, واللسان, والمال, والنفس

و جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات والمنافقين, فثلاث مراتب: باليد, واللسان, والقلب[2].

سمات الجهاد في سبيل الله وملامحه.

إنّ الجهاد في سبيل الله يتميز عن قتال غير المسلمين بالعديد من الخصائص والملامح, وأهم هذه الخصائص:

---

[1] [السجدة ٢٤].

[2] الجوزية: ابن قيم،زاد المعاد في هدي خير العباد،تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط،مؤسسة الرسالة ناشرون ،بيروت،ط٣ ،١٩٩٨، ج٣،ص ص :٩-١١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

غاية الجهاد هي إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى, فالغاية من الجهاد هو أن يكون في سبيل الله, ومن اجل دينه, وحتى يكون الدين كله لله، **قال تعالى:**﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾[1].

ويدل على هذا في سؤال الأعرابي للنبي –صلى الله عليه وسلم– عن الجهاد, ومتى يكون في سبيل الله، ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي مُوسَى الأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:" **قَالَ أَعْرَابِيٌّ لِلنَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ وَالرَّجُلُ فَقَالَ مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**"[2].

ومن ملامح الجهاد أيضا الجهاد بالمال والنفس, فإنّ ما يتميز به الجهاد في الدين الإسلامي أنه قدم المال على النفس, لأنّ غير المسلمين غايتهم من الجهاد المال, **قال تعالى**﴿ :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[3].

أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضى الله عنه قَالَ :"**قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَىُّ النَّاسِ أَفْضَلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، قَالُوا: ثُمَّ مَنْ؟, قَالَ: مُؤْمِنٌ فِى شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِى اللَّهَ ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ**"[4].

---

[1] [البقرة ١٩٣].
[2] البخاري: صحيح البخاري ،كتاب الجهاد، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، حديث رقم:٢٨١٠،ج١،ص:٣٨٠.
[3] [الصف ١٠-١١].
[4] البخاري: صحيح البخاري ،كتاب الجهاد، باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه ومَالِهِ فِى سَبِيلِ اللهِ،حديث رقم:٢٧٨٦،ج١،ص:٣٧٧.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وفي الجهاد أحلت الغنائم للأمة الإسلامية, وبهذا يتميز الجهاد عن جهاد سائر الأمـــم: تميزت الأمةُ الإسلاميةُ أنها أحل لها الغنائم فكانت الغنائم حلالا للنبي -صلى الله عليه وسلم- ولأمته.

أخرج البخاري في صحيحه من حديث جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَـالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله وسلم" **أُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ**"[1].

وأخرج البخاري أيضاً في صحيحه من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه أَنَّ رَسُـولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ:" **تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ الجِهَادُ فِـي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ، بِأَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ**"[2].

ثمّ إنّ الرحمة سمة الجهاد وسجيته, فقد دعا الإسلام إلى الرحمة بالخلق أجمعين قبـل الجهاد وأثناءه وبعده, بأن شرع النبي -صلى الله عليه وسلم- أحكاما قبل القتـال, وأثنـاءه, وبعده, فقد امر الاسلام بدعوة الكفار للإسلام قبل قتالهم, فإن أبوا فيـدفعون الجزيـة مقابـل حمايتهم.

فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ رضى الله عنه "**أَنَّ رَسُـولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يَفْتَحُ اللَّـهُ عَلَـى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ, قَالَ فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، كُلُّهُمْ يَرْجُـو أَنْ يُعْطَاهَـا فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ, فَقِيلَ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ, قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ, فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟، فَقَالَ: انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَـقِّ اللَّـهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**"[3].

---

[1] البخاري: صحيح البخاري ،كتاب فرض الخمس، باب قول النبيّ عليه السلام، أحِلّتْ لكُمُ الغَنَائِمُ،حديث رقم:٣١٢٢،ج١،ص:٤٢١.
[2] البخاري: صحيح البخاري ،كتاب فرض الخمس، باب قول النبيّ عليه السلام، أحِلّتْ لكُمُ الغَنَائِمُ،حديث رقم:٣١٢٣،ج١،ص:٤٢٢.
[3] البخاري: صحيح البخاري ،كتاب المغازي، باب غَزْوَةُ خَيْبَرَ ،حديث رقم:٤٢١٠،ج١،ص:٥٧٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي أمر الجزية قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾[1].

أخرج البخاري في صحيحه من حديث المِسْوَر بْن مَخْرَمَة أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ الأَنْصَارِيَّ, وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا أَخْبَرَهُ "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ الْعَلاَءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافَتْ صَلاَةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-، فَلَمَّا صَلَّى بِهِمِ الْفَجْرَ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حِينَ رَآهُمْ وَقَالَ: أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَىْءٍ, قَالُوا أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ, قَالَ: فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لاَ الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا, وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ"[2].

ذكر القرطبي:" قال علماؤنا: وعليه يدل قوله تعالى:" حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون لان بالإسلام يزول هذا المعنى، ولا خلاف أنهم إذا أسلموا فلا يؤدون الجزية عن يد وهم صاغرون"[3].

وقد أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بالعديد من الثوابت أثناء الجهاد وذلك بعدم الغدر.

أخرج مسلم في صحيحه من حديث سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:"كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ

---

[1] [التوبة ٢٩].
[2] البخاري: صحيح البخاري ،كتاب الجزية، باب الجِزْيَةِ وَالمُوَادَعَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ. ،حديث رقم:٣١٥٨،ج١،ص:٤٢٨.
[3] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ،ج ٨ ،ص: ١١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا"[1].

وكذلك نهى الإسلام عن قتل الأطفال والشيوخ والنساء ، والتمثيل بالقتلى.فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بن عمر رضي الله عنهما "أَنَّ امْرَأَةً وُجِدَتْ فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مَقْتُولَةً فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ"[2].

أما الأمور التي أمر بها النبي --صلى الله عليه وسلم- -بعد الجهاد فقد نهى عن الغل.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[3].

أخرج البخاري في صحيحه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ:" كَانَ عَلَى ثَقَلِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- - رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ كِرْكِرَةُ فَمَاتَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ --صلى الله عليه وسلم-- هُوَ فِى النَّارِ, فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا"[4].

وأمر بالإحسان إلى الأسرى.

أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبى مُوسَى رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ --صلى الله عليه وسلم--: "فُكُّوا الْعَانِىَ - يَعْنِى الأسِيرَ - وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ وَعُودُوا الْمَرِيضَ"[5].

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه"أَنَّ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ هَبَطُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ --صلى الله عليه وسلم-- مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ مُتَسَلِّحِينَ

---

[1] النيسابوري : صحيح مسلم ، كِتَاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ ، بَاب تَأْمِيرِ الْإِمَامِ الْأُمَرَاءَ عَلَى الْبَعُوثِ وَوَصِيَّتِهِ إِيَّاهُمْ بِآدَابِ الْغَزْوِ وَغَيْرِهَا. ،حديث رقم:١٧٣١،ج١،ص:٤٥١.

[2] المرجع السابق حديث رقم:١٧٤٤،ج١،ص:٤٥٣.

[3] [آل عمران ١٦١].

[4] البخاري: صحيح البخاري ،كتاب الجهاد، باب القليل مِنَ الْغلول ،حديث رقم:٣٠٧٤،ج١،ص:٤١٥.

[5] البخاري:صحيح البخاري ،كتاب الجهاد، باب فكاك الأسير ،حديث رقم:٣٠٤٦،ج١،ص:٤١١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يُرِيدُونَ غِرَّةَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- وَأَصْحَابِهِ فَأَخَذَهُمْ سِلْمًا فَاسْتَحْيَاهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ }[1][2].

وبهذا كان الجهاد غاية في توحيد الله سبحانه وتعالى، وانه المعبود في الأرض ، ولم تكن الغاية المال والنساء ،فالجهاد هو من مقومات استقلالية الأمة الإسلامية، التي استقلت بتميز دينها وسماحته.

وخلاصة القول:

إنّ الجهاد الذي اتسم به الإسلام، أعمّ من القتال، فالجهاد يكون باللسان ،ويكون بالسيف وهو القتال ،ويكون بالمال ،وجهاد الكفار نوعان جهاد باللسان وجهاد بالسيف وهو نوعان جهاد طلب؛ وهو طلب الإسلام وجهاد دفع ؛ أن تدفع الأعداء،فإذا هم بالمسلمين عدو أصبح الجهاد واجبا فالكفاية تقاتل الأعداء بالسيف، والبقية الذين لا يستطيعون حمل السيف يساندونهم بالمال والدعاء كلٌّ على قدر طاقته، فهذا بماله ، وهذا بلسانه، وهذا بنفسه وسلاحه ،فهذا كله جهاد ، وبهذا تميز المسلمين بالجهاد عن غيرهم ،ويدل على هذا ما ذكره الله في كتابه, فلم يذكر كلمة جهاد إلا ويختص بها المؤمنين وقد يحتوي الجهاد على القتال وجهاد النفس والجهاد بالمال وغيره، أما القتال فهو بالسيف وهو نوع من أنواع الجهاد، ويختص به المسلمين , أمّا القتال الذي غايته الدنيا والعلوّ فيها يختص بالكفار دون غيرهم.

---

[1] [الفتح ٢٤].

[2] النيسابوري : صحيح مسلم ،كتاب الجهاد والسير، باب قول اللهِ تعالى{ وَهُوَ الذي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ } ،حديث رقم:١٨٠٨،ج١،ص:٤٧٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثالثاً:- اللغة العربية.

اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وهو الكتاب الذي انزله الله معجزة لنبيه -صلى الله عليه وسلم-, مهيمنا على غيره من الكتب الأخرى, ولغة القرآن لغة مهيمنة على غيرها من اللغات، وهي لغة خير الأنام الذي أرسله الله للناس كافة، وجعل الله له اللغة العربية، فهي ما تميزت به الأمة عن غيرها من الأمم، بأن جعل لغة القرآن الكريم باللغة العربية، وهو الكتاب الذي انزله للناس كافة.

قال تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾"[1], وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[2].

وقال تعالى :﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[3].

وقال تعالى:﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[4].

قال ابن كثير:

"والمراد إنَّا جَعَلْنَاهُ أي:أنزلناه قُرْآنًا عَرَبِيًّا أي: بلغة العرب فصيحا واضحا، لعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ أي: تفهمونه وتتدبرونه، كما قال: "بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ", وقوله تعالى: وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ " بين شرفه في الملأ الأعلى، ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الأرض وقال:" لعلي " أي: ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل، قاله قتادة " حكيم " أي: محكم بريء من اللبس والزيغ.وهذا كله تنبيه على شرفه وفضله"[5], فالله فضل اللغة العربية، بأن جعلها لغة كتابه، فشرفها وعظمها ولم تعظم لغة قط كسائر اللغة العربية ، وبهذا قد ميز الله بها خاتم أنبياءه وجهلها مستقلة عن باقي اللغات, فكانت من مقومات الدين, وسبيلاً للوحدة والألفة بين المسلمين, وعنصراً من عناصر استقلالية الأمة وتفردها.

---

[1] [الشعراء ١٩٣-١٩٧].
[2] [الزخرف ٣].
[3] [فصلت ٣].
[4] [الزمر ٢٨].
[5] انظر: القرشي :ابن كثير: تفسير القرآن العظيم " ابن كثير"،ج ٤ ، ص :١٣٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فاللغة العربية جزء من ديننا الحنيف, ومعرفتها فرض واجب, ففهم الكتاب والسنة لا يتم بدون اللغة العربية.

رابعاً:- وحدة التاريخ.

إن التاريخ هو حكمة في فحواه، وحوادثه تقع وفق سنن إلهيـــة لا تبـــديل لهـــا ولا تحويل، وهو علم جليل، يتناول بالبحث مختلف الوقائع والكوائن، ومختلـــف ألـــوان النـــشاط البشري التي تحدث على مسرح الحياة، ولا يقف بحثه إياها عند رواية أخبارها، بـــل يـــشمل تحديد زمان وقوعها، والوقوف على الروابط الظاهرة والخفية التي تنتظم شتاتها، وبيان كيفية وقوعها، وأسبابه ونتائجه وأثره في حياة الإنسان فردا أو جماعة، حالا أو مالا.

إنّ دراسة التاريخ تؤثر تأثيراً بالغاً في نظرة الأمم إلى ذاتها، فإذا ما درست أمـــة مـــن الأمم تاريخها دراسة صحيحة أمكنها أن تعرف نفسها، وأن تدرك ذاتهـــا الحقيقيـــة إدراكـــا صحيحا، فالأمة الإسلامية مثلا إذا درست تاريخها دراسة سليمة عارية مـــن دس الأعـــداء، وتحريفهم، وعبثهم في تفسيره، أدركت ذاتها، أو هويتها الإسلامية، وعرفت أنها أمة دعـــوة، وأنها أمة مسلمة قبل كل شيء، وبعد كل شيء, أما إذا تسلطت على دراستها لتاريخها عوامل التشويش، والتحريف، وفسر التاريخ على غير وجهه، فإنها تضل عن ذاتها، وتضيّع هويتهـــا وتصبح فكرتها عن نفسها، ونظرتها إلى ذاتها مشوشة، محرفة، مهزوزة مزيفة.

وقد أدرك أعداؤنا أثر تشويش التاريخ الإسلامي في ضياع الأمة الإسلامية, فراحـــوا يدرسونه دراسة عميقة منظمة، ويتلاعبون في تفسيره، ويعطونه من المفاهيم والعلل والنتائج ما يخدم مآربهم، وما يحرفه عن مواضعه، وقد بلغ الأعداء غايتهم في هذا النحو إلـــى حـــدٍ كبير، فأضاع المسلمون المتأخرون هويتهم الإسلامية الأصلية أو كادوا.

والواجب الآن على علية القوم من العلماء والمثقفين من المسلمين أن يجهدوا أنفسهم في بيان الأسباب التي من شانها أن ترد على الأمة صحوتها الغذاء الصحيح المقوي الذي يرد على الأمة صحتها، ويقوي بنيتها ومناعتها، ويعيد إليها هويتها الأصلية المضاعة, وفي مقدمة هذه الأسباب دراسة التاريخ الإسلامي دراسة أصلية من خلال العقيدة الإسلامية المستقاة مـــن الكتاب والسنة، ومن واقع سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وواقع تاريخ أصحابه، وخلفائه الراشدين، ومن نحا نحوهم دون تأويل أو تحريف أو عبث.

والمتتبع للتاريخ الإسلامي يلاحظ آثار عناية العلماء والمؤرخين, قد بدت واضحة جلية في صنيعهم, وقد اتسمت نقلاتهم بالعديد من الملامح أهمها:

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أ. الاستفادة من السنن الإلهية الثابتة في حركة التاريخ.

لقد استفاد المؤرخون من السنن الإلهية الثابتة في حركة التاريخ, فالتزموا بما ورد في الكتاب والسنة, فظهر سردهم لوقائع التاريخ ناصعاً بهيّاً, لا تشوبه شائبة, ولا يعتريه تحريف أو تشويه, وفيما يلي أمثلة من الكتاب والسنة:

قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾"[1].

وفي السنة النبوية أخرج البخاري في صحيحه من حديث عَائِشَةَ رضى الله عنها "**أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِى سَرَقَتْ، فَقَالَ: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: " أَتَشْفَعُ فِى حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟". ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**"[2].

ب. الاستفادة من التنبؤات المستقبلية الواردة في نصوص الوحي.

قال تعالى : ﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ٥ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ٦ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ

---

[1] [الأنفال :٥٣-٥٤].

[2] البخاري :صحيح البخاري ،كتاب الحدود، باب كَرَاهِيَةِ الشَّفَاعَةِ فِى الْحَدِّ ، إِذَا رُفِعَ إِلَى السُّلْطَانِ،حديث رقم: ٦٧٨٨،ج١،ص:٩٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾"[1].

وفي السنة النبوية فقد أخرج أحمد في (مسنده) من حديث النعمان بن بشير قالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: **"تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ, ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا, ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ, فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ, ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا, ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا, فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ, ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا, ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً, فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ, ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا, ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ثُمَّ سَكَتَ"**[2].

وما أخرجه أحمد في (مسنده) من حديث ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: **" يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا, قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ, وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ, يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ, وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ, قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الْحَيَاةِ, وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ"**[3].

فالتاريخ له دور بارز كوسيلة مهمة لغرس مُثل الإسلام وآماله في نفوس المسلمين, وعامل مساعد على إبقاء حيوية الأمة الإسلامية وتراثها الحضاري، كما أن التاريخ بارتباطه بعلم التراجم أصبح وسيلة في غاية التأثير في حركة الإنسان المسلم.

وهذا يعني أنّ التاريخ الإسلامي يتميز بهذه الخصائص عن سواه، لكونه منضبط بضوابط العقيدة الإسلامية، وثمرة من ثمراتها، فالتعليل الجوهري للتاريخ من الوجهة الإسلامية هو العقيدة الإسلامية وإيحاءاتها وتأثيراتها, أما العوامل الأخرى التي اعتاد المؤرخون أن يعللوا بها الأحداث، فهي إن ساهمت في شيء من تعليل التاريخ الإسلامي, فإنما تقع في منزلة تالية للعقيدة, فالتاريخ الإسلامي هو ثمرة العقيدة الإسلامية بكل خصائصها ومقوماتها وإشعاعاتها وقدرتها على صياغة الإنسان والمجتمع، ولا تستقيم دراسته ولا كتابته، كما لا يستقيم تعليله إلا من خلال هذه العقيدة ذاتها, وهذه النقطة هي محور الخلاف بين الإسلاميين والعلمانيين الذين يريدون تقسيم تاريخنا وتعليله على أسس تنافي جوهره وطبيعته الذاتية.

---

[1] [الإسراء:٤-٨] .

[2] - الشيباني ابن حنبل **:مسند أحمد** : , حديث رقم: ١٨٤٠٦،ج،٣٠،ص:٣٣٥.تعليق شعيب الأرنؤوط ، إسناده حسن.

[3] - الشيباني ابن حنبل **مسند أحمد** : , حديث رقم: ٢٢٣٩٧،ج،٣٧،ص:٨٢.تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المطلب الثاني

خطورة تجاهل مقومات الاستقلالية

إنّ مقومات الاستقلالية ذات أهمية بالغة في تفرد الأمة وتميزها, فضياع هذه المقومات وتجاهلها هو طمس لمعالم هذه الأمة ومحو هويتها, فالعقيدة الإسلامية فوق كلّ اعتبار, وتتقدم على كلّ حاجة, وتظهر أهمية العقيدة الإسلامية, في أنها ركن الإيمان المتين, فلا سعادة للقلوب، إلا بعقيدة صافية مصدرها الكتاب والسنة, فهي أعظم الواجبات، وبها يتحقق الأمن والاستقرار، والسعادة والسرور, وبسببها يحصل التمكين في الأرض، وبها تقوم دولة الإسلام.

إنّ التاريخ شاهد على الأمة, وبه يتحقق مجد الأمة وعزها, والجهاد من أعلى مراتب هذا الدين, وهو ذروة سنام الإسلام, ويتحقق للأمة بسببه النصر والتمكين, أمّا اللغة فأيّ شرف تحظى به, وهي لغة القرآن؟, وهي سرّ عظيم في جمع الأمة وتوحيدها, وهي سبب رئيس في استقلالية الأمة وتفردها.

إنّ تجاهل المقومات سالفة الذكر يشكل خطورة بالغة, ويؤدي إلى ذوبان شخصية الأمة, وتردي أحوالها, فتصبح أمة تابعة تسير في ركب الأمم, لا في مقدمتها, وهذا يؤدي بدوره إلى تخلي الأمة عن واجب الأمر بالمعروف, والنهي عن المنكر, فهي لم تعد عندئذ قادرة على القيام بواجباتها, وتتداعى عليها الأكلة, فتنهش لحمها, وتكسر عظمها.

أولاً:- خطورة تجاهل العقيدة.

قال تعالى:

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1].

إنّ العقيدة الإسلامية من مقومات استقلالية الأمة وتميزها, فالعقيدة الصافية تختلف عن عقائد أهل الهوى والضلال, وانحراف العقيدة مدعاة للهلاك والدمار, وما كُتب لأقوام الخلود في النار إلا بسبب بطلان عقائدهم, والمتمثل بشركهم أو كفرهم.

إنّ تجاهل العقيدة يؤدي إلى العديد من المخاطر من أبرزها:

هو التشبه بالكفار وأهل البدع والضلالات, فقد حرّم الإسلام التشبه بالكفار فيما هو من عباداتهم, وعاداتهم، وخصائصهم, وأخلاقهم, فالأمة المسلمة أمة متميزة مستقلة, ومن أخطر

---

[1] [الكهف ١١٠].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مظاهر التشبه بالكفار, وأهل البدع والضلالات انحراف العقيدة, وتجاهلها, فالتشبه في الظاهر يجر إلى مودة وموالاة في الباطن.

" إنّ الله تعالى جبل بني آدم, بل سائر المخلوقات، على التفاعل بين الشيئين المتشابهين، وكلما كانت المشابهة أكثر, كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم، حتى يؤول الأمر إلى أن لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط، ولما كان بين الإنسان وبين الإنسان مشاركة في الجنس الخاص، كان التفاعل فيه أشد، ثم بينه وبين سائر الحيوان مشاركة في الجنس المتوسط، فلا بد من نوع تفاعل بقدره، ثم بينه وبين النبات مشاركة في الجنس البعيد مثلا، فلا بد من نوع ما من المفاعلة .

ولأجل هذا الأصل وقع التأثر والتأثير في بني آدم، واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمعاشرة والمشاكلة, وكذلك الآدمي إذا عاشر نوعا من الحيوان اكتسب بعض أخلاقه، ولهذا صار الخيلاء والفخر في أهل الإبل، وصارت السكينة في أهل الغنم، وصار الجمالون والبغالون فيهم أخلاق مذمومة، من أخلاق الجمال والبغال، وكذلك الكلابون، وصار الحيوان الإنسي، فيه بعض أخلاق الناس من المعاشرة, والمؤالفة, وقلة النفرة.

فالمشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة، توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة, والتدريج الخفي, وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين، هم أقل كفرا من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى، هم أقل إيمانا من غيرهم ممن جرد الإسلام، والمشاركة في الهدي الظاهر توجب أيضا مناسبة وائتلافا، وإن بعد المكان والزمان، فهذا أيضا أمر محسوس، فمشابهتهم في أعيادهم -ولو بالقليل- هو سبب لنوع ما من اكتساب أخلاقهم التي هي ملعونة، وما كان مظنة لفساد خفي غير منضبط, علق الحكم به ، وأدير التحريم عليه ، فنقول: مشابهتهم في الظاهر سبب ومظنة لمشابهتهم في عين الأخلاق والأفعال المذمومة, بل في نفس الاعتقادات، وتأثير ذلك لا يظهر ولا ينضبط، ونفس الفساد الحاصل من المشابهة قد لا يظهر ولا ينضبط، وقد يتعسر أو يتعذر زواله بعد حصوله، ولو تفطن له، وكل ما كان سببا إلى مثل هذا الفساد فإن الشارع يحرمه ، كما دلت عليه الأصول المقررة"[1].

كما أنّ تجاهل العقيدة سبيل إلى الانحراف في العقيدة, فإنّ القلب لا يتسع لعقائد شتى متباينة, فإما عقيدة منبعها الكتاب والسنة, وإما عقائد زائفة وضلالات منحرفة, ودعوة الرسل

---

[1] الحراني:ابن تيمية: **اقتضاء الصراط المستقيم**, , ج:١, ص: ٥٤٧-٥٤٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جاءت كلها بتوحيد الله الخالص, والإقرار بربوبيته, وما أصاب أهل الكتاب من انحراف في عقائدهم إلا بسبب تجهل عقيدة التوحيد الخالص.

وتجاهل العقيدة يؤدي إلى الوقوع في دائرة الوعيد في الدنيا والآخرة, قال تعالى:﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾[1].

"يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: ألم يأتكم أيها الناس خبر الذين كفروا من قبلكم، وذلك كقوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط(**فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ**) فمسّهم عذاب الله إياهم على كفرهم(**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) يقول: ولهم عذاب مؤلم موجع يوم القيامة في نار جهنم، مع الذي أذاقهم الله في الدنيا وبال كفرهم"[2].

ولعل مما يمكن الإشارة إليه من مخاطر أيضاً هو ضلال الأمة وتفرق حالها, فقال تعالى:﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾[3] .

إنّ تجاهل العقيدة, واستبعاد الإيمان القائم على أركانه السليمة يؤدي إلى ضلال الأمة, وتفرق سبلها, وتكون عندها عرضة لإتباع أهل العقائد المنحرفة, وتنفك بذلك عرى الروابط بين أفرادها, فيصبحوا شرذمة مستضعفين تتداعى عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها.

كذلك فإنّ عدم الإيمان بالغيبيات هو من اخطر نتائج تجاهل العقيدة, فإنّ أركان العقيدة هي أركان الإيمان, وهي الإيمان بالله, وملائكته, وكتبه, ورسله, واليوم الآخر, والقدر خيره وشره, وتجاهل العقيدة يؤدي إلى تجاهل هذه الأركان, وبالتالي إلى إنكارها, فلا إيمان بالغيب عندها, ويقتصر التصديق على المحسوسات.

ثانياً:- خطورة ترك الجهاد وتجاهله.

إنّ من مقومات الاستقلالية التي بينتها في هذه الدراسة الجهاد في سبيل الله تعالى، فهو ذروة سنام الإسلام، ويتحقق بالإعداد المادي الذي بينته النصوص الشرعية كما في قوله تعالى:﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ

---

[1] التغابن, الآية: ٥.

[2] الطبري :محمد بن جرير **جامع البيان في تأويل القرآن**, مرجع سابق, ج: ٢٣, ص: ٤١٧.

[3] **[البقرة : ١٠٨]**

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[1]، فقد أمر تعالى بإعداد آلات الحرب؛ لمقاتلة الكفار؛ حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة، فقال:

{ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم } أي: مهما أمكنكم، { مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ }"[2].

وأخرج مسلم في (صحيحه) من حديث عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ انه سمع رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ يَقُولُ: " **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ, أَلاَ إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ, أَلاَ إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ, أَلاَ إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ**"[3]. وأخرج أحمد في مسنده، من حديث عقبة بن عامر قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "**ارْمُوا وَارْكَبُوا, وَإِنْ تَرْمُوا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا**"[4].

أهمية إعداد القوة في الإسلام

إنّ لإعداد القوة في الإسلام أهمية بالغة: وإنّ ما تصنعه هذه القوة في مجال الحياة الإسلامية يتلخص في عدة أمور:

أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها, فلا يصدوا عنها ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها, **وكذلك** ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكروا في الاعتداء على دار الإسلام التي تحميها تلك القوة, وتؤدي كذلك إلى تسلل الرعب إلى قلوب أعداء الإسلام وذلك بحرمانهم من أن يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي، وهو ينطلق لتحرير الإنسان كله في الأرض كلها, وأخيرا فان هذه القوة تحطم كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الإلوهية، فتحكم الناس بشرائعها هي وسلطانها؛ ولا تعترف بأن الإلوهية لله وحده, ومن ثم فالحاكمية له وحده سبحانه.

---

[1] [الأنفال :٥٩-٦٠].

[2] راجع القرشي :تفسير ابن كثير ،ج ٤ص:٨٠ .

[3] النيسابوري : صحيح مسلم ،كتاب الإمارة ، باب فضل الرمي والحث عليه ودم من علمه ثم نسيه ،حديث رقم: ١٩١٧،ج١،ص:٥٠٢.

[4] الشيباني ابن حنبل: مسند احمد ،حديث رقم:١٧٣٥٩،ج٤،ص:١٤٤، تعليق شعيب الأرنؤوط : حديث حسن بمجموع طرقه وشواهده.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فالإسلام ليس نظاماً لاهوتياً يتحقق بمجرد استقراره عقيدة في القلوب، وتنظيماً للشعائر، ثم تنتهي مهمته, إن الإسلام منهج عملي واقعي للحياة يواجه مناهج أخرى تقوم عليها سلطات وتقف وراءها قوى مادية, فلا مفر للإسلام – لإقرار منهجه الرباني – من تحطيم تلك القوى المادية، وتدمير السلطات التي تنفذ تلك المناهج الأخرى، وتقاوم المنهج الرباني, فالنص يشير إلى الغرض الأول من إعداد القوة .{ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ }, فهو إلقاء للرعب والرهبة في قلوب أعداء الله الذين هم أعداء العصبة المسلمة في الأرض الظاهرين منهم الذين يعلمهم المسلمون, ومن وراءهم ممن لا يعرفونهم ، أو لم يجهروا لهم بالعداوة ، والله يعلم سرائرهم وحقائقهم , وهؤلاء ترهبهم قوة الإسلام ولو لم تمتد بالفعل إليهم, والمسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء ، وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين في الأرض, ولتكون كلمة الله هي العليا ، وليكون الدين كله لله, ولما كان إعداد العدة يقتضي أموالاً، وكان النظام الإسلامي كله يقوم على أساس التكافل، فقد اقترنت الدعوة إلى الجهاد بالدعوة إلى إنفاق المال في سبيل الله: { وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ }.

وهكذا يجرد الإسلام الجهاد والنفقة في سبيله، من كل غاية أرضية، ومن كل دافع شخصي؛ ومن كل شعور قومي أو طبقي ، ليتمحض خالصاً لله { في سبيل الله } لتحقيق كلمة الله ، ابتغاء رضوان الله, هذه هي الحقيقة الكبيرة التي يجب أن يدركها المهزومون الذين يقفون بالدين موقف الدفاع, وهم يتمتمون, ويجمجمون للاعتذار عن المد الإسلامي, والجهاد الإسلامي .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ويحسن أن نعرف حدود التكليف بإعداد القوة, فالنص يقول: { وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم } فهي حدود الطاقة إلى أقصاها بحيث لا تقعد العصبة المسلمة عن سبب من أسباب القوة يدخل في طاقتها[1].

مخاطر ترك الجهاد وتجاهله.

لعل من أهم ما يمكن الإشارة إليه من مخاطر ترك الجهاد هو ذلك النفاق، الذي يعد من أهم أسباب قتل وحدة الأمة, وقد عبر عن ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-**"مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ قَالَ ابْنُ سَهْمٍ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ فَنُرَى أَنَّ ذَلِكَ كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-"**[2].

كما أنّ في ذلك سبيل إلى تسلط الأعداء على الأمة, فقد أخرج احمد في مسنده من حديث ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: **" يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ قَالَ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ قَالَ قُلْنَا وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ"**[3].

ثم لا ننسى أنّ في ذلك سبيل إلى طمس الهوية والتبعية للغير فترك الجهاد يجعل الأمة أداة تنفيذية للأطماع اليهودية أو النصرانية, فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: **" لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ"**[4].

إذاً فترك المسلمون للجهاد، يورث لهم الاستسلام للعدو، والخضوع له، والرضا بأحكامه.

---

[1] انظر : قطب: سيد: **في ظلال القران** ،ج٣،ص: ٤٣٢.

[2] النيسابوري : **صحيح مسلم** ،كتاب الإمارة ، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ،حديث رقم: ١٩١٠،ج١،ص:٥٠٠.

[3] - الشيباني ابن حنبل :**مسند أحمد** :حديث رقم: ٢٢٣٩٧،ج،٣٧،ص:٨٢.تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن.

[4] البخاري: **صحيح البخاري** ،كتاب الاعتصام بالكتاب، باب قول النبيّ صلى الله عليه وسلم لتتبَعُنّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قبْلَكُمْ ،حديث رقم: ٧٣٢٠،ج١،ص:١٠٠٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

على إنّ مما يمكن الإشارة إليه أيضا, ما يخلفه ترك الجهاد بمفهومه الواسع من أسباب التخلف التخلف في كافة مجالات الحياة, فقد أخرج أبو داود في سننه من حديث ابْن عُمَرَ قالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ :"**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَرِ, وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ, وَتَرَكْتُمْ الجِهَادَ, سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**"[1].

إضافة إلى انتشار الفساد والعبث في الأرض, قال تعالى:{ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ}[2].

"فقد ذكر لنا القرآن الكريم قاعدة وأصلا تتبني عليه أصول الحضارات, وبقاء الأمم, ونشر الصلاح والإصلاح, ألا وهو استمرار السنة الإلهية في الكون من تهيئة أقوام ودول إسلامية تجاهد وتقاتل الأعداء, وتدفع المعتدين, وترد الغاصبين, وإذا ضعف ذلك أو تركه أهله فانتظر الفساد في الأرض بصوره القائمة وأشكاله الظالمة"[3].

وقال الطنطاوي في التفسير: "ولذلك وجدنا الآية صريحة فى بيان وجوب إعداد العدة فى الإسلام، وفى بيان المقصود من هذا الإعداد ، وهو كما عبرت عنه { تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ }, فالمقصود من هذا الإعداد، إنما هو إرهاب الأعداء حتى لا يفكروا فى الاعتداء على المسلمين، وحتى يعيش أتباع هذا الدين آمنين مطمئنين في ديارهم، وحتى يستطيعوا أن يبلغوا رسالة الله إلى خلقه من الناس دون أن يخشوا أحداً سواه عز وجل.

وليس المقصود بأعداد العدة إرهاب المسالمين، أو العدوان على الآمنين، أو القهر والإذلال للناس واستغلالهم فيما يغضب الله تعالى, وهناك آيات أخرى صريحة فى بيان سبب مشروعيته القتال فى الإسلام ومن ذلك قوله تعالى: { وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ }, وقوله تعالى:{

---

[1] المجستاني، أبو داود : **سنن أبو داود** ،كتاب البيوع ،باب بَاب فِي النَّهْيِ عَنْ الْعِينَةِ ، حديث رقم :٣٤٦٢ ج١،ص:٥٧٠ وقال الألباني : صحيح لمجموع طرقه وانظر الصحيحة رقم (١١)

[2] [البقرة: ٢٥١] .

[3] - المشعل:. خالد بن عبد الرحمن وزميله: الباحوث :عبد الله بن سليمان ،كلية الشريعة - جامعة الإمام ، **بحوث في مصطلح الإرهاب، ترك الجهاد** ،ج ١١ ،ص:٣٠.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ }.

والخلاصة: أنّ من تتبع آيات القرآن الواردة فى القتال يجدها جميعها تقرر أن سبب القتال فى الإسلام ينحصر فى رد العدوان، وحماية الدعوة الإسلامية من التطاول عليها، وتثبيت حرية العقدية، وتطهير الأرض من الظلم والطغيان"[1].

ثالثًا:- خطورة تجاهل اللغة العربية.

إنّ اللغة العربية هي ركن ثابت وراسخ من أركان شخصية الأمة المسلمة, وهي من أهم مقومات حياة هذه الأمة واستقلاليتها, وهي التي تحمل ثقافة الأمة لتنشرها بين الأجيال وسبيل للصلة بين الأمة وغيرها من الأمم.

لقد ارتبطت اللغة العربية بالقرآن الكريم، الذي انزله الله عزّ وجلّ بلغة عربية, ولسان عربي مبين, وهذا الذكر الحكيم لا يأتيه الباطل من بين يديه, ولا من خلفه, وترتبط اللغة كذلك بالتاريخ ارتباطاً وثيقاً , فكانت اللغة وسيلة للتعارف, وتوارث الأجيال, وقد نقل علماء الأمة ومؤرخيها العلوم والمعارف باستخدام اللغة العربية, والتي كان لها الهيمنة على كلّ اللغات, وذلك بفضل القرآن وهيمنته على كلّ الكتب السماوية.

لعل من أهم المخاطر التي يمكن الإشارة إليها من تجاهل اللغة العربية, وتفريغها من مضمونها هو ضعف ارتباط الأمة المسلمة بالقرآن الكريم.

"فاللغة العربية لغة القرآن الكريم، وهو مهيمن على ما سواه من الكتب الأخرى , وهذا يقتضي أن تكون لغته مهيمنة على ما سواها من اللغات الأخرى, وهي لغة خاتم الأنبياء والمرسلين أرسله الله للبشرية جمعاء ، واختار الله له اللغة العربية ، وهذا يعني صلاحيتها لأن تكون لغة البشرية جمعاء ، ينبغي أن ندرك أبعاد هذه المسألة . قال تعالى﴿ وَإِنَّهُۥ

[1] - انظر طنطاوي، تفسير الوسيط ،ج١،ص: ١٨٥٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ

ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[1]

فلما وصفها الله بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنها ، وهذا وسام شرف وتاج كلل الله به مفرق العربية ، خصوصاً حين ناط الله بها كلامه المنزل [2]، قال تعالى: ﴿ إِنَّا

جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[3].

إنّ خدمتك للغة العربية تعني خدمتك للقرآن ولو من وجه بعيد, وإن السلف الصالح ما قصروا في خدمتها حيث جاهدوا بالجهد والمال والوقت لخدمة لغة القرآن, عكفوا على تعلمها لما لها من مكانة مقدسة في نفوسهم , غاروا عليها ، وغاروا على بيانها المعجز أن تدنسه عجمة الأعاجم ولوثة الإفرنج , فقضوا سني حياتهم في تقعيدها وإشادة أركانها ورسم أوضاعها"[4].

إنّ ضياع اللغة العربية من قلوب وألسنة الأمة يؤدي إلى ضعف ارتباطها بكتاب ربها, فلا مجال لمعرفة القرآن والإحاطة به إلا بإتقان اللغة وإجادتها, وبغير ذلك يصبح تعلق الأمة بالقرآن شكلاً لا مضموناً.

كما أنّ في ذلك سبيل إلي تفشي الجهل بعامة, وجهل الأمة بسنة نبيها -صلى الله عليه وسلم-, فقد أوتي النبي -صلى الله عليه وسلم- جوامع الكلم, وكان فصيح اللسان , واسع البيان , لذا فانّ معرفة السنة النبوية, وتلقي الأحاديث, ودراستها يحتاج إلى معرفة شاملة باللغة العربية من حيث المعاني, والمباني, والمجمل, والمفصل, والعام, والخاص, والمطلق, والمقيد, فقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يتكلم بأفصح اللغات وأسلمها, ولمعرفة سنته ومقصوده لا بد من معرفة اللغة وإتقانها.

---

[1] الشعراء(١٩٣ـ ١٩٥)
[2] الفلق :سالم مبارك, **اللغة العربية التحديات والمواجهة**, ج: ١, ص: ٨-١١.
[3] [الزخرف ٣].
[4] الفلق :سالم مبارك, **اللغة العربية التحديات والمواجهة**, ج: ١, ص: ٨-١١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

إنّ اللغة العربية – كغيرها من اللغات– وسيلة للتواصل الفكري والثقافي, ويؤدي تجاهلها إلى تفكك الروابط الفكرية, والصلات الفكرية, وهذا يؤدي بدوره إلى تفشي الجهل, وشيوع التخلف والتقهقر.

ثم إنّ تجاهل اللغة العربية يؤدي إلى تفكك الأمة, وضعف أواصرها, فإنّ من أبرز المقومات المعنوية في استقلالية الأمة اللغة العربية, فهي من الثوابت التي ينبغي على كل أمة تريد أن تحافظ على ذاتيتها من التمييع والانطماس والذوبان في غيرها أن لا تتهاون فيها قيد أنملة، وهي وسيلة كبرى للتواصل بين أبناء الأمة , فكلما ضعفت اللغة ضعفت الأمة وتفككت أواصرها, فهي وسيلة الحوار الأولى , ولغة التخاطب البناء, فكيف تلتقي الأمة بغير الحوار؟, وكيف يكون الحوار بغير لغة؟ فعلى الأمة أن تبذل قصارى جهدها في التمسك بهذه الثوابت التي لا غنى لأمّة ذات رسالة هادفة عنها، فكيف إذا كانت رسالتها رسالة ربانية عالمية خالدة، فهي ليست رسالة موجهة للمسلمين فحسب بل هي رسالة موجهة لغير المسلمين كذلك.

قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [1].

ويؤدي تجاهل اللغة إلي تبعية الأمة وانقيادها لغيرها من الأمم, فالتقليد الأعمى للآخرين يؤدي إلى الانقياد والتبعية, فتقليد الأعاجم في لغاتهم, ونسيان لغة القرآن وتجاهلها ينتج عنه مخاطر جمة, أما أن كان تعلم اللغات والثقافات من اجل الاستفادة من وسائل النهضة والتقدم المعرفي, فهذا لا يتفق فيه اثنان على منعه أو رده, أما أن يكون ذلك على حساب ضياع القيم والمبادئ الإسلامية الشاملة الراسخة فلا يقول ذي لبّ بحله أو جوازه.

رابعاً:– خطورة تجاهل التاريخ.

إنّ الأمة الإسلامية أمة ذات تاريخ عريق، ولها في التاريخ إنجازات كبيرة, وهو قديم قدم البشرية, وقد صنف فيه العلماء, وأهل السير مصنفاتٍ كثيرة مليئة بالأحداث, ودراسة التاريخ يعود على الأمة بفوائد جمة, وآثاراً عديدة, والتاريخ يعبر عن هوية الأمة وكيانها, وتجاهله يؤدي إلى نتائج سلبية تشكل في مجموعها مخاطر على الأمة, ولعل من أهم هذه المخاطر:

هو غياب الوعي الفكري والتربوي من حياة الأمة, فدراسة التاريخ يؤدي إلى تعميق الفهم الفكري والتربوي في حياة الأمة المسلمة, وفي حال غياب هذه الدراسة, فإنّ الأمة تنسى

[1] [آل عمران : ١١٠]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الهدف السامي الذي وكل إليها, وأنها أمة تتقدم على كل الأمم, وهي شاهدة عليهم, ووجدت لإعمار الأرض وإحيائها, وبالتالي فهي مكلفةٌ بما كُلّف به الأنبياء والرسل.

كما أنّ ذلك سبيل إلى غياب فكرة العبرة والعظة من أذهان هذه الأمة بمن سبق من الأجيال والأمم.

إنّ المتتبع لتاريخ المسلمين وغيرهم يجد سنن الله عزّ وجلّ في الأمم, فقد رفع الله أقواما بسلامة منهجهم, وحسن إتباعهم لرسلهم, وأذلّ آخرين بتبديلهم واختلافهم على أنبيائهم, ودراسة التاريخ تُذكي في نفوس الأمة العبرة والعظة على أسلافهم من الأمم, فيكون هذا الإعتبار مدعاة لتصحيح المسار وتجنب إتباع الهوى, وغياب ذلك مدعاة للإبحار في غياهب الغيّ والضلال.

ثم لا ننسى أنّ ذوبان الشخصية الإسلامية وعدم شعور الأمة بذاتها, من أهم نتائج تجاهل التاريخ, فالأمة التى لا تعكف على دراسة تاريخها, وتتبين فيه مواطن العزة والأنفة والشموخ, وتستعيد أمجاد الأوائل الذين بنوا حضارة الإسلام على دمائهم الزكية, وبصبرهم منقطع النضير, يجعل من الأمة تتمسك بحبائل وأذيال الوهن والذل, وتذوب شخصيتها, وتصبح أمة تابعة لا متبوعة, وتفقد عنصر القيادة والريادة, وعندها لا تقوى على النهوض بواجباتها, وتتسلخ من شرف التكليف الرباني, في أنّ لها الخيرية المشروطة بالأمر بالمعروف, والنهي عن المنكر, والإيمان الخالص بالله.

ومما يمكن الإشارة إليه من نتائج تجاهل التاريخ عدم المقدرة على معرفة الامة لعدوها وطبيعته, وكذلك عدم إمكانية التفريق بين الحق والباطل.

إنّ الصراع بين الحق والباطل قام ويقوم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها, والتاريخ خير شاهد على هذا الصراع وطبيعته, ثم إنّ للأمة أعداءً لا يبصر حقيقتهم إلا من درس التاريخ وتدبره, وفي حال غياب دراسة التاريخ تغيب فكرة أعداء الأمة, فكم من حروب دارت رحاها, كان مقصودها الإسلام, وكم من وقائع حدثت كان ضحيتها المسلمين.

خامساً:- الآثار السلبية التي لحقت بالأمة جراء تجاهلها مقومات الاستقلالية.

لقد جرت على الأمة الإسلامية السنة الإلهية عندما تنازلت عن ثوابت الإسلام, ومقومات الاستقلالية, وتهاونت فيها، لأن تجاهل مثل هذه الثوابت - باعتبارها مقومات أساسية في استقلالية الأمة- يترتب عليه آثاراً سلبية فى جميع الميادين، فقد أصيبت الأمة بالتخلف والتراجع حتى أضحت تسير في فلك الأمم, فلم يعد لها الريادة والقيادة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولعل من أهم مظاهر هذا التخلف ما أشار إليه محمد قُطب في كتابه قضية التنوير[1]:

١. انحراف في العقيدة.

لقد نزلت هذه العقيدة لتؤدى مهمة ضخمة فى حياة الأمة التى تؤمن بها، بل فى حياة البشرية عامة، لا لتكون مجرد كلمة تنطق باللسان، أو وجدان يستسر فى القلب, إنما لتكون شهادة منطوقة، ووجدانا حيا في القلوب، وواقعا مشهودا يراه الناس فى سلوك واقعى، وإذا كان هذا ينطبق على كل رسالة جاءت من عند الله , فإن هذه الرسالة الخاتمة لها وضع خاص عند منزلها سبحانه، وفى واقع الأرض، وواقع التاريخ ، قال تعالى :﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[2].

٢. التخلف الأخلاقي.

من أهم الآثار التي لحقت بهذه الأمة, فإنّ هذا الدين من أول لحظة دين أخلاق, وكل رسالة جاءت من عند الله كانت رسالة أخلاقية، تدعو لمكارم الأخلاق، وترسخ وجودها فى الأرض، ولكن هذه الرسالة الخاتمة كانت هي التمام الذي يتمم البناء، ويعطيه صورته النهائية الفائقة.

وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا, فَأَحْسَنَهُ**

[1] - أنظر: قطب: محمد ، **قضية التنوير**، ص ١٣-٢٥

[2] [المائدة: ١٥-١٦].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَاجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ, فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ, وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ, قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ, وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ"[1].

وأخرج الحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: " **إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ**"[2]. وكانت أخلاق الأمة الإسلامية فى عهودها الأولى مضرب المثل فى كل اتجاه, وفي كل مكان وصلته الفتوحات الاسلامية.

٣. التخلف الحضاري

فهو احد الآثار الناتجة بسبب تجاهل مقومات الاستقلالية, قال تعالى:﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾[3]. وقال تعالى: وَٱبْتَغِ ﴿ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ [4].

وهى الحضارة التي شملت جسد الإنسان وروحه، عقله ووجدانه، عمله وعبادته، دنياه وآخرته، أفراده ومجتمعه، قيمه المادية وقيمه المعنوية، وكانت إنسانية النزعة تفتح أبوابها للبشرية كلها، من شاء منها أن ينهل من مناهلها، لا تحتجز خيرها عن الناس، وتتعامل مع أصحاب الديانات الأخرى بسماحة لم تعرف فى غير الإسلام. حضارة قيم إلى جانب النشاط المادي والحسي ترتاد مجاهيل الأرض، وتستخرج كنوز الأرض، وتنشط كل مناشط الأرض، دون أن تفقد صلتها بربها، وذكرها لآخرتها، وحيثما تحركت نشرت الرقى، ونشرت العدل، وأخرجت الناس من الخرافة إلى الحق، ومن الظلمات إلى النور.

---

[1] النيسابوري : **صحيح مسلم** ،كتاب الفضائل ، باب ذكر كونه صلى الله عليه و سلم خاتم النبيين ، حديث رقم :٢٢٨٦ ج١،ص:٥٩٢

[2] النيسابوري أبو عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، مع تعليق الذهبي في التلخيص، دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط١،١٩٩٠م ، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء و المرسلين، و من كتاب آيات رسول الله صلى الله عليه و سلم التي هي دلائل النبوة ، حديث رقم :٤٢٢١ ج٢،ص:٦٧٠ .وقال الحاكم: هذا صحيح على شرط مسلم قال الذهبي: على شرط مسلم.

[3] [الروم: ٧]

[4] [القصص: ٧٧]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤. التخلف العلمي:

فقد فقدت الأمة حاستها العلمية التي كانت بها ذات يوم معلمة للبشرية, فقد كانت الحركة العلمية الإسلامية حركة رائدة، وشهد بذلك أعداء الامة، وخذ من نماذج تلك الشهادات شهادة آدم متز فى كتابه (حضارة الإسلام فى القرن الرابع الهجرى) وشهادة جوستاف لوبون فى كتابه (حضارة العرب) وشهادة زيجريد هونكه فى كتابها (شمس الله تشرق على الغرب) وغيرهم, وكلهم أشادوا بالحركة العلمية التى كان المسلمون روادها، وأشادوا بصفة خاصة بأعظم ما كان فى تلك الحركة العلمية، وهو اتخاذ المنهج التجريبى فى البحث العلمى، وحتى العلم الشرعى الذى زعمت تلك المعاهد أنه هو العلم الحلال وحده، لم يكن ذلك العلم المتفتح الذى كان فى قرون الأمة الأولى، وأنتج إنتاجا فكريا متميزا، وثروة باقية نافعة، إنما كان دراسة تلقينية تعتمد على استظهار ما خلف الأقدمون، ولا تمنح القدرة على الاجتهاد فيما جد من الأمور، بل تعتبر الاجتهاد ذاته زيغا يعاقب عليه الإنسان بدلا من أن يثاب.

٥. التخلف الاقتصادي.

فى الوقت التى كانت أوربا تخوض الثورة الصناعية كان العالم الإسلامي ما زال يعتمد على الزراعة والزراعة ذاتها تتم بالأدوات وبالأساليب البدائية التى ظلت مستخدمة آلاف السنين دون تغيير وتقتصر الصناعة على الحرف اليدوية المحدودة الطاقة المحدودة الإنتاج المحدودة التوزيع وفى الظروف التى شرحنا جوانب منها من قبل، من أمراض عقدية وأمراض سلوكية، وتخلف علمى وتخلف حضارى، لم يكن التخلف الاقتصادى إلا نتيجة طبيعية لمجموع الظروف, أما بالنسبة لما كان عليه حال الأمة فى قرونها الأولى، وبالنسبة لما كان يجب أن يكون، فلانتكاسة مريعة فى حجمها، وفى نتائجها فى وقت من الأوقات كانت ثروة العالم فى يد المسلمين كانت التجارة العالمية من الصين شرقا إلى الجزر البريطانية غربا وشمالا فى يد التجار المسلمين, وكان البحران الأحمر والأبيض بحيرتين إسلاميتين إن صح التعبير. وكان البحارة المسلمون هم سادة البحار، العالمين بشواطئها، ومدها وجزرها، وخطوط الملاحة الصحيحة فيها، سواء فى المحيط الهندى فى آسيا أو المحيط الأطلسى فى غرب أفريقيا وغرب أوربا، أو أنهار أفريقيا وآسيا، وحين اكتشفت فاسكودا جاما طريق رأس الرجاء الصالح، فقد اكتشفه على هدى الخرائط الإسلامية, وحين أتم رحلته إلى جزر الهند

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الشرقية فقد كان قائد سفينته هو البحار العربى المسلم ابن ماجد, فى ذلك الوقت كانت ثـورة العالم فى يد المسلمين.

٦. التخلف الحربي.

سواء كان التخلف الحربى ناشئا من العوامل التي أشرنا إليها آنفا: أي التخلف العلمـي والتخلف الاقتصادي والتخلف العقدي، والتخلف الحضارى – وهو ما نرجحه – أو كان السبب كما يقول بعض المؤرخين هو تفكك فرقة الإنكشارية التى كانت تمثل العمود الفقرى فى القوة الحربية للدولة العثمانية، وعجز الدولة عن تعويضها، فقد حدث التخلـف الحربـى بالفعـل، وحدث فى أحرج الأوقات، التى كانت أوربا فيها تزداد قوة فى جميع الميادين، ومـن بينهـا الميدان الحربى، فنشأ من ذلك اختلال حاد فى ميزان القوى، وصارت الدولة العثمانية هـدفا للصليبية من كل جانب، ففرنسا وبريطانيا من جهة تؤلبان النصارى الداخلين فى حكم الدولـة العثمانية فى أوربا وآسيا ليثوروا على الدولة ويستقلوا عنها، وروسيا من جهة أخرى تجتـاح الممالك الإسلامية فى آسيا، وتستولى عليها، وتفصلها عن دولة الإسلام، وتعمل فيها حقـدها الصليبى, ثم لم تكتف الصليبية بذلك، بل سعت إلى احتلال بلاد العالم الإسلامي واحـدا بعـد الآخر، حتى إذا جاء القرن التاسع عشر الميلادى لم يكن قد بقى من العالم الإسلامي مـا لـم تدنسه أقدام الصليبين إلا جسم الدولة العثمانية، وأجزاء من الجزيرة العربية.

٧. التخلف السياسي.

وقع الاستبداد السياسى مبكرا فى حياة الأمة الإسلامية منذ الدولة الأموية , وقد كانـت فترة الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بالفعل عودة إلى ذلك الصفاء النموذجى، وكان يمكن أن تستمر حركة التصحيح حتى تعيد الأحوال إلى صورتها الإسلامية الأصيلة ثم جاء الحكـم العباسى، فالمملوكى، فالعثمانى، يرث بعضهم بعضا فى طريقة الحكـم الاسـتبدادي، إلا أن يقيض الله للمسلمين حاكما عادلا بطبعه، فيأخذ الناس بالرفق، ويسوسهم بالعدل. أن الأمة لـم تعد تهتم من جانبها بتصحيح مسار الحكم كما أمرها رسولها(عن طريق الأمـر بـالمعروف والنهى عن المنكر: "**كَلاَّ وَاللَّهِ لَتَأمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأخُذُنَّ عَلَـى يَـدَى الظَّالِمِ وَلَتَأطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا**"[1], وهـذا هـو الـذى نقـصده بالتخلف السياسى، لأنه تخلف عن الصورة التى أمر بها الإسلام، والتى عاشها المسلمون واقعا

[1] ، أبو داود السجستاني: **سنن أبو داود**، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه،كتاب الملاحم ، باب الأمر وَالنَّهى، حديث رقم :٤٣٣٦ ج١،ص:٧٠٤ والحديث ضعيف.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أيام الخلافة الراشدة، سواء من جانب الحكام أو من جانب المحكومين, لقد شدد الرسول في عدم الخروج المسلح على الحكام الجائر في الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : " **دَعَانَا النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- فَبَايَعْنَاهُ فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**"[1]. لأن الضرر المترتب على الفتنة أكبر بكثير من الضرر المترتب على الجور. ولكنه (لم يأمر الناس أن يستنيموا للظلم الواقع عليهم ويتركوا مجاهدته بوسائل أخرى غير الخروج بالسلاح (كالوسيلة السياسية مثلا عن طريق أهل الحل والعقد وهم نواب الأمة الراعون لمصالحها) بل قال على العكس من ذلك: " وفي الحديث الذي أخرجه أبو داود من حديث أبي **بَكْرٍ** الصديق رضي الله عنه **بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا (عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) قَالَ عَنْ خَالِدٍ**[2] **وَإِنَّا سَمِعْنَا النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ : إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ**"[3]، ولكنا لا نعجب للتخلف السياسي إذا وضعناه إلى جانب إخوته من ألوان التخلف فى شتى الميادين.

٨. التخلف الفكري.

إن الجانب الفكرى للأمة يتمثل فى المفكرين وأصحاب الرأى، وقد أبدع العقل الإسلامي فكرا رائعا على مساحة واسعة لعدة قرون، وكانت مزيته العظمى – فيما عدا الشاذ الشاطح منه – أنه نابع من الإسلام، مستمد من أصوله، منبثق من ينابيعه الصافية، غير متأثر بلوثات الجاهلية من حوله. وإذا أسقطنا من حسابنا من تأثروا بالفكر الإغريقى – الفلسفى والكلامى – فإن الفكر الإسلامي الأصيل يظهر جليا فى العلوم الشرعية كلها: علوم القرآن وعلوم الحديث والفقه والأصول وعلوم اللغة، وكلها إنتاج فذ لا مثيل له فى أى لغة أخرى غير العربية، ولا عند أى أمة أخرى غير الأمة الإسلامية. ولكن هذا – على غزارته وسعة

---

[1] البخاري: صحيح البخاري، والل ،كتاب الفتن ، باب قول النبي صلى الله عليه و سلم سترون بعدي امورا تنكرونها ، حديث رقم :٧٠٥٦ ج١،ص:٩٧٣.

[2] قَالَ عَنْ خَالِد): أَيْ قَالَ وَهْب بْن بَقِيَّة عَنْ خَالِد عَنْ إِسْمَاعِيل عَنْ قَيْس عَنْ أَبِي بَكْر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وَإِنَّا سَمِعْنَا النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول إِلَخ فَمَقُول الْقَوْل هُوَ قَوْله وَإِنَّا سَمِعْنَا النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول إِلَخ . وَخَالِد هَذَا هُوَ الطَّحَّان قَالَهُ الْمُنْذِرِيّ(العظيم آبادي محمد شمس الحق ،عون المعبود شرح سنن ابي داود ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ ،ج١١،ص:٣٢٩).

[3] السجستاني، ابو داود : **سنن أبو داود**، والل ،كتاب الملاحم ، باب الأمر وَالنَّهْى، حديث رقم :٤٣٣٨ ج١،ص٧٠٤:صححه الألباني.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

آفاقه – لم يكن هو الإنتاج الفكرى الوحيد للمسلمين، المستمد من أصول الغزالى فى أغـوار النفس البشرية، وكلام الماوردى والقابسى فى التعليم، وجهود المؤرخين المسلمين والجغرافيين المسلمين، وهذا كله غير الدراسات الأدبية والنقدية التى تتكلم عن إعجاز القرآن أو عن أسرار البلاغة أو عن العلاقة بين المعنى واللفظ. إنتاج ضخم، لفكر حى متحـرك، لقـوم يعيـشون الإسلام واقعا، فيشكل الإسلام فكرهم ومشاعرهم كما يشكل سلوكهم، ويشكل ثقافتهم كما يشكل ممارساتهم. وكان الفكر الحى المتفتح انعكاسا للواقع الحى المتحرك، فلما خبا المنبع فى داخل القلوب، ذهبت الأصالة المتجددة، وخفت النبض المتدفق, ثم غفا صاحب الفكر, ثم راح فـى سبات عميق[1].

[1] انظر: قطب :محمد ، قضية التنوير، ص ١٣-٢٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الخامس

آثار استقلالية الأمة على الفرد والأمة

المطلب الأول

آثار الاستقلالية على الأمة

إنّ الأمة الإسلامية لها خصوصية في تفردها, ولم يحظى بهذا التميز أمة من الأمم, وقد خصها الله سبحانه وتعالى برسالة الإسلام, فكانت آخر الأمم, وكان نبيها خاتم الأنبياء والرسل, فكانت خير امة أخرجت للناس, ما أمرت بالمعروف , ونهت عن المنكر, وآمنت بالله, فلم تكن هذه الأمة لتضعف أو تذل حين تحقق استقلالها من التبعية والاحتواء والذوبان في غيرها ، فعندها سوف تجني ثمار هذه الاستقلالية وآثارها، ويمكن بيان أبرز آثار هذه الاستقلالية على الأمة على النحو الآتي:

أولاً:- التخلص من التبعية وشعور الأمة بعزتها وكرامتها.

إن الأخطار والتحديات التي يواجهها العالم الإسلامي اليوم, عديدة ومتنوعة, فجزء منها من داخل الأمة ومكوناتها, والجزء الآخر من جهة عدوها, ومطامعه في استبقاء السيطرة, واستمرار الاستيلاء, والحيلولة دون تحرر المسلمين, فمعاول الهدم مجتمعة تحول دون التحرر والاستقلالية,

إنّ قضية بقاء الأجنبي وتدخله في عالم الإسلام تسهم بشكل كبير على إذابة هذه الشعوب الإسلامية في البوتقة الغربية, وإخراجها من أصولها وقيمها ومن تراثها وفكرها، ولغاتها وتاريخها وإسلامها إلى التبعية الكاملة, وعن هذا الطريق يمكن القضاء على الفكر الإسلامي, ومقومات وجوده القائمة على القران الكريم, وما صح من السنة المشرفة.

أخرج أبو داود في سننه من حديث **ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ --صلى الله عليه وسلم-: "يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا", فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: "بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ, وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ, وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ", فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ, وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ:"حُبُّ الدُّنْيَا ,وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ"**[1].

إنّ أخطر التحديات التي تواجه المسلمين اليوم إنما تتوجه إلى أصالتها وجوداً, فالأصالة والتبعية وفهمنا لهما وموقفنا منهما عاملان مهمان في بيان حال الأمة, فأول أهداف

---

[1] أبو داود السجستاني, **سنن أبي داود**, , كتاب الملاحم, باب فى تداعى الأمم على الإسلام, ج: ٤, ص: ١٨٤, حديث رقم: ٤٢٩٩, قال الألباني: حديث صحيح.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأصالة هي التحرر من دائرة الفكر الغربي، ونقل التفكير كله إلى دائرة الفكر الإسلامي نفسه بمفاهيمه وقيمه الذاتية، ومزاجه النفسي والاجتماعي، إنّ لنا نظرية أصيلة كاملة في الاجتماع والنفس والتربية والاقتصاد فلنعرض عليها مواقفنا ولنعرض عليها مختلف ما يرد إلينا من نظرية الفكر الوافد، والنظر إلى نظريات الفكر الغربي -بشقيه- على أنها نظرات تخص الآخرين استمدوها من بيئاتهم وظروفهم وتحدياتهم وعلينا أن نقف دائماً في ضوء فكرنا.

ورد في كتاب الإسلام في وجه التيارات الوافدة:

إنّ أي نظرية أو مذهب أو قضية يجب أن تعرض على أصول فكرنا العربي الإسلامي من اجل التمحيص والتدقيق، ذلك أن فكرنا الجديد والمتجدد إنما يستمد نموه من جذوره، وهو في نفس الوقت مفتوح على الفكر العالمي والبشري, ولا يعيث في جو من العزلة, فالإسلام لم يمنع الانفتاح والالتقاء بالثقافات المختلفة[1].

أخرج الترمذي في (سننه) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:" قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "**الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا**"[2]. ولكن على قاعدة أساسية واضحة: هو أن لا تحجب الشخصية الأصلية ولا الملامح العامة ولا تهدم قيمة من القيم الأساسية, فالمنهج المعرفة الإسلامي يقوم على الترابط بين القيم ويتخذ من الوحي هادياً للعقل ومن الفطرة سبيلاً إلى العلم، هذا المنهج الذي يقوم على التحرر من الهوى والتعصب. ويتجاوز الرغبة الخاصة إلى الغاية الكبرى. فالإسلام يوازن بين العقل والوجدان والروح والمادة والدنيا والآخرة بينما العالم الغربي الآن يمر بمرحلة "الأزمة" وبدور "النهاية"؛ فقد عجزت الحضارة عن أن تعطيه سكينة النفس أو طمأنينة القلب بعد أن فصل بين الروح والمادة، ومن ثم كانت أبرز مظاهر حياته الآن: التمزق والضياع والعبث.

وقد حرص الإسلام على أن يحفظ شخصية أهله ولذلك دعاهم إلى معارضة التقليد وإنكار التبعية وكفل لهم منهجه الرصين المحكم القادر على ملاقاة كل بيئة وعصر، وكفل لهم كل ما يحتاجونه في مجال الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية, فقد دعا الإسلام معتنقيه إلى معارضة التقليد الأجنبي، وحذر من التشبه بالآخرين وحرص على أن تظل شخصية المسلم وفكره وحضارته ومجتمعه متميزة، وأعلن لذلك حرباً لا هوادة فيها على التقليد وعلى التبعية:

أخرج البخاري في صحيحه من حديث قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: " **لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا**

---

[1] انظر الجندي: أنور, **الإسلام في وجه التيارات الوافدة**, ج: ١, ص:١١.

[2] الترمذي: سنن الترمذي،كتاب العلم ، باب ما جاء في فضل الفقة على العبادة ، حديث رقم :٢٦٨٧ ج١،ص٦٦٩:والحديث ضعيف وقال هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْفَضْلِ الْمَخْزُومِيُّ يُضَعَّفُ فِي الْحَدِيثِ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ"[1], وكذلك حكم على من تشبه بقوم بأنه قد انفصل عن أهله وأصبح من أهل القوم الذين تشبه بهم, أخرج أبو داود من حديث عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-:"مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ"[2], كما دعا إلى إعلان التمييز بين الأمم من حيث العادات والأخلاق, وكشف الإسلام عن مدى أثر التقليد في فقدان الشخصية وأثر التبعية في عبودية الفكر والعقل, ففي الحديث الذي أخرجه احمد من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه" أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَتَى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ فَقَرَأَهُ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- فَغَضِبَ فَقَالَ أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى -صلى الله عليه وسلم- كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي"[3].

وقد جاء التحذير من إتباع اليهود والنصارى في القران الكريم, وما صح من السنة، حيث بين لنا القرآن الكريم لمواقف اليهود والنصارى العدوانية, وأنهم يُكنون لنا في صدورهم الغل والحقد والحسد وأنهم يتربصون بنا الدوائر، ويريدون لنا الضلال والهلاك والبعد عن ديننا الحنيف.

وهذا لا يعني الدعوة إلى الانعزال بالمسلمين عن غيرهم من الأمم والشعوب، فإنّ المسلمين جزء من هذا العالم, ولا يعيشوا بمعزل عنه, ولا بد لهم من الاحتكاك بغيرهم من الأمم، ورفض الانفتاح على ما عند الآخرين الأخرى موقف ربما ضر بأمتنا، فليس ثمَّ انعزال وانغلاق على النفس, وإلا سيكون الموت الحضاري, ولكن ينبغي أن يكون هناك تواصل حضاري مبرأ من التبعية والذوبان، وهو أخذ ما كان نافعًا من الحضارات الأخرى دون التأثير على الهوية الإسلامية، وقد ساهمت السنة النبوية في بيان ما ينبغي ان يكون حال هذه الأمة في علاقاتها مع الآخرين بكم كبير من النصوص الشرعية لعل من أهمها:

---

[1] البخري:صحيح البخاري ،كتاب الاعتصام بالكتاب، باب قول النبيّ صلى الله عليه وسلم لتتبعنّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ،حديث رقم: ٧٣٢٠،ج١،ص:١٠٠٦.

[2] السجستاني، أبـو داود سنن ابي داود ،كتاب اللباس، باب بَاب فِي لُبْسِ الشُّهْرَةِ،حديث رقم: ٤٠٣١،ج١،ص:٦٥٤.) قال الشيخ الألباني : حسن صحيح .

[3] الشيباني ابن حنبل مسند أحمد ،حديث رقم: ١٤٦٢٣،ج٣٠،ص:١٧٣. قال الشيخ الألباني : حسن .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عَائِشَة قالت: قالَ رَسُولُ اللَّـــه -صـــلى الله عليه وسلم-: " **لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنْ الْغِيلَةِ حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ فَلا يَضُرُّ أَوْلادَهُمْ**"[1].

والغيلة هو: جماع المرضع أو الحامل، وكانت العرب يحترزون عنها ويزعمـــون أنها تضر الولد حتى ذكر أن فارس و الروم يصنعون ذلك ويجامعون المرضع والحامل فـــلا يضر أولادهم فلو كان الجماع أو الإرضاع حال الحمل مضرًا لضر أولاد فارس والروم[2].

فالنَّبيّ عليه الصلاة والسلام ينظر بعين الخبير إلى أحوال الأمم ويأخذ العبرة والخبرة من أحوال غيره، فليس ثمَّ مانع من النظر إلى أحوال الغرب ولا سيما المستقرة منها والتـــي تعود على المسلمين بالخير ونقلها إلى بلادهم، والاستفادة بها في حياتهم.

أخرج احمد في المسند من حديث أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه قالَ: "**لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الرُّومِ كِتَابًا قَالُوا: إِنَّهُمْ لا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا مَخْتُومًا قَالَ: فَاتَّخَذَ رَسُولُ اللَّهِ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ؛ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ نَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ**"[3].

فالنَّبيّ عليه الصلاة والسلام لم يأبَ هذا الخاتم بل قبله, لأنه ليس هناك تأثير علـــى دين الله, بل هو من الأمور التنظيمية التي دعا إليها الدين، فلا غضاضة من الاســـتفادة مـــن فارس أو الروم ما دام دين الله في مأمن, وحياة المسلمين تسير إلى أحسن, وعلى هذا المنهج لا نقبل كل الوافد أيضًا, فيجب أن نُمسك بمصفاة الإسلام التي تسمح لما هو خير أن ينفذ إلى واقعنا وحياتنا وتمنع كل شر أن يتغلغل إلى مجتمعنا [4].

وحين عمل الإسلام على تحرير أتباعه من التأثير الأجنبي بكل أنواعه، دعـــا إلـــى الحذر من الحرب النفسية التي يشنها أعداء الإسلام والتي تهدف إلى تغيير المعـــالم الأصـــيلة لعقيدتنا وفكرنا وثقافتنا ومزاجنا النفسي[5].

فعلى المسلمين أن ينتقلوا من الإسلام إلى الإيمان, ولا بد أن ينكسر قيد التبعية ويتحطم قيد التقليد ويتحرر الفكر الإسلامي من الدائرة المغلقة التي فرضها عليه نفوذ المنهج الغربـــي الوافد, ولابد أن يتحرروا من التبعية للنظريات الغربية أو المفاهيم الوافدة, وعليهم أن يفكروا بلغتهم وأن يتحركوا من داخل فكرهم وأن يتجاوزوا سارتر وفرويد وماركس ودور كايم.

---

[1] النيسابوري : **صحيح مسلم** ،كتاب النكاح، باب جواز الغيلة وهي وطء المرضع وكراهة العزل ،حديث رقم: ١٤٤٢،ج١،ص:٣٥٨.

[2] انظر: النووي،المنهاج ،ج١٠، ص:١٦-١٧.

[3] الشيباني ابن حنبل **مسند أحمد** ،حديث رقم: ١٣٩١٦،ج٢١،ص:٣٦٨. قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[4] انظر: الشحود: علي بن نايف: **المسلم بين الهوية الإسلامية والهوية الجاهلية** ، مُخَالَفَة أَصْحَابِ الجَحِيمِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالمشركِينَ بقلم/ عِمَاد حَسَن أَبُو العَيْنَيْن، ص:٢،٩٤ .

[5] انظر: الجندي :أنور ، **تصحيح المفاهيم الإسلامية** .ج١، ص: ٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إنّ من أخطر الأخطار أن يدخل العرب والمسلمون في مواجهة مع عـدوهم بمفـاهيم وافدة, وقيم مضللة, واعتقادات وثنية, ولابد أن تفتح اللغة العربية أبوابهـا لاسـتقبال العلـوم والتكنولوجيا بمختلف فروعها وأنواعها, وهذا شرط أساسي لقيام نهضة حقيقية، فـلا بـد أن تتصهر هذه العلوم في بوتقة اللغة التي هي فكر الأمة ووعاء ذوقها وثقافتها، ولن تستطيع أمة أن تخطو في مجال العلوم خطوة واحدة إلا إذا كانت مفاهيم العلوم داخل إطار لغتها, فما أشد حاجتنا إلى اليقظة من خطر الاحتواء والإذابة, هذا الخطر الذي نجا منه الجيل الماضي ويجب أن ينجو منه جيلنا أشد بصيرة ويقظة وحرصاً، إن هناك محاولة للانقضاض علينا لإذابتنا في البوتقة الكبرى، بوتقة الشعوبية العالمية, لنفقد ذاتيتنا ومزاجنا الخاص ونصبح تابعين أوليـاء لثقافات لا تصدر عن مصادرنا. إن أمتنا لها منهج فكر وفلسفة حياة فعليها أن تعـرف ذاتهـا وأن تؤكد شخصيتها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثاني

آثار استقلالية الأمة على الفرد المسلم

إنّ للاستقلالية آثارا جمة, وثماراً يانعة تأتي أكلها كلّ حين عندما تتفرد الأمة بعقيدتها وتتمسك بكتاب ربها وسنة نبيه –صلى الله عليه وسلم–, فلا يبقى لملة أو طائفة عليها سبيلا ما كانت على الطريق الواضح والمنهج السليم, وهذه الآثار شاملة يبلغ بها المدى أن تطال الزمان والمكان, والأفراد والجماعات, فلا حدّ يوقفها, ولا عارض يثنيها.

ويمكن بيان أبرز آثار استقلالية الأمة على الفرد المسلم على النحو الآتي :

أولاً:- ثقة المسلم بدينه.

قال ابن كثير – وهو يذكر قصة ربعي بن عامر مع ملك الفرس–:

"فدخل عليه, وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير, واظهر اليواقيت واللآلىء الثمينة, والزينة العظيمة, وعليه تاجه, وغير ذلك من الأمتعة الثمينة, وقد جلس على سرير من ذهب, ودخل ربعي بثياب صفيقة, وسيف وترس, وفرس قصيرة, ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط, ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد, واقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه, فقالوا له: ضع سلاحك, فقال: إني لم آتكم, وإنما جئتكم حين دعوتموني, فان تركتموني هكذا وإلا رجعت, فقال رستم: ائذنوا له, فاقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق, فحرق عامتها فقالوا له ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله, ومن ضيق الدنيا إلى سعتها, ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه, فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه, ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضي إلى موعود الله"[1].

إنّ أخطر موقع يكون عرضة لسهام الغزو الثقافي هو ثقة الأمة بنفسها وبإمكانياتها الذاتية، والأمم الإسلامية تستمد هذه الثقة من كتاب ربها وسنة نبيه ودينه الذي ارتضاه لعباده ، لأجل ذلك كان الإسلام مستهدفاً في نفس كل مسلم عن طريق ضرب عناصر القوة في هذه العقيدة بالتشكيك في الأصول والاستخفاف بالفروع ، ولم ينج من هذا الهجوم حتى النص القرآني ، أو صدق الرسول –صلى الله عليه وسلم– وسنته ، أو كمال الشريعة ، أو تاريخ الأمة وإنجازات المسلمين في ميادين الثقافة والحضارة.

[1] ابن كثير, إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء, **البداية والنهاية**, مكتبة المعارف – بيروت, ج:٧, ص: ٣٩, غزوة القادسية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكان الهدف هو غرس الشك في ثقة المسلم بنفسه وبأمته وبعقيدته وسلفه الصالح وذلك لتدمير وعيه الإسلامي وإفساد شخصيته الإسلامية وجعله نتيجة لذلك أكثر خضوعاً تعوزه القدرة الروحية اللازمة للمقاومة.

لقد أصبح كل شيء إسلامي هدفاً للهجوم, سواء على أيدي الاستعماريين مباشرة أو على أيدي أدواتهم من أهل البلاد, فانجر على أثر ذلك سيل عرم من الشباب الذي رفع لواء العداء نحو قوميته وأصالته، ووقف معارضاً لعقائد مجتمعه بالسخرية والاستكبار ، وأخطرهم أولئك الذين يتدثرون بجلباب البحث العلمي ، وما هم في الحقيقة إلا جسوراً اعتلاها المد الاستشراقي والفلسفة الاستعمارية للوصول إلى قلب الأمة النابض .

إن عبث المستشرقين وأصحاب المدرسة الاستغرابية بالتراث الإسلامي باعد الشقة بين أبناء العالم الإسلامي وحقيقة دينهم ، وعمق ثلم الاستلاب الحضاري في نفوسهم ، ولا نعلل ذلك التأثير السلبي إلا بغياب الحركة النقدية الواعية التي تكشف كل بدعة دخيلة في الدين أو مقولة هدامة للعقيدة [1].

وقد تمكن مهندسو الاستغراب والعلمانيون من توجيه اهتماماتنا وفق إرادتهم ومشاريعهم وهم يحاولون بلا ملل أن يختلقوا لنا مشاكل لا تمت إلى واقعنا بصلة ، وقد نجحوا إلى حد كبير في مهمتهم فنسينا في الواقع مشكلاتنا باعتبار أننا قوم تدين بالإسلام وتنتمي إلى حضارته العريقة .

ولا نعلل ذلك التأثير السلبي إلا بغياب الحركة النقدية الواعية التي تكشف كل بدعة دخيلة في الدين أو مقولة هدامة للعقيدة. لقد كان سلفنا الصالح يقف بالمرصاد لغزو الثقافات الوثنية الوافدة من الهند وفارس واليونان، وفي عصرنا هذا سرى المفهوم الغربي للدين في نفوس المثقفين فهجروه وتركوا بذلك الأبواب مفتوحة لكل فكرة ضالة أو شائعة محبوكة [2].

لذلك كان لا بد من مواجهة هذه الهجمة الشرسة التي تسعى إلى تشكيك المسلم بدينه وفقد ثقته به بالعمل على ترسيخ هذه الثقة وتعميقها في نفسه.

ومن وسائل غرس ثقة المسلم بدينه هو بث روح الأمل في نفسه، فالأمل هو النافذة الكبيرة التي تنفتح له، ليرى أن المستقبل سيكون زاهراً، وأن نهضة أمته ستتحقق بإذن الله، ومصداقية هذا الأمر أن تحتشد الأمة في حركة وعمل ومشاريع.

---

[1] - راجع : ابن عاشور :خميس ، **الانتماء الحضاري للأمة**، مجلة البيان، ٧٥/٣٣ ، .

[2] راجع: . الفاروقي :إسماعيل راجي: أسلمة المعرفة ، ترجمة عبد الوارث سعيد، جامعة الكويت، دار البحوث العلمية بالكويت ١٠/٧ **الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل**، الدكتور يوسف القرضاوى ، التبشير في بلاد المسلمين وموسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١-٢٩ ٣٠٣/٢٢ ، .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"وقد أكد الله في مواضع كثيرة على أن الغلبة لأوليائه والنصرة لهم ليبعث في نفس المسلم الأمل واليقين بتحقق النصر. يقول تعالى:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[1]".

ومن الأهداف الإستراتيجية التي يسعى الإسلام إلى تحقيقها من ترسيخ ثقة المسلم بدينه هو أن يحتفظ بهويته الإسلامية التي هي بمثابة قلعة الصمود في وجه مختلف التيارات المعادية للإسلام.

إن هوية المسلم هي حفاظه على دينه وتميزه عن غيره، واعتزازه به وتمسكه بتعاليمه والتزام منهجه في صغير الأمور وكبيرها، إن الإسلام هو الدين الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه بعد بعثة نبينا محمد – عليه الصلاة والسلام – وبلغته دعوته، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[2] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[3]، وأخرج مسلم[5] في صحيحه من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– أَنَّهُ قَالَ: " **وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِى أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِىٌّ وَلاَ نَصْرَانِىٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ** ".

---

[1] [النور:٥٥]
[2] سلطان :جاسم ، وقوانين النهضة ،موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، ٤٣٤/٣٩.
[3] [آل عمران: ١٩]
[4] [آل عمران: ٨٥]
[5] النيسابوري : صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَاب وُجُوبِ الإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ، حديث رقم: ١٥٣، ج١، ص:٤٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالإسلام نظام متكامل شامل لجميع جوانب الحياة كلها، يقول تعالى:﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[1]،يقول أحد المعاصرين في بيان ذلك: "فهو منهج شامل متكامل للتصور والاعتقاد والعمل، منهج لا يعرف الانفصام بين أشواق الروح وحاجات الجسد، منهج يجعل من العلوم المادية وثمراتها الحضارية مطلباً أساسياً لعمارة الأرض، ولكن في ظل علاقة الخالق بالمخلوق"[2], وما كان هذا شانه فمن الطبيعي أن يطمئن الإنسان له, بل هو بمثابة الركن المتين الذي لا غنى للإنسان عنه.

ومن سبل الحفاظ على الهوية الإسلامية وعوامل ثباتها واستقرارها العناية بترسيخ العقيدة الإسلامية ودراستها والتحذير مما يخالفها وبيان ما يضادها، إلى جانب التعليم الشرعي والتفقه في الدين، بعلومه المتنوعة . إن العلاقة بين الهوية والتعليم علاقة وثيقة متلازمة، فمتى كان التعليم قوياً له أصوله الراسخة وقواعده المتينة وشموله الواسع ومعايشته لشؤون الحياة وارتباطه بواقع الناس أثر ولا شك في حفاظ الناس على هويتهم وتمسكهم بدينهم، ولهذا كانت عناية الإسلام بالتعليم بالغة، حتى كان من خصائصه[3].

ومعلوم لكل مهتم بالعمل الإسلامي أن من مؤشرات نجاح الصحوة الإسلامية هو إحياء الاعتزاز بالإسلام والاستعلاء به على كافة المعتقدات والأديان الأخرى ، حتى إنك ترى المسلم يُمتحَن بسبب إسلامه ويقبل التضحية بكل شيء ولا يترك إسلامه[4], فالعزة بالمفهوم الإسلامي هو شعور المسلم بسمو الفكرة الإسلامية عما سواها من الأفكار, وأن ينتشر الاعتزاز بالإسلام، ومظاهره، وأشكاله، ومبادئه، ومفاهيمه, وأن يسود الاعتزاز بجوهر الإسلام قبل مظاهره الخارجية. فالمظاهر الخارجية هي دليل على قوة الالتزام بجوهر الإسلام, وقد جاء القرآن ليكرم الأمة ويبعث فيها العزة, يقول الله تعالى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

---

[1] [الأنعام: ٣٨]

[2] ينظر: البدر : بدر بن ناصر ، **أهمية التعليم في الحفاظ على الهوية الإسلامية ، المسلم بين الهوية الإسلامية والهوية الجاهلية** ،ج١،ص١٨٣، .

[3] - راجع: الشحود: علي بن نايف: المسلم بين الهوية الإسلامية والهوية الجاهلية ، أهمية التعليم في الحفاظ على الهوية الإسلامية د. بدر بن ناصر البدر ص١٨٣

[4] - راجع:مجلة البيان أدب وتاريخ ، موقف الإسلام من العصبية القبلية محمد الناصر ص٥٠/٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾[1]،

فالتميز في أنماط الحياة فيما نحب وما نكره، وفي أعيادنا وأشكالنا واحتفالاتنا وملابسنا يدل على شدة الاعتزاز بفكرتنا وما تدعو له, فمن مظاهر الإيمان بالفكرة: هو جعلها مقياساً، والحكم بالصواب أو الخطأ على أساسها, وتكمن مظاهر العزة في تغير أنماط الحياة تبعاً للفكرة وتغليبها على ما سواها، سواء في اللغة والملبس والمشرب وأنماط السلوك.. والشعور بتميز الذات حاملة الفكرة وبقدرتها على التنفيذ .

إن تعميق عقيدة الإسلام في نفوسنا المبعثرة الأفكار، وترسيخ مفاهيمه الأساسية فيها متمثلة في كل ما يتصل بأمور الشريعة والعقيدة ، كل ذلك يمهد السبيل الذي يحقق هذا الشعور النبيل الذي يحافظ على شخصية الفرد وهوية المجتمع وتماسكه ووحدته, فالشعور بالانتماء لحضارة الإسلام العظيمة عنصر قوي يحمي الأفراد والمجتمعات، ويحول دون انحلالها في حضارة المستعمر وفلسفته ، وهذا الهدف الغالي إنما يكون بالتربية الإسلامية، وحري بنا نحن اليوم أن ننهج مسلك أجدادنا الخالدين على صفحات التاريخ العالمي . إننا إذن مكلفون بحمل هذا الإرث العظيم وبعث أنواره لتعم أرجاء حياتنا التي تلفها الظلمات وتعبث بها أيدي الفساد والإلحاد[2].

فالانتماء الحقيقي وسيلة إرضاء الرب وإنقاذ الذات . فهو بداية السير ، وليس دليل اجتياز المراحل . إن الانتماء الحقيقي ارتباط مصيري بالعمل الإسلامي . ارتباط يغيرّ منهاج حياة الفرد ، بل وآماله وأحلامه، قال تعالى:﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣ ﴾[3]،

هذا هو المفهوم الحقيقي للانتماء, فإذا انطلقنا بهذا المفهوم من مجرد التنظير إلى آفاق المعالجة الواقعية للعمل الإسلامي، فلا بد لنا من وسائل، منها:

١. توفير المناخ التربوي الذي يفسح المجال لنمو شخصية أفراد العمل الإسلامي، ويتحول بهم من روح القطيع والعمل عبر التقليد الأعمى إلى روح الفريق والعمل على بصيرة

---

[1] [آل عمران:١١٠].

[2] ابن عاشور :خميس ، الانتماء الحضاري للأمة **المفصل في الرد على الحضارة الغربية**،٢٧٥/٨ ، .

[3] [الأحزاب : ٢٣] .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[1].

٢. اختيار أساليب العمل القائمة على توجيه العلماء والدعاة الموثوقين والمعروفين بصدق معتقدهم وحسن الإمساك بدفة القيادة، مع الأخذ بأكبر قدر من المبادرات الفردية .

قال تعالى:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[2] ، وأخرج مسلم في صحيحه من حديث جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ" **لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ -صلى الله عليه وسلم- فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ تَعَالَ صَلِّ لَنَا فَيَقُولُ لا إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الأُمَّةَ**"[3].

وليدرك كل فرد من أفراد العمل الإسلامي أن الانتماء للعمل الإسلامي بعد تجديد الإخلاص لله وتجريد المتابعة لرسوله- صلى الله عليه وسلم- إنما يعني: العمل الجاد, والصبر والمصابرة, والمرابطة, ذلك أن العطاء هو بطاقة الانتماء, وإن منا من يؤكد انتماءه للعمل الإسلامي ، بينما هو يقف في مواقع الأخذ والاستهلاك دون أدنى عطاء أو عمل, فإذا ساءلنا أحد عن دورنا في إحياء الأمة وعودتها إلى قيادة القافلة البشرية من جديد : أخرج كلّ منا بطاقة انتماء لهذا الفصيل أو ذاك من فصائل العمل ، وكأن بطاقة الانتماء تغني عن العمل الجاد والتحرك الواعي ، أو كأن فصائل العمل الإسلامي قاعات للنوم والخمول والكسل ، وهذا ليس هو الانتماء للعمل الإسلامي [4].

وقد أيقن الصحابة الكرام أن الانتماء للإسلام معناه حمل همومه والدفاع عن حياضه ومعايشة آماله وآلامه، لا أن إسلامه فقط تأدية الشعائر الظاهرة بالجوارح فحسب، ثم

---

[1] [يوسف : ١٠٨] .
[2] [آل عمران : ١٠٤] .
[3] النيسابوري : **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان ، بَاب قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ،حديث رقم: ١٥٦،ج١ ،ص:٤٨.
[4] انظر: بدري :محمد محمد ، **بطاقة الانتماء**: مجلة البيان ٣٦/١١٣.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

لا ولاء ولا براء ولا تفكير في هذا الدين ولا حملانًا لهمومه أو سعيًا جادًّا لرفعة أهله والنهوض بهم مهما كانوا من أي قطر أو لون, فقد أعزهم الله [1].

ففي غزوة بدر قاتل فيها القريب قريبه ، فبهذه الروح الإيمانية ، وهذا الانضواء تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، خلُص المجتمع الجديد من عصبيات قاتلة ، بمجرد أن عاشوا حقيقة هذه الشهادة . وإن الأخوة التي قامت بين المهاجرين والأنصار كانت دليلاً حاسماً على قيام دولة العقيدة ونشوء مجتمع قضى على رواسب العصبية الجاهلية, وفي خطبة الوداع وضع المصطفى -صلى الله عليه وسلم- أسس التجمع العقيدي الصحيح إذ قال في الحديث الذي أخرجه أبو داود من حديث عمرو بن الأحوص أنه قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَقُولُ : "**وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ مِنْ دَمِ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ دَمٍ أَضَعُ مِنْهَا دَمُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ... قَالَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ قَالُوا نَعَمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ** "[2], فقد كان الفرد من عامة الأمة لا يرى في غير الإسلام سبباً للتجمع ، بل يرى أنه وحده أساس الانتماء ، وأنه وحده رابطة الولاء, ولذلك لم تكن له قابلية للشعور بالغضاضة في أن يعيش على أرضه ، بل ويحكمه مسلم من بلد آخر، فصفة الإسلام تجب ما عداها ، ورابطة الدين تغني عما سواها.

إنّ الانتماء للإسلام يضع الإنسان في حالة تساوٍ وتآلف مع السنن الكونية، ويجنبه الارتطام بها، فيمنحه قوة أكبر على التقدم والاندفاع من خلال توافق طاقاته مع طاقات الكون ونواميسه. كما أن الانتماء للدين الذي يدعوه للكشف عن السنن والطاقات المذخورة في الكون والعالم، والإفادة منها يمنحه قدرات مضافة على التحضر والإبداع والتقدم جنبًا إلى جنب مع دعوته للكشف عن قوانين الحركة التاريخية واعتمادها لتنفيذ مهمته العمرانية في العالم والتعجيل بها. إن الإسلام، في نهاية التحليل وبدايته كذلك، دعوة إلى التقدم والتحضّر بأي منظور ومن أية زاوية، وإن المنتمين إليهم يجدون فرصتهم الحقيقية لذلك، ليس من قبيل الادّعاء والغرور ولكن من خلال العقل والتحقق اللذين يحرسهما الإيمان والتقوى ويدفعهما الإحسان إلى المزيد [3].

فالإسلام قد غير الروح المعنوية للأمة في مواجهة الآخرين ببعث المشاعر النفسية الثلاثة الإيمان والعزة والأمل من خلال[4]:

---

[1] عمر بن سعيد المبطي ، **الأبطال بين حقيقة التاريخ وتزوير الإعلام** ، موسوعة خطب المنبر،ج١،ص: ٤٤٢٣ ، .

[2] ، أبو داود السجستاني:**سنن أبي داود**، كتاب البيوع، باب فِي وَضْعِ الرِّبَا حديث رقم: ٣٣٣٤ ،ج١،ص:٥٥٢, قال الألباني: حديث صحيح.

[3] عماد الدين خليل ، **قالوا عن الإسلام**، ص٤٧، .

[4] علي بن نايف الشحود: **قوانين النهضة، المفصل في الرد على الحضارة الغربية**، ، ج: ٤, ص: ٢٥٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإيمان برسالة الأمة, والاعتزاز باعتناقها والانتماء للأمة, ثم الأمل في تأييد الله لها

وقد قام الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعملية البعث النفسي في مكة، للأمة العربية من خلال إعادة عرض التاريخ: وقد تم ذلك على محورين: أولهما من خلال عرض مسار الأنبياء من لدن آدم وحتى مبعثه -صلى الله عليه وسلم- ، وعرض أمجادهم وانتصاراتهم، ثم الإشارة إلى الخط المتصل بين هذا المسار - مسار الأنبياء - وبين الذين اتبعوه، وأنهم لا شك منتصرون كما انتصر أسلافهم, فجعل خطاً رابطاً متصلاً من لدن آدم وحتى صحابته وأتباعه, وقد تم كل هذا العرض من خلال القرآن الكريم والأحاديث الشريفة, وثانيهما من خلال سحب الشرعية عن أهل الكتاب والمشركين وبيان الأسباب.

وعندما أدرك قادة الغرب أهمية البعث النفسي لمجتمعاتهم، ساروا بنفس المسار من خلال إعادة قراءة التاريخ وعرضه، حيث قاموا بتقزيم دور الحضارات المشرقية، والمرور عليها مروراً سريعاً ، رغم أن الحضارة الإسلامية وحدها امتدت عشرة قرون كان الغرب حينها في حالة تخلف شديدة بحيث يخيل للطالب الأوروبي أن الغرب هو منبع الحضارة طيلة العصور[1].

إن ساحة الفعل النهضوي مليئة بالصراعات والمتناقضات, ففيها الصديق والمتحالف والمحايد والخصم, وبنفس القدر الذي نحاول به بعث المكنة النفسية في مجتمعاتنا يستخدم الخصم الحرب النفسية لتحطيم هذه المشاعر الثلاث: (الإيمان والعزة والأمل)"[2], وعليه فإن المطلوب ثلاثة أنواع من التغيير[3]: تغير إيجابي في عالم الأفكار, وهو الجزء الذي يغذيه العلم والخبرة، بشتى أنواعها.

وتغيير إيجابي في عالم المشاعر من السلبية والإحساس باليأس إلى التفاؤل والإنجاز، والشعور المتجدد بالحياة. قال تعالى مبشراً عباده المؤمنين بالنصر:﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[4]، ودعانا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لحسن الظن بالله فقال ناقلاً عن رب العزة في الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي

---

[1] المرجع السابق.
[2] المرجع السابق ، ج: ١, ص: ١٩.
[3] المرجع السابق ، ، ج: ٤, ص: ٢٥٤.
[4] [الروم ٤٧].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ:" قَالَ اللَّهُ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي"[1].

وتغيير إيجابي في عالم السلوك والممارسة،

وهكذا فإن اختيار الفكرة المركزية، واستخدام الفكرة المحفزة، ثم اجتثاث الأفكار المعطلة والقاتلة التي تعيق حركة الإحياء الإسلامي، وتعيق تقدم المسلمين، كل ذلك من متطلبات العصر، ويجب أن تتحمله الأمة الإسلامية وهي تنطلق إلى مستقبلها الواعد. فإذا تمكنت الأمة بعد هذه المعالجات العقلية من أن تبعث عالم المشاعر والأحاسيس، وتزرع المكنة النفسية والقوة الدافعة في المجتمعات العربية والإسلامية، فستنطلق هذه المجتمعات نحو التغيير والنهوض عبر التغير الحادث في عالم السلوك والممارسة [2].

ثانياً:- استقامة السلوك في جميع مجالات الحياة .

والاستقامة هي: سلوك المسلم في حياته وجميع أحواله، وفق تعاليم القرآن الكريم, والسنة النبوية, وهي جزء التكليف أكدّ عليها القران الكريم في نصوص كثيرة منها.

قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

﴾[3], ذكر ابن جرير في تفسير هذه الآية:

"ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الدين الذي أمرتك يا محمد به بقولي – فأقم وجهك للدين حنيفا – هو الدين الحق دون سائر الأديان غيره"[4].

وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[5].

---

[1] البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد ، باب قول اللهِ تعالى (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللَّهِ) ،حديث رقم: ٧٥٠٥،ج١ ،ص:١٠٣١.

[2] سلطان :جاسم ، **قوانين النهضة، المفصل في الرد على الحضارة الغربية**، ٢٥٤/٤، .

[3] [الروم :٣٠].

[4] الطبري: محمد بن جرير ، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ،مؤسسة الرسالة،ط١٤٢٠،١هـ،ج٢٠،ص:٩٩.

[5] [هود : ١١٢].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"أي فاستقم أنت يا محمد ، على أمر ربك، والدين الذي ابتعثك به, والدعاء إليه كما أمرك ربك"[1].

وقد ورد الأمر بالاستقامة في الحديث النبوي بصيغ عديدة, فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث سُفْيَانَ بْن عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ: **"قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ, وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرَكَ, قَالَ: قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ"**[2].

وقد ورد في المنهاج بشرح صحيح مسلم لهذا الحديث:

"أن القاضي عياضاً رحمه الله قال : "هذا من جوامع كلمه –صلى الله عليه وسلم– ، وهو مطابق لقوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾[3] ,أي: وحدوا الله ، وآمنوا به ، ثم استقاموا فلم يحيدوا عن التوحيد ، والتزموا طاعته سبحانه وتعالى إلى أن توفوا على ذلك"[4].

وأخرج أحمد في المسند من حديث: ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– **"اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ الصَّلَاةُ وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ"**[5].

ثالثا. آثار الاستقامة[6]:

إنّ آثار الاستقامة لا تنحصر في الفرد المستقيم المسلم، بل تتعدى الأفراد إلى الأسرة، ويتجاوز الأسرة إلى المجتمع، بل يعم الأمة كلها, فالشاب المسلم المستقيم الذي يخاف الله عز وجل في السر والعلن، لديه رقابة ذاتية قوية هي بمثابة تحصين ذاتي, ولكن بشرط توافر الإيمان أولا، فإذا ضعف الإيمان ضعفت الاستقامة وبالتالي ضعف التحصين ، فالمطلوب هو الإيمان الصحيح الصادق الذي يظهر أثرا في الاستقامة علما وعملا.

وفيما يلي أهم آثار الاستقامة التي تزيد من التحصين الفردي والجماعي:

أ. الثبات على الإيمان.

الإيمان أساس الاستقامة، وله أركان ستة هي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، ولا يتم إيمان أحد إلا إذا آمن بها جميعا على ما دل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية[1].

---

[1] محمد بن جرير الطبري: **تفسير الطبري**، ٤ص: ٣١٦.

[2] مسلم بن الحجاج النيسابوري : **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان ،باب بَاب جَامِعِ أَوْصَافِ الْإِسْلَامِ،حديث رقم: (٣٨),ج١،ص:٢٤.

[3] [فصلت الآية ٣٠].

[4] النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم** ،ج١،ص: ٢٩ .

[5] أحمد بن حنبل الشيباني: **مسند أحمد بن حنبل** ،حديث رقم : ٢٢٤٣٢ ،ج٥،ص:٢٧٦،وقال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح.

[6] انظر: عيد بن حجيج الفايدي ، **الاستقامة في التربية الإسلامية وأثرها في تحصين الشباب** ،مجلة البحوث الإسلامية ، العدد ٧١/ ص: ٢٩٧،٣٠٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب. العمل الصالح.

فروض الإسلام ، وأركانه ، وواجباته ، وسننه ، ونوافله ، وأعمال الخير الأخرى ، كلها أعمال صالحة ، يقوم بها من اتبع طريق الاستقامة ، وكل عمل من هذه الأعمال له أثر على حياة المسلم .

فالاستقامة هي: "منتهى العمل"[٢]، والعمل الصالح هو أثر عمل الاستقامة ، ويأتي بعد الإيمان ،قال الله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٨ ﴾[٣]، وقال الله تعالى :﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩٧ ﴾[٤]،

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: "من عمل بطاعة الله، وأوفى بعهود الله إذا عاهد من ذكر أو أنثى من بني آدم وهو مصدق بثواب الله الذي وعد أهل طاعته على الطاعة، وبوعيد أهل معصيته على المعصية (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)"[٥].

ج. التوسعة في الرزق.

قال الله تعالى:﴿ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ۝١٦ ﴾[٦].

ذكر ابن جرير في تفسيره: أي " لوسعنا عليهم في الرزق ، وبسطناهم في الدنيا"[٧].

٤. جزاء الاستقامة.

لقد رتب الله عزّ وجلّ على استقامة المسلم في هذه الحياة خير الجزاء, وهذا الجزاء أثر ناتج عن الاستقامة، وإتباع المنهج القويم.

---

[١] :هراس محمد خليل: **شرح العقيدة الواسطية** ص :١٧ ، .
[٢] البيضاوي ج٢ ،ص: ٣٩٤ .
[٣] [فصلت : ٨].
[٤] [النحل : ٩٧] .
[٥] الطبري :محمد بن جرير: تفسير الطبري،ج ٤،ص: ٥٥٥ .
[٦] [الجن : ١٦].
[٧] الطبري :محمد بن جرير: ، تفسير الطبري،ج ٧ ،ص: ٣٨٨ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قـــال الله تعـــالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

ذكر ابن جرير في تفسيره: "إنّ الذين قالوا ربنا الله، وحده لا شريك له، وبرئـــوا مـــن الآلهة والأنداد – ثم استقاموا – على توحيد الله ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به, وانتهوا إلى طاعته فيما أمر به ونهى، تهبط عليهم الملائكة عند نزول الموت بهم "[2].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

[1] [فصلت : ٣٠].
[2] الطبري :محمد بن جرير: تفسير الطبري ج٦ ،ص: ٤٦٥ .

المبحث السادس

مظـــــــاهر الاستقـــلالية

المطلب الأول

الاستقلالية في العبادات والتشريع

قال تعالى: "ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَـا تَتَّبِـعْ أَهْـوَاءَ الَّـذِينَ لَـا يَعْلَمُونَ"[1].

أخرج ابن ماجه في سننه من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ يَقُولُ: "وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَـتْ مِنْهَـا الْعُيُـونُ, وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ, فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ, فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ, لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ, مَنْ يَعِشْ مِـنْكُمْ فَـسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ, عَضُّوا عَلَيْهَـا بِالنَّوَاجِذِ, وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا, فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ"[2].

لقد جاءت الشريعة الإسلامية السمحة لإخراج الناس من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان، ومن زيف الخرافات والباطل إلى وضوح المحجة والبرهان، قوامها كتاب الله عزّ وجلّ, وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم, اللذان ما إن تمسكت بهما الأمة فلن تـضلّ أبداً, وقبل الخوض في بيان خصائص الشريعة الإسلامية, وعلاقتها بالشرائع الأخرى, فإنه لا بدّ من بيان مفهوم الشريعة لغة واصطلاحاً, ليتسنى الوقوف على مدلولات هذا المصطلح.

مفهوم الشريعة لغة واصطلاحاً

ومما لا شكّ فيه أنّ مصطلح الشريعة لا يبعد كثيراً في معناه عن الأصل اللغوي لهـذه الكلمة, فقد وردت تعريفات كثيرة تقف على حقيقة المعنيين, ولعلّ من أبررها:

إنّ الشريعة في الأصل الوضع اللغوي تعني: مورد الماء العذب الظاهر المبين، وتطلق على الطريقة الواضحة المستقيمة والمنهاج البين، وفي الاصطلاح: فقد غلب اسـم الـشريعة على ما أنزله الله على لسان أنبيائه عن طريق الوحي وذلك بالأمر والنهي بـاللفظ والمعنـى

---

[1] الجاثية, الآية: ١٨.

[2] القزويني: ابن ماجه : سنن ابن ماجة, مرجع سابق, كتاب المقدمة, باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين, ج: ١, ص: ١٦, رقم الحديث: ٤٣, قال الألباني: حديث صحيح.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

معا, أو باللفظ فقط من الأحكام, وسميت هذه الأحكام شريعة لاستقامتها, وتشبهها بمورد الماء العذب, لأنّها بهذه النصوص والأحكام المأخوذة منها حياة النفوس, وغذاء العقول[1].

خصائص الشريعة الإسلامية[2].

إنّ الشريعة الإسلامية السمحة المعطاء امتازت بالعديد من الخصائص, والتي لا توجد في غيرها من الشرائع والنظم الأخرى والتي هي من وضع البشر, فهذه النظم تمّ وضعها في ظل فترات الرسل, وشرود الناس عن المنهج الحق المبين, أما الشريعة الإسلامية فهي ربانية المصدر ومحكمة, وبهذا اتصفت بالكمال فلا تعارض بين أحكامها, وهي مرنة ومتوازنة, وتُحقق العدالة والمساواة والحرية للناس, و ولعلّ من أهم هذه الخصائص ما يلي:

١. ربانية المصدر.

إنّ الأنظمة والقوانين التي عرفها البشر وصاغوها لتكون شريعة تحكمهم في صورة عادات وتقاليد وأعراف قد جاءت قاصرة عاكسة لقصور واضعيها, وهذا النقص هو سجية الإنسان وطبعه, أما شريعة الله فإنّ منزلها هو خالق البشر ومالك أمرهم، وهو المتصف بصفات الجلال والكمال المبرئ من كل عيب أو نقص أو جهل أو هوى، وهو العالم بما يصلح أمر هذا البشر ويحقق لهم الأمن والطمأنينة والسعادة, ولهذا فإن شريعة الله توصف بالكمال والشمول والرحمة والعدل على أتم صورة, والخلق مطالبون بالأخذ بهذه الشريعة كجزء من العقيدة وشرط للإيمان، وبها يتحقق لهم الخير في الدنيا, والسعادة في الآخرة, والأمن يوم الفزع الأكبر، وهي في ذات الوقت ذات سلطان على النفوس وهيبة في القلوب واحترام في الحياة، لا يماثلها قانون أو نظام ولا يشابهها في ذلك شيء من جهود البشر ,ثم إنّ الإيمان بهذه الشريعة, وتحكيمها في أمور الحياة, وما يحصل من شجار في المجتمع, والرضاء والتسليم بحكم هذه الشريعة شرط من شروط الإيمان, ومقتضيات الطاعة.

قال تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[3]، وليس هذا لأيّ نظام وضعي في الوجود.

---

[1] انظر: العجلان : عبد الله بن محمد ، صلاحية التشريع الإسلامي للبشر كافة، مجلة البحوث الإسلامية - (٩ / ٢٦٨.

[2] - المرجع السابق – ج: ٩, ص: ٢٦٩.

[3] [سورة النساء الآية ٦٥]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢. العمومية.

لقد كانت الرسالات السابقة لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم رسالات خاصة لأقوام بعينهم فكانت رسالاتهم محدودة الزمان والمكان, ولهذا فإنّ القرآن حين يتحدث عن قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام يقول﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾[١]،﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ ﴾[٢]، ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ ﴾[٣]،﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ ﴾[٤]،وهكذا فكل نبي يبعث إلى قومه وطائفة من الناس وتكون مهمته محصورة في هداية هؤلاء القوم وردهم إلى جادة الحق, أمّا الشريعة الإسلامية الممثلة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم, فإنها جاءت من عند الله عامة لكل أجناس البشر, بل للجن والإنس، لا يختص بها قوم, ولا جماعة, ولا هي محدودة بظروف المكان, أو الزمان, أو البشر، بل هي دين الله الباقي الخالد حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

قال تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[٥]،وقوله تعالى :﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[٦]

٣. شمولية الشريعة الإسلامية في الجوهر والمضمون.

إنّ الشريعة الإسلامية جاءت خاتمة لكلّ الشرائع الغابرة, تشمل الزمان والمكان, فلا يحدّها حد, بل إنّ الجنّ والإنس كلهم مقصدها وغايتها, فلذلك جاءت الشريعة الإسلامية وافية بمتطلبات الحياة كلها, وشاملة لكل جوانبها, فقد تناولت تحديد الغاية من خلق الإنسان, ووظيفته في الحياة, ومركزه في هذا الكون، ونظمت علاقته بربه وصلته بإخوانه والمجتمع الذي يعيش فيه، وحددت الحقوق والواجبات، فضمن بذلك للإنسان خيري الدنيا والآخرة.

---

[١] [الأعراف الآية ٥٩]
[٢] [الأعراف الآية ٦٥]
[٣] [الأعراف الآية ٧٣]
[٤] [الأعراف الآية ٨٥]
[٥] [الأعراف الآية ١٥٨]
[٦] [سبا:٢٨]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن لم يؤمن بهذه الحقيقة فإنه يلزم من كلامه أنّ هذا الدين جاء بالضيق والحرج والجور وهو ما لا يقول به مسلم، ومضاد لقول الله تعالى :﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾[1].

٤. صلاحية الشريعة للناس في كل زمان ومكان.

إنّ صلاحية الشريعة الإسلامية قد جاء تبعاً لصلاحية مصادرها, فالمصدران النيّران هما القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة, وما يتفرع عنهما من مصادر وأصول مرتبطة بهما، وهي محددة في كتب الأصول والكتاب والسنة بما تضمناه من نصوص وأحكام، فهذان المصدران قد جاءا على قد كبير من الدقة والإتقان، مما يجعل هذه الشريعة صالحة لكل زمان ومكان، تتسع لكل تطور وتتطور الحياة في ظلها بلا أي توقف أو وقوع حرج أو ضيق، بل إنّها تحفظ للإنسان توازنه في بنائه وتكوينه وتلبية مطالب حياته في شكل متكامل واضح ومرن.

إذاً فقد جاءت نصوص الشريعة الإسلامية بهدف جلب المصالح للعباد, ودفع الضرر عنهم في كل زمان ومكان, وبعض أحكامها جاءت نصية لا مجال للاجتهاد فيها، فهذه الأحكام لا تتغير ولا تتبدل مع اختلاف الزمان أو المكان، وهذا واضح في بعض أحكامها كمجال كالعقيدة مثلاً,

وبعض الأحكام الشرعية فقد جاءت على شكل قواعد وأصول ومبادئ عامة فيها مجال للاجتهاد

ولكي يكون الاجتهاد أصيلا، لا تعبث به الأهواء والغايات، فإنّه لا بدّ من مبادئ عامة تحكم هذا الاجتهاد ليكون سليماً سويّاً, ولعلّ من أهمّ هذه المبادئ:

أ. الشورى في الحكم.

فقد قال تعالى :﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[2]، وقد استجاب النبي صلى الله عليه وسلم لمشورة أصحابه في غزوة بدر في تحديد مكان الجيش ومركز القيادة, فقد أخرج الحاكم قصة الحباب بن المنذر **"لما نزل الرسول صلى الله عليه وسلم ببدر: أهذا منزل أنزلك الله, أم هو**

[1] [الحج الآية ٧٨]
[2] [الشورى الآية ٣٨]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل هي المشورة والحرب والمكيدة، فأشار الحباب بن المنذر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنزل، فُرحل ونزل على رأي أصحابه في بدر"[1]. وكذا الحال في أسرى بدر, فإنّه صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه فيهم, كما استشار أصحابه في كثير من أمور الحرب والسلم كغزوة الأحزاب وغيرها, فكان مبدأ الشورى إسلامياً يلزم الأخذ به لورود الدليل فيه في نصوص الكتاب والسنّة.

ب . العدالة.

فقد قررها الإسلام في غير موضع من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّوا الامَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[2], وقال تعال:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾[3], ومبدأ العدل في الإسلام من الرحابة بحيث يشمل الصديق والعدو, وبهذا يتميز مبدأ العدل في الإسلام عن جميع الشرائع والنظم, وبالعدل تتحقق مصالح الخلق وتنتظم الحياة، وتستقر النفوس والأبدان, وهذا يستلزم بذل الجهود في سبيل تحقيق العدل بين الناس وفق شريعة الله وعلى هدي نبيه صلى الله عليه وسلم.

---

[1] المستدرك على الصحيين، كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ذكر مناقب الحباب بن المنذر بن الجموح رضي الله عنه،حديث رقم: ٥٨٠١،ج٥،ص:١٣١، وقال الذهبي، حديث منكر وسنده،وقال محمد بن محمد العواجي وقد تتقوى إلى درجة الحسن لغيره كما قال باوزير في: مرويات غزوة بدر ص ١٦٤،(محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، موقع مكتبة المدينة الرقمية،ط١٤٢٥،١ هـ،ج١،ص:٢١٧).

[2] [النساء:٥٨].

[3] [النساء الآية ١٣٥]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جـ. المساواة.

وهي مبدأ من المبادئ الإسلامية التي قررها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وكانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصدق تطبيق لهذا المبدأ العظيم، فالحاكمية لله وحده في كل شؤون الحياة، والخلق سواسية أمام حكم الله لا فرق بينهم, وقد قرّر الإسلام هذه الحقيقة, وجعل المساواة هدفاً من أهداف الشريعة, قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾[1].

و قد برزت الدعوة إلى المساواة جلية في السنة النبوية فقد أخرج أحمد في (مسنده) من حديث أبي نَضْرَةَ قال: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ :"**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى**"[2].

د. منع الضرر.

إنّ منع الضرر في الإسلام بجميع صوره وأشكاله من أهم القواعد والأصول, فإلحاق الضرر بالنفس أو بالغير مما يقع في دائرة النهي والوعيد، وقد جاء منع الضرر في أبواب متعددة من الدين, فمنه مثلاً في باب الرضاعة قوله تعالى :﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ﴾[3], وقد جاءت السنة النبوية زاخرة بهذا الأصل في النهي عن الضرر والضرار, فقد أخرج أحمد في المسند من حديث أبن عباس رضي الله عنه قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ"**[4], وقد رتب الفقهاء على هذه القاعدة مسائل متعددة وأحكاما كثيرة.

---

[1] [سورة الحجرات الآية ١٣]

[2] - الشيباني: مسند أحمد، حديث رقم: ٢٣٤٨٩،ج: ٣٩،ص:٤٧٤، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح .

[3] [البقرة الآية ٢٣٣]

[4] - الشيباني: مسند أحمد، حديث رقم: ٢٢٨٣٠،ج٥،ص:٣٢٦، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٥. وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار[١].

إنّ شعائر الإسلام وعباداته سهلةٌ ميسورة على المكلفين بها, فهي تتّوسط التكليف بمعناه العام فلا مشقة فيه, ولا هوان في أمره، فالعبادات في الإسلام عظيمة الشأن والمثوبة لكنها قليلة المشقة والكلفة على النفس والجسد, وقد كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته مثالاً في التطبيق القرآني الكامل، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عن الغلو في العبادة وان تصل بأصحابها إلى الحرج والمشقة، فقد أخرج البخاري في صحيحه: من حديث أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: " **جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا, فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا: أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ, وَأَتْقَاكُمْ لَهُ, لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ, وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ, وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ, فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**"[٢].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

[١] انظر: الصالح: محمد بن أحمد، وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار، ص١١-١٣.
[٢] البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري ،كتاب النكاح ، باب التَّرْغِيبُ فِى النِّكَاحِ رقم: ٥٠٦٣،ج١،ص:٧٢٥.

المطلب الثاني

علاقة الشرائع السابقة بشريعة الإسلام

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينا﴾[1]

إنّ الشريعة الإسلامية هي الشريعة الخاتمة للبشرية جمعاء, وجاءت ناسخة لكل ما سبقها من الشرائع, فقد جمعت فضائل الشرائع السابقة, وبها أكمل الله دينه, وأتم نعمته على الناس، وقد حفظ الله الشريعة الإسلامية مما تعرضت له الشرائع السابقة من التحريف أو التبديل أو العبث، ويمكن بيان طبيعة علاقة الشرائع السابقة بشريعة الإسلام, وتميزها على الشرائع الغابرة من خلال العديد من الجوانب وعلى النحو الآتي[2]:

١. شريعته الإسلام عالمية بلغت ذروة الكمال.

لقد شاء الله عز وجل أن تكون رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة الرسالات السماوية، والتي اختصت عرفا بمدلول كلمة الإسلام, كما أن كلمة اليهودية تخص شريعة موسى عليه السلام وما اشتق منها، وكلمة النصرانية أو المسيحية تخص شريعة عيسى عليه السلام وما تفرع عنها, وهذه الرسالة التي أنزلها الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بلغت ذروة الكمال، وجاءت دعوة إنسانية عالمية، لا تخاطب قوما بأعيانهم، ولا جنسا بذاته، رضيها الله تعالى للناس دينا، فكانت هي الدين الكامل الذي أتم الله تعالى به علينا نعمته قال تعالى:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[3]،

وقد فصل الله تعالى في القرآن الكريم سمات هذه الدعوة العالمية العامة، وعرضها على أعين الناس في كثير من آياته، فقال تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ

---

[1] [المائدة: من الآية ٣].

[2] انظر: ضميرية: عثمان بن جمعة ،الإسلام وعلاقته بالديانات الأخرى ص٢١/ ٣١١-٣٥٠ ، بإختصار وتصرف.

[3] [المائدة : ٣]

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ

وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[1]، وقال تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً

لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾[2]

وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عموم بعثته وعالمية دعوته، فقد أخرج البخاري في (صحيحه): من حديث جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي, نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ, وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا, وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ, وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ, وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً, وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ"**[3].

٢. شريعة الإسلام خاتمة الشرائع.

إنّ شريعة الإسلام هي خاتمة الشرائع, ومن ثمّ كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، وكانت رسالته خاتمة الرسالات جميعا قال تعالى:﴿ مَّا كَانَ

مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ﴾[4].

ويصور الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ختم رسالته للرسالات السابقة، وكيف أتمّ البناء الذي تعاقبت عليه رسل الله الكرام، فقد أخرج مسلم في (صحيحه): من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: **"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ"**[5].

٣. شريعته الإسلام ناسخة لكلّ الشرائع السابقة.

---

[1] [الأعراف:١٥٨]

[2] [سبا:٢٨] .

[3] صحيح البخاري،كتاب الصلاة، باب قول النبيّ صلى الله عليه وسلم جُعِلت لِيَ الأرْضُ مَسجِدًا وَطَهُورًا،حديث رقم :٤٣٨،ج١،ص:٦٧.

[4] [الأحزاب الآية ٤٠]

[5] النيسابوري : صحيح مسلم والل،كتاب الفضائل ، باب ذكر كونه صلى الله عليه و سلم خاتم النبيين ، حديث رقم :٢٢٨٦ ج١،ص:٥٩٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إنّ تمام الكمال وتمام نعمة هذه الشريعة أنّها جاءت ناسخة لكلّ الشرائع السابقة, فدين الإسلام بلغ ذروة الكمال الذي لا كمال بعده، وتوجه الخطاب فيه للعالمين كافة, ونبي الرحمة صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الناس كافة ، وختم الله برسالته كلّ الرسالات، وهذا يستلزم أن تنقطع صلة الإنسانية عن سائر الرسالات والنبوات السابقة في مع الإيمان بأصولها المنزلة لا بما آلت إليه بعد التحريف على يد الأتباع, فكل ما جاء به الأنبياء السابقون وعرضوه على الإنسانية ودعوها إلى إتباعه ، قد نسخ برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وما من شك أن الإيمان بنبوتهم وصدق دعوتهم على وجه الإجمال لازم لا بد منه، إذ ما كانوا إلا دعاة إلى الإسلام ، وما التصديق بدعوتهم إلا تصديق بالإسلام.

٤. القرآن الكريم وشرع الإسلام يهيمنان على الكتب والشرائع السابقة.

إنّ القرآن الكريم قد جعله الله تعالى مهيمنا على ما سبقه من الكتب السماوية، والذي يجب أن يفيء إليه الناس ويحتكموا، ومن ثمّ فكلّ اختلاف يجب أن يردّ إلى هذا الكتاب ليفصل فيه، سواء كان هذا الاختلاف في التصور الاعتقادي بين أصحاب الديانات السماوية، أو في الشريعة التي جاء هذا الكتاب بصورتها الأخيرة، أو كان هذا الاختلاف بين المسلمين أنفسهم ، قال الله تعالى :﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[1], وقد تنوعت عبارات المفسرين من السلف ومن بعدهم في التعبير عن معنى هذه الهيمنة، فقالوا: مهيمنا: أي مؤتمناً وشاهداً ورقيباً، وحاكماً وقاضياً، ودالاً ومصدقاً ، فالقرآن الكريم أمين على كل كتاب قبله، في أصله المنزل وهو بهذا حافظ لهذا الأصل لأنّه يبيّن ما طرأ عليه من انحراف, وما وافقه من الكتب المتداولة فهو حق، ويجوز أن تكون نسبته إلى الله تعالى صحيحة، وما خالفه وناقضه فهو باطل، ولا تكون نسبته إلى الله تعالى صحيحة، والقرآن الكريم شاهد على ما في تلك الكتب يشهد لأصولها المنزلة بالصدق, يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[2]: فالسلف كلهم متفقون على أن القرآن هو المهيمن، المؤتمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب، ومعلوم أنّ المهيمن على الشيء أعلى منه مرتبة, ومن أسماء الله تعالى المهيمن، ويسمى الحاكم على الناس، القائم بأمورهم المهيمن, وقال بعض أهل اللغة: الهيمنة، القيام على الشيء والرعاية له, وهكذا القرآن، فإنه:

---

[1] [المائدة : ٤٨]

[2] أنظر: الحراني:ابن تيمية: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٧ \ ٤٣ – ٤٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أ. قرّر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر, وزاد ذلك بياناً وتفصيلاً.

ب. بيّن الأدلة والبراهين على ذلك .

ج. وقرّر نبوة الأنبياء كلهم ورسالة المرسلين.

د. قرّر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل.

هـ. وجادل المكذبين بالكتب والرسل، جادلهم بأنواع الحجج والبراهين .

و. وبيّن عقوبات الله لهم، ونصره لأهل الكتب المتبعين لها.

ز . وبيّن ما حرف منه وبدل، وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبين أيضا ما كتموه مما أمر الله ببيانه، وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن.

فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة, فهو شاهد بصدقها، وشاهد بكذب ما حرف منها، وهو حاكم بإقراره ما أقره الله، ونسخ ما نسخه، فهو شاهد في الخبريات، حاكم في الأمريات.

٥. ظهور دين الإسلام على الدين كله.

لقد أخبر الله سبحانه ووعد بإظهار هذا الدين على سائر الأديان، فقال :﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[1]،

فالله تعالى يعلي هذا الدين ويرفع شأنه على جميع الأديان بالحجة والبرهان والهداية والعرفان ، والعلم والعمران، وكذا السيادة والسلطان، ولم يكن لدين من الأديان مثل هذا التأثير الروحي والعقلي والمادي والاجتماعي والسياسي إلا للإسلام[2].

٦. وجوب إيمان أهل الكتاب بشريعته.

---

[1] [التوبة : ٣٣]

[2] انظر :رضا :رشيد: تفسير المنار ،ج ١٠ ،ص: ١٧٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لقد أمر الله تعالى أهل الكتاب بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، وطاعته وإتباع شريعته، حتى الأمم المؤمنة برسالة نبي من الأنبياء السابقين, فإن القرآن يوجه إليها هذا الخطاب أيضا،

يقول الله تعالى:﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ ﴾[1]، ويقول سبحانه :﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨ ﴾[2].

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ دائرة التهديد والوعيد الشديد قد شملت من اعرض من أهل عن الإيمان بما نزّل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ٤٧ ﴾[3] .

---

[1] [المائدة : ١٥]
[2] [آل عمران: ١٥٧-١٥٨]
[3] [النساء: ٤٧]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وجاءت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تبين هذا المعنى، وتوجب على كل من يسمع به أن يؤمن به ويتبعه ويترك ما كان من شريعة سابقة انتهى العمل بها بعد مجيء محمد خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام، فقد أخرج مسلم في صحيحه: من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: **"وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ, ثُمَّ يَمُوتُ, وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ"**[1].

و أخرج أحمد في (مسنده) من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ **:"جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي مَرَرْتُ بِأَخٍ لِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ فَكَتَبَ لِي جَوَامِعَ مِنْ التَّوْرَاةِ أَلَا أَعْرِضُهَا عَلَيْكَ قَالَ فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَقُلْتُ لَهُ أَلَا تَرَى مَا بِوَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عُمَرُ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا قَالَ فَسُرِّيَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ إِنَّكُمْ حَظِّي مِنْ الْأُمَمِ وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنْ النَّبِيِّينَ"**[2].

وممّا ينبغي الإشارة إليه أنّ من يؤمن من أهل الكتاب ويتبع محمدا صلى الله عليه وسلم له أجره مرتين، فقد أخرج مسلم في (صحيحه): من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ, رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ, فَلَهُ أَجْرَانِ, وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى وَحَقَّ سَيِّدِهِ, فَلَهُ أَجْرَانِ, وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ, فَغَذَّاهَا فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا, ثُمَّ أَدَّبَهَا, فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا, ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا, فَلَهُ أَجْرَانِ"**[3].

وعندما ينزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان بين يدي الساعة، ينزل حاكماً بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، فما عذر أهل الكتاب في عدم إيمانهم به وإتباعهم له صلى الله عليه وسلم ؟ أخرج البخاري في (صحيحه): من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ**

---

[1] النيسابوري : صحيح مسلم والل،كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملة، حديث رقم :٢٤٠ ج١،ص:٤٧ .

[2] الشيباني: مسند أحمد ، حديث رقم: ١٥٩٠٣، ج ٣، ص: ٤٧٠، واستقصى الشيخ ناصر الدين الألباني طرق الحديث، وقال: هو على أقل تقدير حديث حسن. والله أعلم ، انظر إرواء الغليل ،ج٦ ،ص: ٣٤- ٣٧ .

[3] النيسابوري : صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملة، حديث رقم:٢٤١ ج١، ص:٤٧.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ[1]، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ"[2].

ولا يتحقق أصلاً إيمان اليهود والنصارى إلا بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباعه في دينه الذي أنزله الله، وإلا فما هم بمؤمنين ولا مسلمين، فالإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم شرط للإيمان بنبوة الأنبياء جميعا عليهم السلام، إذ لا يمكن الإيمان بنبي من الأنبياء أصلاً مع جحود نبوة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن جحد نبوته فهو لنبوة غيره من الأنبياء أشد جحودا, وهذا يتبين بوجوه:

الوجه الأول : أنّ الأنبياء المتقدمين بشروا بنبوته، وأمروا أممهم بالإيمان به، فمن جحد نبوته فقد كذب الأنبياء قبله فيما أخبروا به، وخالفهم فيما أمروا وأوصوا به من الإيمان به, والتصديق به لازم من لوازم التصديق بهم، وإذا انتفى اللازم انتفى ملزومه قطعا، وبيان الملازمة هي الوجوه الكثيرة التي تلي هذا مباشرة، وهي تفيد بمجموعها القطع على أنه صلى الله عليه وسلم قد ذكر في الكتب الإلهية على ألسن الأنبياء .

الوجه الثاني : أن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم هي دعوة جميع المرسلين قبله، من أولهم إلى آخرهم، فالمكذب بدعوته مكذب بدعوة إخوانه كلهم، وهذا التكذيب كفر، فوجب الإيمان بدعوته عليه السلام وإتباعه .

الوجه الثالث: أن الآيات والبراهين التي دلت على صحة نبوته وصدقه صلى الله عليه وسلم أضعاف أضعاف آيات من قبله من الرسل[3].

٧. بشارات الكتب السابقة بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام.

ليس لأهل الكتاب أي عذر في عدم إيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقد بشرت كتبهم بنبوته وأشارت إلى ذلك[4]، فقد ذكر الله ذلك عنهم في القرآن الكريم، ويتفق هذا كله مع النصوص في كتبهم التي يعتمدون هم عليها ، سواء في العهد القديم أو الجديد, فقد ذكر الله تعالى أنّ التوراة والإنجيل قد احتوى كل منهما على إشارات إلى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وصفته وصفة أصحابه, فقال الله تعالى:

---

[1] أي لا يقبلها، ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ومن بذل الجزية منهم لم يكف عنه، بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل.

[2] البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري: محمد بن إسماعيل صحيح البخاري ،كتاب البيوع ، باب قتل الخنزير، حديث رقم :٢٢٢٢ ج١،ص:٢٩٢ .

[3] اقرأ في دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام : الجزء الرابع من الجواب الصحيح لابن تيمية ، تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار بن أحمد ، دلائل النبوة للبيهقي ، وأعلام النبوة للماوردي ، إظهار الحق للشيخ رحمة الله، ..

[4] - ساق الإمام ابن القيم اثني عشر وجها تدل على أنه صلى الله عليه وسلم مذكور في الكتب المتقدمة ، ومنها البشارات بنبوته في كتبهم . انظر هداية الحيارى، ص : ٥٢٢- ٥٢٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[1] ،وقال تعالى: ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[2]، وقال تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾[3].

وهذه صفته عليه الصلاة والسلام وصفة أصحابه عندهم في كتبهم، كما حكاها الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[4].

وذكر الله تعالى بشارة عيسى عليه السلام بمحمد –صلى الله عليه وسلم– فقال تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾[5].

---

[1] [الأعراف الآية ١٥٧]
[2] [البقرة:٨٩]
[3] [الشعراء الآية ١٩٧]
[4] [الفتح الآية ٢٩]
[5] [الصف الآية ٦]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتُجمعتْ هذه الشواهد كلها لتُعطي أهل الكتاب علما يقينيا بمعرفة نبوته صلى الله عليه وسلم:﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[1]، ولكن فريقا منهم يكتمون هذا الحق والعلم اليقيني مع علمهم بأنه حق، وفي هذا ما فيه من البشاعة والجحود، فقال الله تعالى عنهم:﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[2]. ولهذه البشارات شواهد عديدة سجلها التاريخ, وقد بشرت به كتبهم ، فقد سبقت آنفا الإشارة إلى عدد من رؤساء النصارى الذين أسلموا في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام لما بلغتهم دعوته، لأنهم عرفوها أولا وعرفوا نبيها من كتبهم التي بشرت به، فما كانوا يرجمون الغيب، بل يعترفون بحق وجدوه مجسدا في كتبهم, فهذا إمبراطور الروم يكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم في جوابه لكتاب النبي الذي يدعوه فيه إلى الإسلام : "وإني أشهد أنك رسول الله، نجدك عندنا في الإنجيل، بشرنا بك عيسى ابن مريم", وهذه الحجة يقيمها المسلمون على النجاشي من الإنجيل، فلا يعترض على ذلك ولا يرده، فقد قال له عمرو: "وقد أخذنا الحجة عليك من فيك، الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور، وفي ذلك موقع الحز وإصابة المفصل، وإلا فأنت في هذا النبي كاليهود في عيسى ابن مريم " . فقال النجاشي : أشهد بالله إنّه للنبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وإن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل، وإن العيان ليس بأشفى من الخبر"[3] .

وهذا المقوقس عظيم القبط في مصر يقول في كتابه للرسول صلى الله عليه وسلم : وقد علمت أن نبيا قد بقي وكنت أظن أنه يخرج بالشام[4] .

---

[1] [الأنعام الآية ٢٠]
[2] [البقرة الآية ١٤٦]
[3] انظر فيما سيأتي البشارة الثالثة في كتاب أشعياء من العهد القديم.
[4] حميد الله : محمد: الوثائق السياسية ، ١٣٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبعد هذه التقدمة نعرض بعضا من تلك الإشارات لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب السابقة، مجتزئين بما هو واضح الدلالة منها على مطلوبنا ونختارها من كتب متعددة بما فيها الأناجيل الحالية .

البشارة الأولى.

جاء في التوراة:

" أقبل الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير [ساعير] وتجلى من جبل فاران ، وأتى من ربى القدس ، وعن يمينه قبس شريعة لهم"[1] .

وهذه البشارة واضحة الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوة عيسى وموسى عليهما السلام, فمجيء الرب أو تجليه من طور سيناء، هو إنزاله التوراة على موسى عليه السلام من طور سينا ، وإشراقه من ساعير ، وهي جبال بفلسطين، هو إنزاله الإنجيل على عيسى عليه السلام وتجليه أو استعلانه من جبال فاران، إنزاله القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم, وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة، وقد جاء في التوراة أيضا أن إبراهيم عليه السلام أسكن هاجر وإسماعيل " فاران " ، فأي نبي بعد عيسى عليه السلام نزل عليه كتاب واستعلن له الله من فاران غير محمد صلى الله عليه وسلم؟ فالمراد باستعلان الرب من "فاران"هو إرسال محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر سبحانه إنزال الكتب الثلاثة بهذا الترتيب: التوراة ثم الإنجيل ثم القرآن ، وكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر أو ما هو أظهر من ذلك، ونزول الإنجيل مثل إشراقة الشمس، ازداد به النور والهدى, وأما نزول القرآن، فهو بمنزلة ظهور الشمس في السماء، ولهذا قال: واستعلن من جبال فاران – في إحدى التراجم – فإن النبي صلى الله عليه وسلم ظهر به نور الله وهداه في مشرق الأرض ومغربها، أعظم مما ظهر .

البشارة الثانية.

في إنجيل يوحنا:

" إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي، وأنا أسأل الأب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع أن يقبله العالم, لأنه لم يره ولم يعرفه، أما أنتم فتعرفونه, وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم كل ما قلته لكم ، قد سمعتم أني قلت لكم: إني ذاهب ثم آتي إليكم ، فلو كنتم تحبوني

---

[1] العهد العتيق ، سفر تثنية الاشتراع الفصل ٣٣ فقرة (٢) ص٣٥٥ ، طبع الكاثوليكية . وفي الترجمة التي نقلها شيخ الإسلام . تجلى الرب من سيناء ، وأشرق لنا من ساعير ، واستعلن من جبال فاران ومعه ألوف الأطهار وفي يمينه سنة من نار.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لكنتم تفرحون بأني ماض إلى الآب, لأن الآب هو أعظم مني, والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون"[1] .

وليس معنى الفارقليط هنا: الروح، ولا الروح القدس أو المعزي، وإنما تعني الحمد أو أفعل التفضيل من الحمد، وهو (أحمد) ويكون ذلك مطابقا مطابقة حرفية لبشارة عيسى عليه السلام التي حكاها الله تعالى في سورة الصف, يقول الدكتور محمد توفيق صدقي في كتابه دين الله في كتب أنبيائه:

هذا اللفظ (الفارقليط) يوناني ، ويكتب بالإنكليزية هكذا (Paraclete) أي (المعزي) ويتضمن أيضا معنى المحاج، كما قال بوست في قاموس, وهناك لفظ آخر يكتب هكذا (Pericltee) ومعناه: رفيع المقام ، سام, جليل، مجيد، شهير, وهي كلها معان تقرب من معنى محمد وأحمد ومحمود .

البشارة الثالثة.

بشارات إنجيل برنابا:

وهذا الإنجيل الذي لا يعترف به النصارى، مع أنه يفوق الأناجيل الأخرى ثبوتا وقانونية – كما يقولون – يحتوي على بشارات كثيرة فيها التصريح باسم محمد صلى الله عليه وسلم وباسمه الشريف أحمد، وقد يستنكر الباحثون لذلك لكون البشارات عادة تكون بالكنايات والإشارات, ولكن لا داعي لهذا الاستغراب، فإنّ البشارات قد تكون إشارات وقد تكون صريحة بالاسم، والعريقون في الدين لا يرون مثل ذلك مستنكرا في خبر الوحي، وقد نقل الشيخ محمد بيرم عن رحالة إنجليزي أنه رأى في دار الكتب البابوية في الفاتيكان نسخة من الإنجيل مكتوبة بالقلم الحميري قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيها يقول المسيح :(ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) وذلك موافق لنص القرآن بالحرف, ولكن لم ينقل عن أحد من المسلمين أنه رأى شيئا من هذه الأناجيل التي فيها هذه البشارات الصريحة ، فيظهر أن في مكتبة الفاتيكان من بقايا تلك الأناجيل والكتب التي كانت ممنوعة في القرون الأولى ، ما لو ظهر لأزال كل شبهة عن إنجيل برنابا وغيره[2] .

---

[1] إنجيل يوحنا ، الفصل ١٤ \ ١٦-٢٩ طبع الكاثوليكية وفيه : فيعطيكم معزيا بدل فارقليط ..

[2] رضا :محمد رشيد ،تفسير المنار للسيد ج ٩ ،ص:٢٨١ ، وانظر تقديمه للطبعة العربية من إنجيل برنابا ، ترجمة خليل سعادة . وقد أشار الأستاذ محمد قطب - حفظه الله - إلى خبر نشر في جريدة الأهرام المصرية عام ١٣٦٥ هـ\ ١٩٤٥م يقول الخبر : ((عثر في دير سانت كاترين بسيناء على نسخة قديمة من التوراة جاء فيها ذكر محمد عليه الصلاة والسلام)) . ثم اختفت هذه النسخة ولم تعد مرة أخرى إلى الظهور ، ..

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إذاً فما كان جحود اليهود والنصارى لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلا بغيا وحسدا ، فاستحقوا اللعنة على كفرهم ، وللكافرين عذاب مهين :﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[1] ،

عرفنا فيما سبق أن الإسلام بمعناه العام هو دين الأنبياء جميعا، عليهم الصلاة والسلام، فإذا أخذنا كلمة الإسلام بهذا المعنى نجدها لا تدع مجالا للسؤال عن العلاقة بين الإسلام وبين سائر الأديان السماوية، إذ لا يسأل عن العلاقة بين الشيء ونفسه، فهنا وحدة لا انقسام فيها ولا أثنينية ولكن السؤال هنا عن الإسلام بمعناه الخاص، وهو الدين الذي أنزله الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم، أي العلاقة بين المحمدية وبين الموسوية والمسيحية.

وجه الاتفاق والاختلاف بين شريعة الإسلام والشرائع السابقة.

١. وجه الاتفاق بين شريعة الإسلام والشرائع السابقة.

الإسلام دين جميع الأنبياء والمرسلين، وهو الملة التي أمر الأنبياء جميعًا بها، وقد أخرج البخاري في صحيحه: من حديث أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" **أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**"[2].

وقال ابن تيمية: " فصل في توحد الملة وتعدد الشرائع وتنوعها، وتوحد الدين الملي دون الشرع قال تعالى:﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ ﴾[3]، فهذا نص في أنه إمام الناس كلهم. ثم قال:﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا

---

[1] [البقرة الآية: ٨٩]

[2] البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري: محمد بن إسماعيل صحيح البخاري ،كتاب الأنبياء، باب وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا،حديث رقم:٣٤٤٣،ج١،ص:٤٧١.

[3] [البقرة: ١٢٤].

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[1]،

فأمر بإتباع ملة إبراهيم، ونهى عن التهود والتنصر، وأمر بالإيمان الجامع كما أنزل على النبيين وما أوتوه، والإسلام له، وأن نصطبغ بصبغة الله، وأن نكون له عابدين"[2]. وقال أيضًا: "والأنبياء كلهم دينهم واحد، وتصديق بعضهم مستلزم تصديق سائرهم، وطاعة بعضهم تستلزم طاعة سائرهم, وكذلك التكذيب والمعصية"[3].

٢. وجه الاختلاف بين شريعة الإسلام والشرائع السابقة.

شرائع الأنبياء مختلفة ومناهجهم متعددة، وذلك في تفاصيل العبادات ومفردات الأحكام.

قال ابن تيمية في قوله تعالى:﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ

أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾[4]،

"فأمره أن يحكم بما أنزل الله على من قبله، لكل جعلنا من الرسولين والكتابين شرعة ومنهاجًا ,أي: سنة وسبيلا"[5].

فالمقصود أنّ كلّ نبي إنما تعبده الله بشريعة خاصة به، أما الدين الجامع وهو الإسلام فإنه عام لجميع الأنبياء، وهذا معنى توحد الملة والدين، وتعدد الشرائع والمناهج.

٣. إنّ الشريعة الإسلامية ناسخة لجميع الشرائع السابقة, ومهيمنة عليها.

إنّ الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع السماوية, كما أنّ نبيها خاتم الأنبياء والرسل, فتتميز دعوة الشريعة بالامتداد الزماني والمكاني, ولذلك جاءت ناسخة لكل الشرائع, ولا عذر لأحد من أن يكون خارج إطارها.

مسألتان والإجابة عليهما

المسألة الأولى:- هل ما ورد في الشرائع السابقة يعتبر شرائع للإسلام؟

ذلك أن لهذه المسألة طرفين وواسطة[6].

---

[1] [البقرة: ١٣٥]

[2] الحراني تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية،ط ١٤١٦،هـ ،ج١٩ ،ص ص:١٠٦، ١٠٧ .

[3] - المصدر السابق، ج١٩،ص:١٨٥.

[4] [المائدة: ٤٨:]

[5] الحراني: ابن تيمية ،مجموع الفتاوى،ج١٩،ص:١١٣.

[6] - انظر: الحراني : ابن تيمية ،مجموع الفتاوى،ج١٩،ص ص:٦، ٧، و"الحراني:ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم" ،ج١،ص:٤١١، ٤١٢.، و : الفتوحي تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي بابن النجار "شرح الكوكب المنير،

© Arabic Digital Library Yarmouk University

١. طرف يكون فيه شرع من قبلنا شرعًا لنا إجماعاً.

أما الطرف الأول الذي يكون فيه شرع من قبلنا شرعًا لنا إجماعاً، فهو ما ثبت أولاً أنّه شرع لمن قبلنا وذلك بطريق صحيح، وثبت ثانياً أنّه شرع لنا.

وذلك كقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾[١]..

٢. طرف يكون فيه شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا إجماعًا.

وهذا يتخذ إحدى صورتين:

أ. **ما لم يثبت بطريق صحيح أصلاً، كالمأخوذ من الإسرائيليات.**

ب. **ما ثبت بطريق صحيح أنّه شرع لمن قبلنا وصرح في شرعنا بنسخه** كالأصرار والأغلال التي كانت عليهم كما في قوله تعالى:﴿ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾[٢].

٣. واسطة هي محل الخلاف.

والواسطة التي وقع فيها الخلاف هي ما اشتملت على ثلاثة ضوابط:

أ. أن يثبت أنه شرع لمن قبلنا بطريق صحيح, وهو الكتاب والسنة الصحيحة، ويكفي الآحاد في ذلك، فإن ورد بطريق غير صحيح لم يكن شرعًا لنا بلا خلاف.

ب. ألا يرد في شرعنا ما يؤيده ويقرره، فإن ورد في شرعنا ما يؤيده كان شرعًا لنا بلا خلاف.

ج. ألا يرد في شرعنا ما ينسخه ويبطله، فإن ورد في شرعنا ما ينسخه لم يكن شرعًا لنا بلا خلاف، ومن المعلوم أن ذلك لا يكون في أصول الدين وأمور العقيدة؛ لأنها مما اتفق عليه بين الأنبياء جميعًا كما تقدم.

المسألة الثانية:- حكم الاحتجاج بشرع من قبلنا.

تحقيق : محمد الزحيلي و نزيه حماد ، مكتبة العبيكان ،١٤١٨ هـ ،ج٤،ص ص:٤١٢ – ٤١٤، و"مذكرة الشنقيطي" ص ص:١٦١، ١٦٢،، و"رحلة الحج إلى بيت الله الحرام" ص ص:١١٢، ١١٣، . ، ومحمّد بنْ حسَيْن بن حَسَن الجيزاني ،معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة - ج١ ،ص: ٢٢٦.

[١] [البقرة: ١٨٣]

[٢] [الأعراف: ١٥٧].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اختلف العلماء في الاحتجاج بشرع من قبلنا، فذهب الأكثر إلى أنه يكون حجة[1]. وذلك وفق الضوابط الثلاثة الموضحة في تحرير محل النزاع.

ومما يقوي هذا المذهب:

أن الله تعالى أنزل علينا هذا الكتاب العزيز لنعمل بكل ما دل عليه من الأحكام سواء كان شرعًا لمن قبلنا أم لا, والله تعالى ما قص علينا أخبار الماضين إلا لنعتبر بها، فنجتنب الموجب الذي هلك بسببه الهالكون منهم، ونغتنم الموجب الذي نجا بسببه الناجون منهم، وقد قال تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[2]،

والآيات الدالة على الاعتبار بأحوال الماضين كثيرة جدًا كقوله:﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[3]،

وكقوله:﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ [4]، وكقوله:﴿ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ ﴾[5][6].

الخلاف في شرع من قبلنا خلاف لفظي:

يمكن رد الخلاف في هذه المسألة إلى اللفظ دون الحقيقة, إذا عُلم اتفاق الجميع على تقرير الحقائق التالية:

1. **وجوب العمل بجميع نصوص الكتاب والسنة.**
2. **أنّ شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع.**
3. **أنّ العمل بشرع من قبلنا من حيث كونه شرعًا للأنبياء السابقين لا يجوز عند الجميع.**

---

[1] انظر: المقدسي: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، روضة الناظر وجنة المناظر، تحقيق : د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض ،ط١٣٩٩،٢، ج١،ص:٤٠٠، " و"تفسير ابن كثير" ج٢،ص: ١٦١، . ،و"شرح الكوكب المنير" ج٤،ص:٤١٢.

[2] [يوسف: ١١١]

[3] [الصافات: ١٣٧، ١٣٨]،

[4] [الحجر: ٧٦]

[5] [الحجر: ٧٩]

[6] - رحلة الحج إلى بيت الله الحرام" ،ص:١٠،ومعالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة ،ص: ٢٢٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن ذهب إلى تصحيح العمل بشرع من قبلنا فذلك من حيث كونه شرعاً لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم[1]

أنّ شرط العمل بشرع من قبلنا عند القائلين بحجيته أن يثبت كونه شرعاً لمن قبلنا بطريق صحيح, وهو الكتاب والسنة الصحيحة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

[1] - انظر: آل تيمية ،عبد السلام و عبد الحليم و أحمد بن عبد الحليم ، المسودة في أصول الفقه، محمد محيى الدين عبد الحميد ، المدني - القاهرة ،ص:١٨٥، و"شرح الكوكب المنير"ج٤،ص:٤١٣، و"رحلة الحج إلى بيت الله الحرام" ص:١٠٩،.

الفصل الثاني

الأقوام الذين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بمخالفتهم من غير المسلمين ومظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول: الأقوام الذين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بمخالفتهم من غير المسلمين .

المطلب الأول: أهل الكتاب (اليهود والنصارى).

المطلب الثاني: أهل الشرك والوثنية (المجوس والوثنيين).

المبحث الثاني: مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين .

المطلب الأول: مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث في الجانب الاعتقادي.

المطلب الثاني : مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث في العبادات.

المطلب الثالث :أثر التشبه بأهل الكتاب والكفار.

المبحث الأول

الأقوام الذين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بمخالفتهم من غير المسلمين

المطلب الأول

أهل الكتاب (اليهود والنصارى)

إنّ شريعة الإسلام تتميز بالتفرد والاستقلالية, وقد جاءت أحكام الإسلام وقواعده بما يضمن عزة المسلمين وكرامتهم, وقد نهى الإسلام عن إتباع سنن الأقوام السابقة, وتتبع أفعالهم وأقوالهم, فقد جاء النهي الصريح عن مشابهة الكفار وأهل الكتاب في مواطن عديدة طالت كلّ مجالات الدين وفروعه, حتى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم اعتبر التشبه بقوم مدعاة للحاق بجنسهم والاصطباغ بصبغتهم, أخرج أبو داود في (سننه): من حديث ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: **"مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ"**[1].

أولاً:- النهي عن التشبه بأهل الكتاب.

لقد نهى الله سبحانه وتعالى عن مشابهة أهل الكتاب, وإتباع سننهم, كما في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[2].

فقوله: **"ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب"**: نهي مطلق عن مشابهتهم, وهو خاص أيضاً في النهي عن مشابهتهم في قسوة قلوبهم, وقسوة القلوب من ثمرات المعاصي, وقد وصف الله سبحانه بها اليهود في غير موضع.

---

[1] السجستاني، أبو داود : سنن أبي داود ، كتاب الأدب، باب فِى الحَسَدِ،حديث رقم:٤٠٣١،ج١،ص:٦٥٤ ، قال الألباني: حديث حسن صحيح.

[2] [الحديد:١٦].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فقال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[2].

أخرج مسلم في (صحيحه): من حديث أبي الأسْوَدِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: **"بَعَثَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ إِلَى قُرَّاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ, فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثُ مِائَةِ رَجُلٍ قَدْ قَرَءُوا الْقُرْآنَ, فَقَالَ: أَنْتُمْ خِيَارُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقُرَّاؤُهُمْ, فَاتْلُوهُ, وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ كَمَا قَسَتْ قُلُوبُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ, وَإِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً كُنَّا نُشَبِّهُهَا فِي الطُّولِ وَالشِّدَّةِ بِبَرَاءَةَ, فَأُنْسِيتُهَا, غَيْرَ أَنِّي قَدْ حَفِظْتُ مِنْهَا لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا, وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ, وَكُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً كُنَّا نُشَبِّهُهَا بِإِحْدَى الْمُسَبِّحَاتِ, فَأُنْسِيتُهَا, غَيْرَ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْهَا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ, فَتُكْتَبُ شَهَادَةً فِي أَعْنَاقِكُمْ, فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"**[3].

فحذر أبو موسى القراء أن يطول عليهم الأمد فتقسوا قلوبهم, ثم لمّا كان نقض الميثاق يدخل فيه نقض ما عهد الله إليهم من الأمر والنهي وتحريف الكلم عن مواضعه[4], وتبديل

---

[1] [البقرة:٧٣-٧٤]
[2] [المائدة:١٢-١٣]
[3] النيسابوري : صحيح مسلم،كتاب الزكاة، بَاب لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَيْنِ لَابْتَغَى ثَالِثًا،حديث رقم:١٠٥٠،ج١،ص:٢٤٨.
[4] انظر: الحراني:ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم ،ص:٩١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتأويل كتاب الله. أخبر ابن مسعود رضي الله عنه بما يشبه ذلك فروى الأعمش عن عمارة بن عمير, عن الربيع بن أبي عميلة الفزاري, حدثنا عبد الله حديثا ما سمعت حديثا هو أحسن منه إلا كتاب الله أو رواية عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "**إنّ بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد قست قلوبهم, فاخترعوا كتابا من عند أنفسهم اشتهته قلوبهم, واستحلته أنفسهم, وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون, فقالوا: اعرضوا هذا الكتاب على بني إسرائيل, فإن تابعوكم فاتركوهم, وإن خالفوكم فاقتلوهم, ثم قالوا: لا بل أرسلوا إلى فلان, رجل من علمائهم, فاعرضوا عليه هذا الكتاب, فإن تابعكم فلن يخالفكم أحد بعده, وإن خالفكم فاقتلوه, فلن يختلف عليكم بعده أحد, فأرسلوا إليه فأخذ ورقة, فكتب فيها كتاب الله, ثم جعلها في قرن, ثم علقها في عنقه, ثم لبس عليها الثياب, ثم أتاهم فعرضوا عليه الكتاب فقالوا: أتؤمن بهذا؟ فأومأ إلى صدره فقال: آمنت بهذا, ومالي لا أومن بهذا, يعني الكتاب الذي في القرن, فخلوا سبيله, وكان له أصحاب يغشونه, فلما مات نبشوه, فوجدوا القرن, ووجدوا فيه الكتاب, فقالوا: ألا ترون قوله؟ آمنت بهذا, ومالي لا أومن بهذا, إنما عنى هذا الكتاب, فاختلف بنو إسرائيل على بضع وسبعين ملة, وخير مللهم أصحاب ذي القرن, قال عبد الله: وإنّ من بقي منكم سيرى منكرا, وبحسب امرئ يرى منكرا لا يستطيع أن يغيره, أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره**"[1].

إنّ ترك المشابهة للأمم أقرب إلى حصول الوفاء بالاختصاص, وقد روى في هذا الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما, عن النبي صلى الله عليه و سلم أنّه نهى عن التشبه بالأعاجم[2] فعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " **مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ** "[3].

ولما نهى الله عن التشبه بهؤلاء الذين قست قلوبهم ذكر أيضا في آخر السورة حال الذين ابتدعوا الرهبانية, فما رعوها حق رعايتها فعقبها بقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ

---

[1] أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي ،شعب الإيمان ،دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١، ١٤١٠، حديث رقم : ٧٥٨٩ج٦،ص:٩٥.
[2] المرجع السابق،ص:٨٨.
[3] ، أبو داود السجستاني: سنن أبي داود ، كتاب الأدب، باب في الحَسَدِ،حديث رقم:٤٠٣١،ج١،ص:٦٥٤ ،صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ٦١٤٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾[1].

فإتباع الرسول هو إيمان به وهو تصديقه وطاعته وإتباع شريعته, وفي ذلك مخالفة للرهبانية, لأنه لم يبعث بها, بل نهى عنها, وأخبر أنّ من اتبعه من أهل الكتاب كان له أجران, وبذلك جاءت الأحاديث الصحيحة بذلك, فقد أخرج أبو داود في سننه من حديث **سَهْلَ بْنَ أَبِي أُمَامَةَ, حَدَّثَهُ أَنَّهُ دَخَلَ هُوَ وَأَبُوهُ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بِالْمَدِينَةِ فِي زَمَانِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ, فَإِذَا هُوَ يُصَلِّي صَلَاةً خَفِيفَةً دَقِيقَةً كَأَنَّهَا صَلَاةُ مُسَافِرٍ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا, فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ أَبِي: يَرْحَمُكَ اللَّهُ, أَرَأَيْتَ هَذِهِ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ أَوْ شَيْءٌ تَنَفَّلْتَهُ؟, قَالَ: إِنَّهَا الْمَكْتُوبَةُ, وَإِنَّهَا لَصَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَا أَخْطَأْتُ إِلاَّ شَيْئًا سَهَوْتُ عَنْهُ, فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ : لاَ تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ, فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ, فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ (رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ)"**[2].

ثانياً:- صور النهي عن التشبه بأهل الكتاب.

إنّ النهي عن التشبه بأهل الكتاب لم يقتصر على مجال معين من مجالات الدين, بل تعدّى هذا النهي ليشمل كافة أقسام الدين ومجالاته, فتارة يكون النهي في جانب العبادات والعقائد, وتارة يكون في جانب المعاملات, وأخرى في جانب العادات, وعند ذلك يتأكد تميز الأمة المسلمة وتفردها, فلم تكن الأمة في يوم تابعة لغيرها من الأمم, بل أمّة متبوعة ما دامت متمسكة بكتاب ربها, وهدي نبيها صلى الله عليه وسلم.

١. النهي عن التشبه بأهل الكتاب في العبادات.

لقد تعددت صور النهيّ عن التشبه بأهل الكتاب في العبادات, فمنه النهي عن التشبه بهم في الصلاة, وكذلك النهي عن التشدد والغلو في العبادة, والنهي عن التشبه بصيامهم وأعيادهم, ثمّ النهي عن التشبه بأهل الكتاب في إقامة الحدود, وفيما يلي بيان لهذه الصور المختلفة:

أ. النهي عن التشبه بأهل الكتاب في الصلاة.

---

[1] [الحديد:٢٨-٢٧].

[2] السجستاني، أبو داود : سنن أبي داود ، كتاب الأدب، باب فِي الْحَسَدِ،حديث رقم:٤٩٠٤،ج١،ص:٧٩٨, قال حسين سليم أسد: اسناده حسن, وقال الألباني: وهو صحيح بمجموع شواهده.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لقد اتخذ هذا النهي صوراً عديدة طالت كلّ مجالات العبادة في أصولها وفروعها, ولعلّ من أهمّ صوره النهي عن التشبه بأهل الكتاب في الصلاة, فقد جاءت العديد من الأحاديث النبوية بالأمر ببعض الأفعال, أو النهي عن بعضها, مع التعليل لذلك الأمر, أو النهي بمخالفة أهل الكتاب, ومن أهمها النهي عن اتخاذ بعض الوسائل في النداء للصلاة ممّا هو من شأن النصارى, فقد أخرج أبو داود في (سننه) من حديث: **أَبِي عُمَيْرِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ عُمُومَةٍ لَهُ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: "اهْتَمَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم للصلاة كَيْفَ يَجْمَعُ النَّاسَ لَهَا فَقِيلَ لَهُ انْصِبْ رَايَةً عِنْدَ حُضُورِ الصَّلَاةِ فَإِذَا رَأَوْهَا آذَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ قَالَ فَذُكِرَ لَهُ الْقُنْعُ – يَعْنِي الشَّبُّورَ[1] – وَقَالَ زِيَادٌ شَبُّورَ الْيَهُودِ فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ وَقَالَ : هُوَ مِنْ أَمْرِ الْيَهُودِ, قَالَ: فَذُكِرَ لَهُ النَّاقُوسُ فَقَالَ : هُوَ مِنْ أَمْرِ النَّصَارَى"**[2], ففي هذا الحديث رفض النبي صلى الله عليه وسلم أن يستعمل شيئاً من الأدوات التي يستخدمها أهل الكتاب, مع أنّها لم تعرض عليه إلا من أجل الدعوة إلى الصلاة التي هي عمود الدين، وقد اشتملت على أعظم ما يميّز المسلمين عن غيرهم من أهل الملل كالشهادتين وغيرهما، ومع ذلك رفض النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وجعل علة تركه له أنّه من فعل اليهود والنصارى[3].

وكذلك النهي عن مخالفة الإمام, ولزوم إتباعه ومجاراته, فقد أخرج مسلم في (صحيحه) من حديث جابر رضي الله عنه قال: **"اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فَصَلَّيْنَا وَرَاءَهُ وَهُوَ قَاعِدٌ وَأَبُو بَكْرٍ يُسْمِعُ النَّاسَ تَكْبِيرَهُ, فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا فَرَآنَا قِيَامًا, فَأَشَارَ إِلَيْنَا فَقَعَدْنَا فَصَلَّيْنَا بِصَلَاتِهِ قُعُودًا, فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ: إِنْ كِدْتُمْ آنِفًا لَتَفْعَلُونَ فِعْلَ فَارِسَ وَالرُّومِ يَقُومُونَ عَلَى مُلُوكِهِمْ وَهُمْ قُعُودٌ, فَلَا تَفْعَلُوا ائْتَمُّوا بِأَئِمَّتِكُمْ إِنْ صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا, وَإِنْ صَلَّى قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا"**[4], وفي هذا تشديد ونهي عن القيام للرجل القاعد, ونهي أيضاً عما يشبه ذلك في الظاهر, وإن لم ينصرف القصد لذلك، فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيام عليه وهو قاعد، وعلل النهي بأن هذه الصورة تشبه صورة قيام فارس والروم على ملوكهم وهم قعود، مع أنهم لم يكونوا في صلاة حال قيامهم على ملوكهم، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أصحابه عن ذلك إمعاناً في البعد عن مشابهة الكفار.

---

[1] الشَّبُّور: هو البُوقُ وفسّرُوه أيضا بالقُنع بالقُنع . وهو والقُنع والقَنْع بالمعنى المذكور ،واللفظة عِبْرَانِيَّة(الجزري أبو السعادات المبارك بن محمد ،النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى و محمود محمد الطناحي ،المكتبة العلمية - بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ،ج٢،ص:١٠٧٨).

[2] السجستاني، أبو داود : سنن أبي داود، مرجع سابق, كتاب الصلاة، باب بدء الأذان،حديث رقم:٤٩٨،ج١،ص:١٨٦, صححه الألباني.

[3] انظر: الحراني:ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم ،ص:١١٨.

[4] النيسابوري : صحيح مسلم، كتاب الصلاة ،باب انتمام المأموم بالإمام،حديث رقم:٤١٣،ج١،ص:١٠٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومما تُجدر الإشارة إليه أيضاً فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة بالنعال والخفاف مخالفة لليهود, فهم لا يفعلون ذلك, فقد أخرج أبو داود في (سننه): من حديث يَعْلَى بْنِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم"**خَالِفُوا الْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ وَلاَ خِفَافِهِمْ**"[1], وفي هذا تصريح من النبيّ صلى الله عليه وسلم بمخالفة اليهود، ثم أعقب ذلك بالأمر بلبس النعال أو الخفاف في حال الصلاة, وكأن هذا الأمر لم يشرع إلا بعد معرفة حال اليهود في صلاتهم, وهذا يشعر بأن مخالفة الكفار مشروعة للمسلمين في شأنهم كله، وليس في هذا الشأن فحسب، فجاءت السنة بأحكام تكليفية مبناها الأساسي على مخالفة الكفار، وهكذا صارت مخالفة الكفار من مقاصد الشارع التي تبنى عليها بعض الأحكام الشرعية.

كذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التشبه باليهود في وضع اليد في الخاصرة في الصلاة, وتشبيك الأيدي كذلك في الصلاة كما تفعل اليهود, فقد أخرج البخاري في (صحيحه): من حديث عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "كَانَتْ تَكْرَهُ أَنْ يَجْعَلَ يَدَهُ فِي خَاصِرَتِهِ وَتَقُولُ إِنَّ الْيَهُودَ تَفْعَلُهُ**"[2], وأخرج أبو داود في سننه: من حديث **إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ, سَأَلْتُ نَافِعًا عَنِ الرَّجُلِ يُصَلِّي وَهُوَ مُشَبِّكٌ يَدَيْهِ قَالَ: قَالَ ابْنُ عُمَرَ: "تِلْكَ صَلاَةُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ"**[3].

ب. النهي عن التشدد والغلو في العبادة.

لقد نهى النبي صلى الله عليه و سلم عن التشدد والغلو في العبادة, وهذا النهيّ قد طال العديد من الجوانب, كاتخاذ المستحبّ بمنزلة الواجب, واتخاذ ما ليس بمحرم ولا مكروه بمنزلة المحرم والمكروه في الطيبات, وهذا الغلو هو الذي يقود إلى الرهبانية المبتدعة, فسنة النبي صلى الله عليه و سلم الاقتصاد في العبادة, ونبذ التشدد والغلو, ولعلّ من أهمّ صور النهي عن الغلو أمره صلى الله عليه و سلم بلزوم إتباع هديه, وإنكاره على من ترك الزواج, وعلى من يصوم ولا يفطر, ويصلي الليل ولا يرقد, فقد أخرج البخاري في (صحيحه): من حديث أنس بن مالك قال: "**جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا**

---

[1] السجستاني، أبو داود : سنن أبي داود ، كتاب الصلاة، باب الصَّلاَةِ فِى النَّعْلِ،حديث رقم:٦٥٢،ج١،ص:١١٤ صححه الألباني.

[2] البخاري: محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري, كتاب أحاديث الأنبياء، باب مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ ،حديث رقم:٣٤٥٨،ج١،ص:٤٧٣.

[3] السجستاني، أبو داود : سنن أبي داود ، مرجع سابق, كتاب الصلاة، باب كراهية الاعتماد على اليد فى الصلاة، حديث رقم:٩٩٥،ج: ١،ص:٣٧٧, صححه الألباني.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي "[1].

ومن صور النهي عن الغلو والتشديد كذلك, النهي عن التشديد على النفس في الصلاة, فقد أخرج أبو داود في (سننه): من حديث سَهْلَ بْنَ أَبِي أُمَامَةَ, حَدَّثَهُ: أَنَّهُ دَخَلَ هُوَ وَأَبُوهُ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بِالْمَدِينَةِ فِي زَمَانِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ, فَإِذَا هُوَ يُصَلِّي صَلَاةً خَفِيفَةً دَقِيقَةً كَأَنَّهَا صَلَاةُ مُسَافِرٍ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا, فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ أَبِي: يَرْحَمُكَ اللَّهُ, أَرَأَيْتَ هَذِهِ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ أَوْ شَيْءٌ تَنَفَّلْتَهُ؟ قَالَ: إِنَّهَا الْمَكْتُوبَةُ, وَإِنَّهَا لَصَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَا أَخْطَأْتُ إِلَّا شَيْئًا سَهَوْتُ عَنْهُ, فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ : لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ, فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ, فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ (رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ)"[2] .
وفي هذا تنبيه على نهي النبي صلى الله عليه و سلم لمثل ما عليه النصارى من الرهبانية المبتدعة, وفيه أيضا تنبيه على أن التشديد على النفس ابتداء يكون سببا لتشديد آخر يفعله الله إما بالشرع وإما بالقدر، فأما بالشرع فمثل ما كان النبي صلى الله عليه و سلم يخافه في زمانه من زيادة إيجاب أو تحريم كنحو ما خافه لما اجتمعوا لصلاة التراويح معه, وأما القدر كالموسوسين في الطهارات إذا زادوا على المشروع ابتلوا بأسباب توجب حقيقة عليهم أشياء فيها عظيم مشقة ومضرة، وهذا المعنى الذي دلّ عليه الحديث موافق لقوله تعالى:﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾[3].

ومن صور النهي عن الغلو كذلك النهي عن التشديد في رمي الجمار وصفة حجارتها, فقد أخرج ابن ماجه في (سننه): من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم غداة العقبة وهو على ناقته: " الْقُطْ لِي حَصًى فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ

---

[1] البخاري: محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري , واللفظ له, مرجع سابق, سبق تخريجه, ص:
[2] سنن أبي داود السجستاني, مرجع سابق, كتاب الأدب, باب في الحسد, ج: ٤, ص: ٤٢٨, رقم الحديث: ٤٩٠٦, قال الألباني: حديث حسن صحيح بمجموع شواهده.
[3] [الأعراف:١٥٧].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّهِ وَيَقُولُ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ فَارْمُوا ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ"[1].

وقوله إياكم والغلو في الدين عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال, **والغلو:** هو مجاوزة الحد بأن يزاد في حدّ الشيء أو ذمه على ما يستحق, ونحو ذلك والنصارى أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن في قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾[2]. وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار, وهو داخل فيه, فالغلو فيه مثل رمي الحجارة الكبار ونحو ذلك بناء على أنّه قد بالغ في الحصى الصغار, ثم علل ذلك: بأن ما أهلك من كان قبلنا إلا الغلو في الدين كما تراه في النصارى، وذلك يقتضي أن مجانبة هديهم مطلقا أبعد عن الوقوع فيما به هلكوا, وأنّ المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه أن يكون هالكا[3] .

ج. النهي عن التشبه بصيام أهل الكتاب وأعيادهم.

لقد اتخذ النهي عن التشبه بأهل الكتاب في صومهم وأعيادهم صوراً عدة من أهمها:

صيام يوم التاسع من محرم, فقد أخرج مسلم في (صحيحه): من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : **"إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع قال فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه و سلم"**[4].

كذلك الأمر بطعام السحور, وتعجيل الفطر مخالفة لأهل الكتاب, فقد أخرج مسلم في (صحيحه): عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: **"فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر"**[5], وفي شأن تعجيل الفطر فقد أخرج أبو داود في (سننه): من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: " **لا يزال الدين ظاهرا ما عجل الناس الفطر, لأن اليهود والنصارى يؤخرون**"[6], وهذا نص في أنّ ظهور الدين حاصل بتعجيل الفطر هو لأجل مخالفة اليهود والنصارى, وإذا كانت مخالفتهم

---

[1] ابن ماجه القزويني :سنن ابن ماجه،كتاب مناسك الحج، بَاب التِقَاطِ الحَصَى،حديث رقم:٣٠٢٩،ج: ٤،ص:٤٨٦ ،صححه الألباني.
[2] [المائدة ٧٧].
[3] انظر: ابن تيمية الحراني: اقتضاء الصراط المستقيم ،ص:١٠٦.
[4] مسلم بن الحجاج النيسابوري : صحيح مسلم ،كتاب الصيام، باب أي يوم يصام في عاشوراء ،حديث رقم:١١٣٤،ج١،ص:٢٧٢.
[5] مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم ،كتاب الصيام، باب أفضل السحور وتأكيد استحبابه ،حديث رقم:١٠٩٦،ج١،ص:٢٦٢.
[6] السجستاني، أبو داود : سنن أبي داود ، كتاب الصوم، باب مَا يُستَحَبُّ مِنْ تَعْجِيلِ الفِطر،حديث رقم:٢٣٥٣،ج١،ص:٣٨٣، حسنه الألباني.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سببا لظهور الدين, فإنما المقصود بإرسال الرسل أن يظهر دين الله على الدين كلـــه, فتكـــون نفس مخالفتهم من أكبر مقاصد البعثة.

ومن صور النهي أيضاً ترك الحساب واعتبار الرؤية في الصوم والفطـــر, فقـــدأخرج مسلم في (صحيحه): من حديث أبي هريره رضى الله عنه **أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليـــه وســـلم قَالَ: " صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ فَإِنْ غُمِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا الْعَـــدَدَ"**[1], فوصف هذه الأمـــة بترك الكتابة والحساب الذي يفعله غيرها من الأمم في أوقات عبادتهم وأعيادهم, وأحالها على الرؤية حيث قال في غير حديث: وفي رواية صوموا من الوضح إلى الوضح أي: من الهلال إلى الهلال"[2], وهذا دليل على ما أجمع عليه المسلمون إلا من شـــذ مـــن بعـــض المتـــأخرين المخالفين المسبوقين بالإجماع من أنّ مواقيت الصوم والفطر والنسك إنما تقام بالرؤية عنـــد إمكانها, لا بالكتاب والحساب الذي تسلكه الأعاجم من الروم والفرس والقبط والهنـــد وأهـــل الكتاب من اليهود والنصارى.

د. النهي عن التشبه بأهل الكتاب في إقامة الحدود.

لقد حذر الرسول صلى الله عليه و سلم من مشابهة من قبلنا في أنّهم كانوا يفرقون في الحدود بين الأشراف والضعفاء, وأمر أن يسوّى بين الناس في ذلك, ولعلّ من أبرز صور النهي التي تتعلق بإقامة الحدود, النهي عن ازدواجية الحد والحكم, فقـــد أخـــرج مـــسلم فـــي (صحيحه): من حديث عائشة رضي الله عنها **عَنْ عَائِشَةَ, أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُـــمْ شَـــأْنُ الْمَـــرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ, فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ", ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ, وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ, وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"**[3].

وكان بنو مخزوم من أشرف بطون قريش, واشتد عليهم أن تقطع يد امرأة مـــنهم, فبين النبي صلى الله عليه و سلم أن هلاك بني إسرائيل إنما كان في تخصيص رؤساء الناس بالعفو عن العقوبات, وأخبر أن فاطمة ابنته التي هي أشرف النساء لو سرقت وقد أعاذها الله

---

[1] مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم ،كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ،حديث رقم:١٠٨١،ج١،ص:٢٥٩.

[2] انظر:ابن تيمية الحراني: اقتضاء الصراط المستقيم ،ص:٨٧.

[3] النيسابوري : صحيح مسلم، مرجع سابق, كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود ،حديث رقم:٤٥٠٥،ج: ٥،ص:١١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من ذلك لقطع يدها, ليبين أن وجوب العدل والتعميم في الحدود لا يستثنى منه بنت الرسول فضلاً عن بنت غيره[1].

ومن صوره كذلك النهي عن تغيير الحد, فقد أخرج أحمد في (مسنده): من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: "**مر على النبي صلى الله عليه و سلم بيهودي محمم مجلود فدعاهم فقال: أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ فقالوا: نعم فدعا رجلا من علمائهم قال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال: لا, ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك نجده الرجم, ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه, وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فقلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم, فقال صلى الله عليه و سلم: اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه, فأمر به فرجم فأنزل الله عز و جل : (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه) يقول: ائتوا محمدا فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه, وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا فأنزل الله تعالى: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون" قال: هي في الكفارة كلها**"[2].

٢. النهي عن التشبه بأهل الكتاب في العادات.

لقد تعددت صور النهيّ عن التشبه بأهل الكتاب في العادات, فمنه ما يتعلق بالسلام, وبعضه بالهيئة واللباس, والآخر بدفن الموتى, ففي النهي عن التشبه بالسلام, فقد نهى النبيّ صلى الله عليه و سلم السلام بالإشارة, فقد أخرج الترمذي في (سننه): من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: " **لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا ، لاَ تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ وَلاَ بِالنَّصَارَى، فَإِنَّ تَسْلِيمَ اليَهُودِ الإِشَارَةُ بِالأَصَابِعِ ، وَتَسْلِيمَ النَّصَارَى الإِشَارَةُ بِالأَكُفِّ**"[3].

أمّا بالنسبة للنهي عن التشبه بالهيئة واللباس, فقد أمر النبيّ صلى الله عليه و سلم بالاتزار بالثوب ونهى عن الاشتمال, فقد أخرج أبو داود في (سننه) من حديث ابن عمر قال:

---

[1] انظر: الحراني:ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم ،ص:١٠٧.

[2] أحمد بن حنبل الشيباني: مسند أحمد ،حديث رقم: ١٨٥٢٥،ج٤،ص:٢٨٦, تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح على شرط الشيخين.

[3] محمد بن عيسى الترمذي ، سنن الترمذي ،كتاب الإستئذان ، باب ما جاء في كراهية إشارة اليد بالسلام ،حديث رقم:٢٦٩٥،ج١،ص:٦٧١،وحسنه الألباني وروى ابن المبارك هذا الحديث عن ابن لهيعة ولم يرفعه . وهذا وإن كان فيه ضعف فقد تقدم الحديث المرفوع من تشبه بقوم فهو منهم وهو محفوظ عن حذيفة بن اليمان أيضا من قوله وحديث ابن لهيعة يصلح للاعتضاد كذا كان يقول أحمد وغيره (الحراني:ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم ،ص:٨٥) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم, أو قال: قال عمر: " **إِذَا كَانَ لأَحَدِكُمْ ثَوْبَانِ فَلْيُصَلِّ فِيهِمَا, فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلاَّ ثَوْبٌ وَاحِدٌ فَلْيَتَّزِرْ بِهِ, وَلاَ يَشْتَمِلِ اشْتِمَالَ الْيَهُودِ**"[1], وفي هذا وضوح بيّن في مخالفة اليهود في لباسهم في الصلاة, فمفارقة المسلم المشرك في اللباس أمر مطلوب للشارع, أمر به ودعا إليه.

كذلك أمر النبيّ صلى الله عليه و سلم بشدّ الثوب إلى الحقو, فقد أخرج ابن خزيمة في (صحيحه): من حديث نافع قال : رآني ابن عمر وأنا أصلي في ثوب واحد فقال: ألم أكن أكسك ثوبين؟ قال: قلت: بلى, قال: أرأيت لو أرسلتك في حاجة أكنت منطلقا في ثوب واحد؟ قلت: لا, قال: فالله أحق أن تزين له, ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: "إذا لم يكن لأحدكم إلا ثوب واحد فليشد به حقوه ولا يشتمل به اشتمال اليهود"[2].

ذكر ابن تيمية: "وإنما الغرض أنّه قال: "ولا يشتمل اشتمال اليهود"، فإن إضافة المنهي عنه إلى اليهود دليل على أنّ لهذه الإضافة تأثيراً في النهي، وهذا يدل على وجوب مفارقة الكفار في الشكل الظاهر، حتى ولو كان المسلم متلبساً بالصلاة التي هي عمود الدين، والتي تشتمل على أعظم وجوه المخالفة للكفار من الشهادتين والإخلاص لله، وتجريد المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم, هذا وإنّ من طريقة السنة فيما كان مشروعاً في الإسلام وفي شرائع من كان قبلنا من يهود أو نصارى في جانب العبادات: الأمر به مع مخالفتهم في صفته وهيئته, وهذا المعنى صحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم من رواية جابر وغيره أنّه أمر في الثوب الضيق بالائتزار دون الاشتمال وهو قول جمهور أهل العلم وفي مذهب أحمد قولان، وإنما الغرض أنه قال لا يشتمل اشتمال اليهود, فان المنهي عنه إلى اليهود دليل على أن لهذه الإضافة تأثيرا في النهي[3].

وممّا تجدر الإشارة إليه فقد ورد النهي في جملة من الأحاديث النبوية فيما يتعلق بهيئة المسلم في شعره كوصل الشعر, وتغيير الشيب, وإحفاء الشوارب وحلق اللحى, أمّا بالنسبة إلى وصل الشعر فقد أخرج البخاري في (صحيحه): من حديث **حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، عَامَ حَجَّ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَتَنَاوَلَ قُصَّةً مِنْ شَعَرٍ وَكَانَتْ فِي يَدَيْ**

---

[1] أبو داود السجستاني: سنن أبي داود ، كتاب الصلاة، باب إذا كان الثوب ضيقا يتزر به ،حديث رقم:٦٣٥،ج١،ص:١١٢، صححه الألباني.

[2] ،محمد بن اسحاق ابن خزيمة النيسابوري:صحيح ابن خزيمة، تحقيق الأعظمي،حديث رقم:٧٦٦،ج١،ص:٣٧٦، قال الأعظمي : إسناده ضعيف وأخرجه أبو داود ٦٣٥ من طريق أيوب مختصرا نحوه دون الموقوف منه وسنده صحيح-أي الحديث السابق.

[3] انظر:ابن تيمية الحراني: اقتضاء الصراط المستقيم ،ص:٨٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حَرَسِيٌّ فَقَالَكَ يَا أَهْلَ المَدِينَةِ، أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذِهِ، وَيَقُولُ: "إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَهَا نِسَاؤُهُمْ"[1].

وفيما يتعلق بتغيير الشيب, أخرج الترمذي في (سننه): من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: **"غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود"**[2], وهذا اللفظ أدل على الأمر بمخالفتهم, والنهي عن مشابهتهم, فإنه إذا نهى عن التشبه بهم في بقاء بياض الشيب الذي ليس من فعلنا فلأن ينهى عن إحداث التشبه بهم أولى, ولهذا كان هذا التشبه بهم يكون محرما بخلاف الأول.

أمّا احفاء الشوارب وحلق اللحى, فقد أخرج مسلم في (صحيحه): من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **"خالفوا المشركين أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى"**[3].

أما فيما يتعلق بدفن الموتى فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمخالفة اليهود, والجلوس قبل أن توضع الجنازة في اللحد, فقد أخرج أبو داود في (سننه): من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: **"كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا اتبع جنازة لم يقعد حتى توضع في اللحد, فتعرّض له حبر فقال: هكذا نصنع يا محمد, قال: فجلس رسول الله صلى الله عليه و سلم وقال: خالفوهم"**[4].

كذلك فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم باللحد للمسلمين في دفن الميت, فقد أخرج الترمذي في (سننه): من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:"اللَّحْدُ لَنَا وَالشَّقُّ لِغَيْرِنَا"**[5], وفيه التنبيه على مخالفتنا لأهل الكتاب حتى في وضع الميت في أسفل القبر[6].

٣. النهي عن التشبه بالعقيدة.

لقد اتخذ هذا النهي صوراً عدة لعلّ من أهمها النهي عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد, فقد أخرج مسلم في (صحيحه): من حديث جندب بن عبد الله البجلي قال:

---

[1] محمد بن إسماعيل البخاري: محمد بن إسماعيل صحيح البخاري ،كتاب أحَادِيثِ الأَنبِيَاءِ، باب حديث الغار ،حديث رقم:٣٤٦٨،ج١،ص:٤٧٥.

[2] محمد بن عيسى الترمذي ، سنن الترمذي، كتاب اللباس ،باب اما جاء في الخضاب ،حديث رقم:١٧٥٢،ج١،ص:٤٦٢، قال الترمذي حديث حسن صحيح, وصححه الألباني.

[3] مسلم بن الحجاج النيسابوري, صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، .باب خصال الفطرة، حديث رقم:٢٥٩،ج١،ص:٧٥.

[4] الترمذي :محمد بن عيسى ، سنن الترمذي، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في الجلوس قبل أن توضع ،حديث رقم:١٠٢٠،ج١،ص:٢٧٤, وهو حديث حسن.

[5] السجستاني، أبو داود : سنن أبي داود ، كتاب الجنائز، باب في اللحد، ج: ٣،ص:٢٠٤، حديث رقم:٣٢١٠, صححه الألباني.

[6] انظر: الحراني:ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم ،ص:٦٨ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سمعت النبي صلى الله عليه و سلم قبل أن يموتَ بخمس وهو يقول: "**إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ, فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً, وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً, أَلاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ, أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ, إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**"[1].

وصف رسول الله صلى الله عليه و سلم أنّ الذين كانوا قبلنا كانوا يتخذون قبور الأنبياء والصالحين مساجد, وعدى هذا الوصف بالأمر بحرف الفاء أن لا يتخذوا القبور مساجد وقال: إنّه صلى الله عليه وسلم ينهانا عن ذلك, ففيه دلالة على أن اتخاذ من قبلنا سبب لنهينا إمّا مظهر للنهي وإمّا موجب للنهي، وذلك يقتضي أنّ أعمالهم دلالة وعلامة على أن الله ينهانا عنها أو أنّها علّة مقتضية للنهي, وعلى التقديرين يعلم أنّ مخالفتهم أمر مطلوب للشارع في الجملة[2] .

إنّ هذا التحذير منه صلى الله عليه و سلم, واللعن عن مشابهة أهل الكتاب في بناء المسجد على قبر الرجل الصالح صريح في النهي عن المشابهة في هذا, ودليل على الحذر عن جنس أعمالهم, حيث لا يؤمن في سائر أعمالهم أن تكون من هذا الجنس, ثمّ من المعلوم ما قد ابتلي به كثير من هذه الأمة من بناء المساجد على القبور, واتخاذ القبور مساجد بلا بناء, وكلا الأمرين محرم ملعون فاعله بالمستفيض من السنة, وإنّ تحريم ذلك قد ذكره غير واحد من علماء الطوائف من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم, ولهذا كان السلف من الصحابة والتابعين يبالغون في المنع مما يجر إلى مثل هذا, حتى روى أبو يعلى الموصلي بسنده, حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يزيد بن الحباب حدثنا جعفر بن إبراهيم من ولد ذي الجناحين حدثنا علي بن عمر عن أبيه عن علي بن الحسن : "**أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه و سلم فيدخل فيها, فيدعو, فنهاه فقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن النبي صلى الله عليه و سلم؟ قال: لا تتخذوا قبري عيدا, ولا بيوتكم قبورا, فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم**"[3].

ومن صور النهي في العقيدة كذلك النهي عن الإطراء المؤدي إلى للشرك, فقد أخرج البخاري في (صحيحه): من حديث عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي

---

[1] النيسابوري : صحيح مسلم، كتاب، المَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلاَةِ ،بَاب النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ المَسَاجِدِ عَلَى القُبُورِ وَاتِّخَاذِ الصُّوَرِ فِيهَا وَالنَّهْيِ عَنْ اتِّخَاذِ القُبُورِ مَسَاجِدَ،حديث رقم:١٢١٦،ج: ٢، ص:٦٧.

[2] الحراني:ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم ،ص:١٠٨ .

[3] وأخرجه المقدسي محمد بن عبد الواحد الحافظ في مستخرجه، الأحاديث المختارة مما ليس في الصحيحين أو أحدهما، مكتبة النهضة الحديثة، حديث رقم:٤٢٨، ج١، ص:٢٤٤, وأخرجه احمد في مسنده, وقال: حديث حسن.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله"[1]. وفيه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الإطراء، ورفعه صلى الله عليه وسلم إلى منزلة فوق منزلته, وهذا تحريمه معلوم من دين الإسلام، وبه جاء محمد صلى الله عليه وسلم وعنه دافع وصال وجال، ولكنه مع ذلك ذكر النصارى الذين وقعوا في الضلال، ففيه ترسيخ معنى أنهم ضُلاّل, وأنهم أمعنوا في الضلال، مما يرسخ بدوره الإعراض عن صنيعهم عنهم ووجوب مخالفتهم.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

[1] البخاري: محمد بن إسماعيل :صحيح البخاري, كتاب أحاديث الأنبياء، باب وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا،حديث رقم:٣٤٤٥،ج:٤،ص:١٦٧.

المطلب الثاني

أهل الشرك والوثنية (المجوس والوثنيين)

إنّ التشبه بالكفار وأهل الجاهلية فيما هو من خصائصهم يعدُّ من مظاهر موالاتهم, والانقياد لهم سواء كان التشبه بهم في عباداتهم ومعاملاتهم, أو في عاداتهم وعقائدهم, فالنصوص القرآنية, والأحاديث النبوية حرمت التشبه بالكفار, ونهت عن تقليدهم, فتقليدهم والتشبه بهم في الظاهر يقود إلى محبتهم في الداخل, وهذا ما لا يرضاه الإسلام ولا يقبله.

أولاً:- النهي عن التشبه بأهل الشرك (المجوس والوثنيين).

لقد جاء موقف السنة النبوية محذراً من خطورة التشبه بالكافرين, حيث سلك النبي صلى الله عليه وسلم كلّ طريق ممكنة لبيان أهمية المفاصلة الكاملة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وعمل بكل ما يقطع المشابهة بين من رضي بالله معبوداً وإلهاً، وبين من عبد الطاغوت, وكفر بمن حق له أن يكون معبوداً وإلهاً، فلم يترك أمراً يزيد المباينة بينهما إلا أمر به ورغب فيه، ولم ير شيئاً يقيم الصلة بينهما إلا نهى عنه وحذر منه, فمن الأحاديث ما جاء فيها النهي عن التشبه بالكفار نهياً صريحاً من دون ذكر سبب النهي، ومنها ما جاء النهي فيه عن التشبه مع التعليل وذكر السبب، ومن جملة الأحاديث ما جاء فيه نسبة المتشبه بهم إلى الجاهلية، والبعض الآخر ما جاء فيه التحذير من التشبه بهم لأن ذلك ملحق بهم وحكم المتشبه بهم كحكمهم، ومن الأحاديث في السنة النبوية ما جاء فيه الترهيب من التشبه بهم لما حصل لهم من عقوبة الله، وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ بعضاً من الأحاديث قد ورد فيه النهي عن التشبه بالكافرين على صيغة الإخبار عن حال المسلمين في المستقبل, وانجرافهم وراء التشبه الأعمى بالكفار, وقد جاءت الأحاديث تأمر بإتباع الهدي النبوي ومخالفة المشركين والمجوس, وتفصيل ذلك فيما يلي:-

أولاً:- مخالفة الكفار والمشركين.

إنّ الأمر بمخالفة الكفار والمشركين من أهل الجاهلية, ونبذ تقليدهم وإتباعهم قد جاء في صور عديدة, ومنها النهي عن يومي الأعياد في الجاهلية, وإبدالهما بالأضحى والفطر, فقد أخرج أبو داود في (سننه): من حديث **أَنَسٍ قَالَ:"قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا فَقَالَ: مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟ قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ, فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الأَضْحَى, وَيَوْمَ الْفِطْرِ"**[1].

---

[1] السجستاني، أبو داود : سنن أبي داود ، كتاب الصلاة، باب صلاة العيدين ،حديث رقم:١١٣٤،ج١،ص:١٨٥، صححه الألباني.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ذكر ابن تيمية:

"فوجه الدلالة: أن اليومين الجاهليين لم يقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم, ولا تركهم يلعبون فيهما على العادة، بل قال: "**إن الله قد أبدلكم بهما يومين آخرين**", والإبدال من الشيء يقتضي ترك المبدل منه, وأيضا فقوله لهم: "**إن الله قد أبدلكم**" لما سألهم عن اليومين فأجابوه "**إنهما يومان كانوا يلعبون فيهما في الجاهلية**"، دليل على أنه نهاهم عنهما اعتياضاً بيومي الإسلام, إذ لو لم يقصد النهي لم يكن ذِكر هذا الإبدال مناسباً, إذ أصل شرع اليومين الإسلاميين كانوا يعلمونه، ولم يكونوا ليتركوه لأجل يومي الجاهلية"[1], وهنا وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدة جليلة من خلال هذا الحديث حيث استبدل هذين اليومين بيومين آخرين، دون ذكر سبب ظاهر, وهذا يدل على أنّ مخالفة الكفار من مقصود الشارع أصلاً، فسكوته عن ذكر سبب الاستبدال يشعر بكون المخالفة لهم مما لا نقاش فيه، وأنّه مما عرف من طريقة الشارع.

ومن جملة النهي عن مشابهة الكفار والمشركين الإفاضة من مزدلفة قبل طلوع الشمس, وقد ظهرت هذه المخالفة من خلال هدي النبي صلى الله عليه وسلم وفعله في الحج, فقد أخرج البخاري في (صحيحه): من حديث **عَمْرَو بْنَ مَيْمُونٍ يَقُولُ: شَهِدْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَلَّى بِجَمْعٍ الصُّبْحَ, ثُمَّ وَقَفَ فَقَالَ: "إِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا لَا يُفِيضُونَ[2] حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَيَقُولُونَ أَشْرِقْ ثَبِيرُ[3], وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالَفَهُمْ, ثُمَّ أَفَاضَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ"**[4], وهنا خالفهم النبي صلى الله عليه وسلم مع أنّ في موافقتهم زيادة عبادة، فآثر عليه الصلاة والسلام مخالفتهم بالتبكير في الإفاضة من مزدلفة مع أنّ في مكثه بجمع زيادة في زمن العبادة، فعلم أن مخالفتهم أفضل, ولو كان في موافقتهم زيادة طاعة لله عز وجل، ففضيلة المخالفة تقدم على فضيلة الطاعة في حالة تعارضهما[5].

---

[1] انظر: الحراني:ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم: ١٨٥.

[2] يعني من مزدلفة إلى منى انظر: فتح الباري ٤٨١/٣

[3] اشرق بلفظ الأمر أي: لتطلع عليك الشمس، وثبير: بفتح الثاء: هو جبل عظيم بالمزدلفة على يسار الذاهب منها إلى منى، انظر: تحفة الأحوذي ٥٤٦/٣ وشرح السيوطي ٢٦٣/٥.

[4] البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري: محمد بن إسماعيل صحيح البخاري ،كتاب مناقب الأنصار، باب أيّام الجَاهِلِيَّةِ،حديث رقم:٣٨٣٨،ج١،ص:٥٢٠.

[5] ما لم يكن في ذلك إضاعة لواجب أوجبه الله تبارك وتعالى علينا، فلا تجب المخالفة في هذه الحالة إلا في هيئة العبادة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كذلك ورد الهدي النبوي في النهي عن النياحة, والدعوة بدعوى الجاهلية, والنهي عن العصبية القبلية, فقد أخرج البخاري في (صحيحه): من حديث **عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ"**[1].

وممّا ينبغي الإشارة إليه أنّ النبي صلى الله عليه و سلم نهى عن الفخر في الأحساب, والطعن في الأنساب, والاستسقاء بالنجوم, وذلك مخالفة للكفار والمشركين, فقد أخرج مسلم في صحيحه: من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال: **"أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ, الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ, وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ, وَالاِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ, وَالنِّيَاحَةُ"**, وقال: **"النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ, وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ"**[2], ففي هذا الحديث ذمّ النبي صلى الله عليه و سلم من دعا بدعوى الجاهلية, وأخبر أنّ بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم ذما لمن لم يتركه، وهذا كله يقتضي أنّ ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام, وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها ومعلوم أنّ إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم فإن إضافة الحمية إلى الجاهلية يقتضي ذمها فما كان من أخلاقهم وأفعالهم فهو كذلك في الحكم.

وممّا يُذكر في النهي عن العصبية القبلية فقد أخرج البخاري في صحيحه: من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: **" كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ, فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ, وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ, فَسَمَّعَهَا اللَّهُ رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَا هَذَا؟", فَقَالُوا: كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ, وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ, فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ"**[3].

لقد أمر النبي صلى الله عليه و سلم بالطاعة, ونهى عن مفارقة الجماعة, فقد أخرج مسلم في صحيحه: من حديث **أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ, وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ, فَمَاتَ, مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً, وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ, يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ, أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ, أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً, فَقُتِلَ, فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ, وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا, وَلاَ يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا ,وَلاَ يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ, فَلَيْسَ مِنِّي, وَلَسْتُ**

---

[1] البخاري: محمد بن إسماعيل صحيح البخاري ،كتاب المناقب ، بَاب مَا يُنْهَى مِنْ دَعْوَةِ الجَاهِلِيَّةِ،حديث رقم:٣٥١٩،ج١،ص:٤٨٠.
[2] النيسابوري : صحيح مسلم، كتاب الجنائز ،باب التشديد في النياحة،حديث رقم:٩٣٤،ج١،ص:٢٢١.
[3] البخاري: محمد بن إسماعيل صحيح البخاري ،كتاب التفسير، باب قولِهِ (يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ)،حديث رقم:٤٩٠٧،ج١،ص:٦٩٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مِنْهُ"[1], وقد ذكر النبي صلى الله عليه و سلم في هذا الحديث الأقسام الثلاثة التي يعقد لها الفقهاء باب قتال أهل القبلة من البغاء, والعداة, وأهل العصبية, حيث أجمل ابن تيمية الأقسام الثلاثة مبيناً إياها, وما يترتب عليها من الآثار, فالقسم الأول هو الخارج عن طاعة السلطان, فهذا منهي عنه, ومن مات ولا طاعة عليه لإمام مات ميتة جاهلية, فأهل الجاهلية من العرب ونحوهم لم يكونوا يطيعون أميرا عاما على ما هو معروف من سيرتهم, والقسم الثاني الذي يقاتل تعصبا لقومه أو أهل بلده ونحو ذلك, وسميت رايته عمياء لأنه لا يدري وجهة قتاله, فكذلك قتال العصبية يكون عن غير علم بجواز قتال, وبهذا كانت قتلة المقتول قتلة جاهلية, والقسم الثالث هم الخوارج على الأمة, وهم إمّا من العداة الذين غايتهم المنافع المادية والمعنوية, كجمع الأموال والرياسة, أو من الخارجين عن السنة الذين يستحلون دماء أهل المسلمين[2].

وقد ورد الهدي النبوي كذلك بالنهي عن الصلاة في المقابر, وفي أرض بابل الملعونة, فقد أخرج أبو داود في سننه: **من حديث أبى صَالِح الغِفَارِىِّ أَنَّ عَلِيًّا رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ مَرَّ بِبَابِلَ وَهُوَ يَسِيرُ فَجَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ يُؤَذِّنُ بِصَلاَةِ الْعَصْرِ, فَلَمَّا بَرَزَ مِنْهَا أَمَرَ الْمُؤَذِّنَ فَأَقَامَ الصَّلاَةَ, فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: إِنَّ حَبِيبِى صلى الله عليه وسلم نَهَانِى أَنْ أُصَلِّىَ فِى الْمَقْبُرَةِ, وَنَهَانِى أَنْ أُصَلِّىَ فِى أَرْضِ بَابِلَ فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ"**[3], فهذا نهي نبوي صريح عن الصلاة في المقابر, وفي أرض بابل الملعونة, فإذا كانت الشريعة قد جاءت بالنهي عن مشاركة الكفار في المكان الذي حل بهم فيه العذاب فكيف بمشاركتهم في الأعمال التي يعملونها واستحقوا بها العذاب.

ثانياً:- النهي عن التشبه بالمجوس.

وهذا النهي عن مشابهة المجوس وتقليدهم جاء في صور عديدة, كما هو الحال في النهي عن التشبه بالكفار والمشركين, وقد جاء السنة النبوية زاخرة بهذا النهي لعلّ من أهمها النهي عن التشبه بالمجوس وذلك بجزّ الشوارب وإرخاء اللحى, فقد أخرج مسلم في صحيحه: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"جزوا الشوارب, وأرخوا اللحى[4] خالفوا المجوس"**[5], ومما يؤخذ من الحديث أنّ مخالفة الكفار علة

---

[1] النيسابوري : صحيح مسلم، كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة،حديث رقم: ١٨٤٨ ،ج١،ص:٧٤٨.

[2] انظر: الحراني:ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم: ٧٥.

[3] السجستاني، أبو داود : سنن أبي داود ، كتاب الصلاة، باب فِى الْمَوَاضِعِ الَّتِى لاَ تَجُوزُ فِيهَا الصَّلاَةُ،حديث رقم:٤٩٠،ج١،ص:٨٩، ضعفه الألباني.

[4] ظاهر كلام السلف في اللحية وجوب تركها، وممن صرح بذلك أبو عوانة رحمه الله في مسنده فقال: "بيان الطهارات التي تجب على الإنسان في بدنه من ذلك إيجاب جز الشوارب وإحفائها، وإيجاب إعفاء اللحية وإيجاب مخالفة المجوس والتشبه بأمورهم" مسند أبي عوانة: ١٦١/١

[5] النيسابوري : صحيح مسلم, ،كتاب اللباس والزينة ، باب في مخالفة اليهود بالصبغ،حديث رقم:٢٠١٣،ج١،ص:٥٥٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قد تقاس عليها بعض الأفعال الحادثة، فقد ذكر ابن تيمية: "فعقَّب الأمر بالوصف المشتق المناسب, وذلك دليل على أنّ مخالفة المجوس أمر مقصود للشارع، وهو العلة في هذا الحكم أو علة أخرى أو بعض علة، وإن كان الأظهر عند الإطلاق أنه علة تامة، ولهذا لما فهم السلف كراهة التشبه بالمجوس في هذا وغيره كرهوا أشياء غير منصوصة بعينها عن النبي صلى الله عليه وسلم من هدى المجوس, وذكر المروذي[1]: سألت أبا عبد الله – يعني أحمد بن حنبل رحمه الله – عن حلق القفا[2] فقال: هو من فعل المجوس, ومن تشبه بقوم فهو منهم"[3].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقدم مخالفة المشركين على مخالفة أهل الكتاب كما في ترجيل الشعر, فقد أخرج البخاري في صحيحه: من حديث **عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنهما: "أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَسْدِلُ[4] شَعْرَهُ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ[5] رُءُوسَهُمْ، وَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْدِلُونَ رُءُوسَهُمْ، وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَىْءٍ، ثُمَّ فَرَقَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم رَأْسَهُ"**[6], وهذا يدل على أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقدم مخالفة المشركين على مخالفة أهل الكتاب, لأنّه بالرغم من ضلال أهل الكتاب, فإن المشركين أبعد عن الحق وأضل منهم, وقد ذكر ابن حجر: "والأقرب إلى الصواب: أن الحالة التي تدور بين الأمرين لا ثالث لهما إذا لم ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم شيء كان يعمل فيه بموافقة أهل الكتاب, لأنهم أصحاب شرع, بخلاف عبدة الأوثان, فإنهم ليسوا على شريعة فلما أسلم المشركون انحصرت المخالفة في أهل الكتاب فأمر بمخالفتهم"[7].

كذلك ورد النهي عن التشبه بالكفار في عاداتهم الشخصية في المأكل والمشرب والملبس, فقد أخرج البخاري في صحيحه: من حديث **عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أبى لَيْلَى أَنَّهُمْ كَانُوا عِنْدَ حُذَيْفَةَ فَاسْتَسْقَى فَسَقَاهُ مَجُوسِيٌّ, فَلَمَّا وَضَعَ الْقَدَحَ فِى يَدِهِ رَمَاهُ بِهِ وَقَالَ: لَوْلاَ أَنِّى نَهَيْتُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلاَ مَرَّتَيْنِ, كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَمْ أَفْعَلْ هَذَا، وَلَكِنِّى سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم**

---

[1] هو: أحمد بن محمد بن الحجاج بن عبد الله المروذي، كان هو المقدم من أصحاب الإمام أحمد لورعه وفضله وكان يأنس به وينبسط إليه وهو الذي تولى إغماضه لما مات وغسله وقد روى عنه مسائل جمة، انظر: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد: ١٥٦/١.

[2] وهو مؤخر العنق، انظر: ولسان العرب: ١٩٢/١٥، والعين: ٢٢٢/٥، ومختار الصحاح: ٢٢٨/١، وحلق القفا قال عنه الإمام أحمد: "هو من فعل المجوس ومن تشبه بقوم فهو منهم"، الورع لابن حنبل: ١ /١٧٨

[3] الحراني:ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم: ١٧٨.

[4] يقال سدل شعره وأسدله إذا أرسله ولم يضم جوانبه، انظر: فتح الباري: ١٠ / ٣٦٢، "والسدل: الإرسال والفرق قسمة شعر الرأس في المفرق"، انظر: تنوير الحوالك، للسيوطي: ١ /٢٣٢

[5] الفرق تفريق الشعر بعضه من بعض وكشفه عن الجبين، انظر: فتح الباري: ١٠ / ٣٦٢

[6] البخاري: محمد بن إسماعيل :صحيح البخاري،كتاب المناقب، بَاب إِتْيَانِ اليَهُودِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَدِمَ المَدِينَةَ، حديث رقم: ٣٩٤٤، ج١،ص٥٣٧.

[7] انظر: فتح الباري ١٠ /٣٦٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يَقُولُ: "لاَ تَلْبَسُوا الحَرِيرَ وَلاَ الدِّيبَاجَ, وَلاَ تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَلاَ تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا, وَلَنَا فِي الآخِرَةِ"[1].

وهذا تعليل صريح من النبي صلى الله عليه وسلم بأن سبب النهي هو أن هذه الأشياء إنما يستخدمها الكفار في الدنيا, ومن كمال هذا الدين أن جعل للمسلم: البديل الأخروي، فله أن يستمتع بهذه الأشياء في الآخرة، واستمتاعه بها هنالك إنما هو نتيجة اجتنابه لها في الدنيا، والعلة الأساسية المنصوص عليها في الحديث: أنها من خصائص الكفار في الدنيا، فمن ترك التشبه بهم في الدنيا عوضه الله عن ذلك بالمتعة الحقيقية في الآخرة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

[1] البخاري: محمد بن إسماعيل :صحيح البخاري،كتاب الأطعمة، بَاب الأكل فِى إِنَاءِ مُفَضَّض، حديث رقم: ٥٤٢٦، ج١،ص:٧٧٤.

المبحث الثاني

مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين

لم يتخذ التشبه بالكفار بعد القرون المفضلة الأولى, وقبيل العصر الحديث مظهراً عاماً بارزاً لدى المسلمين, وذلك لقرب عهد السلف الصالح, ولظهور الدول الإسلامية بشكل عام على دول الكفر، مما يشكل أنفة من التشبه بالكفار لدى عامة المسلمين، وما كان في تلك العصور من مظاهر التشبه بالكفار بشكل عام كان مصطبغاً في قالب إسلامي، وإن كان لا يزال مظهراً من مظاهر التشبه بالكفار، كانتشار علم الكلام الذي اعتمد على الفلسفة الإغريقية, ثم صبغ بالصبغة الإسلامية, وإن كان لم يزل معلماً من معالم التشبه بالكافرين, وكذلك علم الفلسفة الذي دخل إلى بلاد المسلمين إبان الحكم العباسي, وكان لها أكبر الأثر في صياغة قواعد للوصول إلى العقائد تختلف عن الطرق الإسلامية الأصيلة مما أدخل إلى تصور العقيدة الإسلامية كثيراً من التخبط وعدم الوضوح، فباتت عقائد الناس في اضطراب واختلاف، وقد كان للشيعة والغلاة من الصوفية في نهاية القرون المفضلة وما بعدها أثر كبير في إدخال عقائد الأمم الكافرة, فقد كانت البدع عموماً من نتائج الاستمداد من المناهج الكفرية, والتي لا صلة لها بالكتاب والسنة, فمعظم البدع ضاربة أطنابها في جذور عقائد الأمم الغابرة ومناهجهم وأعمالهم.

ذكر ابن تيمية – بعد سياق قصة عمرو بن لحي الخزاعي- : "فقد تبين لك أنّ من أصل دروس دين الله وشرائعه, وظهور الكفر والمعاصي: التشبه بالكافرين[1], بل كل فرقة من الفرق الإسلامية الضالة, وجودها في حد ذاته هو شكل من أشكال التشبه باليهود والنصارى.

لقد ورد النهي عن الفرقة والتشرذم في صفوف الأمة المسلمة, فقد أخرج أحمد في مسنده: من حديث **مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً, وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً, يَعْنِي الْأَهْوَاءَ, كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ, وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ, كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ, لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ, وَاللَّهِ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَئِنْ لَمْ تَقُومُوا بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, لَغَيْرُكُمْ مِنَ النَّاسِ أَحْرَى أَنْ لَا يَقُومَ بِهِ"**[2], فافتراق أهل الأهواء من أمة الإسلام فيه مشابهة لافتراق

---

[1] انظر:الحراني:ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم، ص::١١٦.

[2] أحمد بن حنبل الشيباني: مسند أحمد ،حديث رقم : ١٦٩٧٩ ، تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن وحديث افتراق الأمنه منه صحيح بشواهده ج٤،ص،١٠٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أهل الكتابين, وكلّ ذلك يدل دلالة واضحة على خطورة البدع, وأنها سبب لافتراق الأمة, ومشابهة الأمم الكافرة.

ويؤيد ذلك قوله تعالى:﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلاً وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[1].

فالخوض في الشريعة بلا علم من مضاهاة الأمم السابقة التي نهينا عن التشبه بها, وبهذا تكون كل تلك البدع سواءً كانت مأخوذة من الكفار أو غيرهم من أنواع التشبه بالمشركين, والدخول في ذلك دخولاً كاملاً يوجب حبوط الأعمال في الدنيا والآخرة.

ذكر ابن كثير في تفسير قوله: "كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ": "وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا" أي: في الكذب والباطل, "أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ" أي: بطلت مساعيهم فلا ثواب لهم عليها لأنها فاسدة "فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" لأنهم لم يحصل لهم عليها ثواب, قال ابن جرير عن عمرو بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: "كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ" الآية, قال ابن عباس: ما أشبه الليلة بالبارحة "كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ" هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم لا أعلم إلا أنه قال: (والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم حجر ضب لدخلتموه) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع وباعاً بباع حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه, قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ أهل الكتاب, قال: فمن)[2] ، قال أبو هريرة: الخلاق: الدين "وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا" قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم؟ قال فهل الناس إلا هم؟ وهذا الحديث له شاهد في الصحيح"[3].

وقد ذكر المناوي صوراً عديدة لمظاهر هذا التشبه بالكفار: "فقد اتبع كثير من أمته سنن فارس في شيمهم ومراكبهم وملابسهم وإقامة شعارهم في الحروب وغيرها, وأهل الكتابين في

---

[1] [التوبة ٦٩]

[2] أخرجه البخاري في صحيحه: ١٢٧٤/٣، برقم: (٣٢٦٩)، وأخرجه مسلم في صحيحه: ٢٠٥٤/٤، برقم: (٢٦٦٩).

[3] انظر: القرشي :ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٣٥٢/٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

زخرفة المساجد, وتعظيم القبور, حتى كاد أن يعبدها العوام, وقبول الرشا, وإقامة الحدود على الضعفاء دون الأقوياء, وترك العمل يوم الجمعة والتسليم بالأصابع وعدم عيادة المريض يوم السبت, والسرور بخميس البيض, وأنّ الحائض لا تمس عجيناً ذلك مما هو أشنع وأبشع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم, مبالغة في الإتباع, فإذا اقتصروا في الذي ابتدعوه فستقتصرون, وإن بسطوا فستبسطوا, حتى لو بلغوا إلى غاية لبلغتموها, حتى كانت تقتل أنبياءها, فلما عصم الله رسوله قتلوا خلفاءه تحقيقاً لصدق الرسول صلى الله عليه وسلم"[1].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

[1] انظر: فيض القدير ٢٦١/٥.

المطلب الأول

مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث في الجانب الاعتقادي.

لقد خلق الله الخلق موحدين، فإنّ آدم كان موحداً، ولم يطرأ الشرك إلا بعد ذلك بقرون، وما ذلك إلا لكون الاعتقاد الصحيح إنما يؤخذ من الله, فإنّ الله أعرف بنفسه وما يجب له من خلقه، وما ضلت البشرية بعد ذلك إلا من مجافاتها لطريق الوحي الذي يجب أن تؤخذ منه العقيدة، وهذه قصة نسيان التوحيد، يقول ابن عباس: "**كان بين نوح وآدم عشرة قرون, كلهم على شريعة من الحق, فاختلفوا, فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين**"[1]، فمنهم من أخذ معتقده عن طريق الابتداع, ومنهم من أخذ معتقده عن طريق التشبه بغيره من المبتدعة، ففي تفسير أول شرك حصل في البشرية وهو عبادة قوم نوح لود وسواع ويغوث ويعوق ونسراً.

ذكر الطبري: "كانوا قوماً صالحين من بني آدم, وكان لهم أتباع يقتدون بهم, فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يُسقَوْن المطر فعبدوهم"[2].

وسأقتصر في هذا المطلب على إدراج مثال يبين جانب التشبه بالكفار في الاعتقاد, وما ترك من آثار سلبية في الحياة الإسلامية، والتي منها الفلسفة كمظهر من مظاهر التشبه بالكفار في الجانب الاعتقادي والتي سببت الانحراف لدى المسلمين في الجانب الاعتقادي في العصر الحديث، وأخص منها المظاهر التي تقوم على التشبه بالكفار, دون المظاهر التي تقوم على جانب الابتداع المحض، وإن كان هذا قليل جداً بالنسبة لسابقه, وذلك لكثرة تأثر مبتدعة هذه الأمة بغيرهم من الأمم, بسبب الداخلين في الإسلام من أهل الملل الأخرى، ممن علق لديهم بعض بقايا اعتقاداتهم السابقة[3].

أولاً:- الفلسفة، أصولها وآثارها في العصر الحديث[4].

إنّ المتأمل البصير يجد أنّ الفلسفة قد جاءت في بعض نظرياتها بما يخالف الشرع, مما جعل الكثير من أئمة الإسلام يقفون منها موقفاً معادياً، فقواعدها وأحكامها بعيدة عن منهج القرآن والسنة النبوية, ومن تلك النتائج التي توصل إليها الفلاسفة ما ذكره ابن القيم:

---

[1] الطبري :محمد بن جرير ، جامع البيان في تأويل القرآن: ٢ج ،ص: ٣٣٤.
[2] **الطبري :محمد بن جرير ، جامع البيان في تأويل القرآن** :ج١٢،ص:٢٣٥.
[3] بارقعان : أبو يحيى أشرف بن عبد الحميد بن محمد ، مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين ص٨٨١-٨٣٨.
[4] - بارقعان: أبو يحيى أشرف بن عبد الحميد بن محمد ، مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين ص٨٣-١٠١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

"وقد علمتم الاعتراضات التي اعترض بها أهل الفلسفة على كونه خالقاً للعالم في ستة أيام، وعلى كونه يقيم الناس من قبورهم، ويبعثهم إلى دار السعادة أو الشقاء، ويبدل هذا العالم ويأتي بغيره"[1].

وذكر أبو حيان[2]:

وكانوا إذا سمعوا بوحي الله تعالى دفعوه وصغروا علم الأنبياء بالنسبة إلى علمهم"[3]، ومنهم من شرط شروطاً حاسمة للنظر في هذا العلم فقال: صاحب كشف الظنون: "تنبيه: اعلم أنّ النظر والمطالعة في علوم الفلسفة يحل بشرطين، أحدهما: أن لا يكون خالي الذهن عن العقائد الإسلامية، بل يكون قوياً في دينه راسخاً على الشريعة الشريفة، والثاني: أن لا يتجاوز مسائلهم المخالفة للشريعة، وإن تجاوز فإنما يطالعها للرد لا غير، هذا إن ساعده الذهن والسن والوقت وسامحه الدهر عما يفضيه إلى الحرمان، وإن لا فعليه أن يقتصر على الأهم وهو قدر ما يحتاج إليه فيما يتقرب به إلى الله تعالى، وما لا بد منه في المبدأ والمعاد والمعاملات والعبادات والأخلاق والعادات"[4]،فشرط أن يكون متسلحاً بالعقيدة الصحيحة قبل أن يخوض في فلسفات القوم، وأن لا يدخل نفسه فيما لا ينفع من علومهم إلا للرد عليه.

ولذلك لم يأخذ بتلك النظريات المخالفة للدين من المسلمين إلا أهل الفرق المنحرفة من المتكلمين والفلاسفة، فجاءت ردود علماء الإسلام عليهم ردوداً واضحة تجلو الغبار عن منهجهم الضال لتبين موقف الإسلام الصحيح من كل فكر دخيل يعارض قيم الإسلام وعقائده وأصوله[5].

ومع ذلك يرى بعض الباحثين أن الفلاسفة المسلمين تخيروا من الفلسفة ما يتناسب مع حقائق الدين فيقول: "تهيأ للمسلمين حظ موفور من معرفة أكثر المذاهب الفلسفية التي ذهب إليها فلاسفة اليونان، فاستنبطوا منها ما ينسجم مع الدين الإسلامي ويوافق الشريعة الإسلامية"[6]، وليس هذا بصحيح فلو كان الأمر كذلك لما أدى إلى الانشقاق والتفرق في الدين

---

[1] شفاء العليل: ١ /٢١٧

[2] هو: أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، ت: (٧٤٥)، انظر: كشف الظنون: ١١٠٧/٢.

[3] أقاويل الثقات:١١١/١، ولذلك كانوا يقولون ببدع كثيرة لم يسبقهم إليها أحد في الإسلام، قال محمد بن عمر بن الحسين الرازي في كتابه اعتقادات فرق المسلمين والمشركين وهو يختصر بعض المعتقدات التي توصل إليها الفلاسفة بناءً على مذهبهم: "مذهبهم أن العالم قديم وعلته مؤثرة بالإيجاب وليست فاعله بالاختيار وأكثرهم ينكرون علم الله تعالى وينكرون حشر الأجساد"، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ١ /٩١

[4] كشف الظنون لمصطفى الحنفي:ج ١ ،ص: ٤٧ .الشاملة٣١.

[5] انظر: ما كتبه شيخ الإسلام في التدمرية: ص: (١٧) وغيرها، وكتابه: بيان تلبيس الجهمية، ومنهاج السنة، وكتب تلميذه ابن القيم: مثل: نونية ابن القيم، وشفاء العليل، وغيرها، ولم أنقل ذم الكلام من كتبهما؛ لشهرة ذلك عنهما، وشهرة هذين الشيخين بنقض القضايا الكلامية.

[6] لاسفة من الشرق والغرب، لمصطفى غالب: ص: (١٠)، كما جاء رأي صديق القنوجي مشابهاً لرأي هذا الكاتب فقال: "فإنك تسمعهم يقولون بتحريم المنطق مع كونه ميزان العلوم وتحريم الفلسفة مع أنها عبارة عن معرفة حقائق الأشياء وليس فيها ما ينافي الشرع المسائل اليسيرة" أبجد العلوم: ١٠٦/١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما هو الحاصل بين الفلاسفة والعلماء من أهل السنة والجماعة[1]، ولو قُـال الكاتـب إنهـم استنبطوا منها ما ظنوه منسجماً مع الدين لربما كان مصيباً، وحينئذ نقول: إنهم ظنوا وأخطؤوا الظن، وكان الأولى بهم أن يستنبطوا من نصوص الشرع ما يفيدهم في دينهم ودنياهم، فـإن أبوا إلا الفلسفة فليستدلوا بها على نصوص الشرع ويجعلوه الأساس الذي من أجلـه تـؤول العقليات الظنية لا العكس، وأما القطعيات فلا تعارض بينها وبين الدين، فإن تُوُهِّمَ ذلك فليُتهم العقل.

ولما جاءت الفلسفة بما يعارض الدين الصحيح كان ذلك من أسباب رفضها حتى عنـد بعض أصحاب الأديان السماوية السابقة أيضاً.

جاء في أبجد العلوم:

"وكانت الفلسفة ظاهرة في اليونانيين والروم قبل شريعة المسيح عليـه الـسلام، فلمـا تنصرت الروم منعوا منها واحرقوا بعضها وخزنوا البعض؛ إذ كانت بضد الشرائع، ثـم إن الروم عادت إلى مذهب الفلاسفة"[2].

ذكر ابن تيمية:

"ولهذا لما ورد ناموس عيسى بن مريم عليه السلام على الروم انتقلـوا عـن الفلـسفة اليونانية إلى دين المسيح"[3]، فإذا كان حال الأمم السابقة من النصارى الذين آمنـوا بالإنجيـل الذي جاء به عيسى عليه السلام وصدقوا به: أنهم تركوا الفلسفات اليونانيـة؛ ومـا ذلـك إلا لعلمهم بأنها تخالف الأديان والعقائد السماوية المشتملة على الأخبار الصادقة التي لا مرية فيها ولا تحير, ذلك بأنها ثقافات بشرية متحررة من ربقة الشرائع السليمة التي لا تحريف فيهـا، ولذلك لما حرف النصارى دينهم وأدخلوا فيه الأكاذيب والأباطيـل المفتـراة علـى الله رب العالمين وعلى رسوله عيسى عليه السلام عادوا إلى تلك الثقافات الضحلة مـرة أخـرى لأن الدين المحرف يرحب بكل ما هو مخالف لشرع الله القويم وصراطه المستقيم.

كما أنّ الفلسفة قد ساهمت مساهمة فعالة في إشعال الجدل والخصومات بين المـسلمين وتشتتهم إلى فرق وأحزاب[4].

أقسام الفلسفة في نطاقها المكاني

لقد قسّم بعض الباحثين الفلسفة إلى قسمين:

---

[1] مع أن شيخ الإسلام أثبت جمعهم بين المتناقضات والممتنعات، انظر: التدمرية، ص: (٣٦)، وليس في دين الله أي تناقض فلو أخذ هؤلاء من المنهج الفلسفي ما يوافق الدين _ على حد قول الكاتب _ لما وقعوا في التناقض، ولما أدى ذلك إلى التفرق بين المسلمين بسبب تلك المقدمات والنتائج الفلسفية التي تنافي بعض المسلمات الشرعية.

[2] أبجد العلوم: ج٢،ص:٢٥٢، وانظر: الفهرست: ج١،ص:٣٣٩.

[3] منهاج السنة النبوية: ج١،ص: ٣١٧.

[4] انظر: مجلة البيان: ٧٤/ ١٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١. **الفلسفة الغربية القديمة:** وهي جذور الفلسفة الغربية المتأخرة فمعتقدات الغرب المتعلقة بما وراء الطبيعة والعلم والمنطق والأخلاق في العصر الحديث هي تبع لرواد الفلسفة القديمة، وكان من روادها سقراط وأفلاطون وأرسطو.

٢. **الفلسفة الشرقية (الهندية، والصينية):** فالفلسفة الهندية والتي تسمى (دَرْشانا) لها علاقة بتفاسير كتبهم المقدسة، والهدف الرئيسي منها: هو التحرر من العذاب والتوتر الناتجين عن البدن والحواس والكف عن التشبث بالدنيا وما فيها، كما اشتهر الفكر الكونفوشي المأخوذ عن الفيلسوف كونفوشيوس (في الصين)، في القرن السادس ق.م [1]، ومن ذلك نلاحظ أنّ القسمين وخاصة ما يتعلق منهما بما وراء الطبيعة وصفات الخالق بعيدان عن مصادر الدين الإسلامي، كما أن كثيراً من مباحث الفلسفة داخلة في ما هو من العقائد الغيبية التي لا يمكن لأحد أن يخبر عنها خبراً يقيناً إلا الله عز وجل، ولم يترك لنا الله عز وجل أمراً من الأمور الغيبية إلا وحدثنا عنه في كتابٍ جعله تبياناً لكل شيء فما هي الحاجة لأخذ العقيدة من مثل هذه العلوم القادمة من عند الكفار؟ ولذلك فقد بات من المجمع عليه تقريباً بين الباحثين أنّ الفلسفة علم دخيل على المسلمين من الأمم السابقة، وطريقة في التفكير والتوصل إلى الحقائق لم تُعهد ولم يأت بها نبي من الأنبياء، بل هي مما أخذ عن الكفار لغير مصلحة معتبرة شرعاً، وقد نهينا عن التشبه بهم.

ولكن مع أن هذا العلم من العلوم المستوردة من الكفار نجد من المسلمين من ولج فيه، وأخذ يستقي منه بعض العقائد، وأعرض عن كثير من نصوص الوحي، كما فعلت جموع من الفلاسفة في القرون الوسطى، ولا زالت العقائد المبنية على قواعد الفلسفة اليونانية تتوالى لتضرب في صميم وحدة الأمة، ونرى من الكتاب والمفكرين المعاصرين من يتأثر بهذا المنهج السقيم، يريد بذلك أن يصوغ منه فكراً اعتقادياً سليماً حراً معارضاً بذلك نصوص الوحي، ومتشبهاً بأعداء الملة والدين من الكفار الملحدين الضالين التائهين، فيتشبه بهم في حيرتهم وهم يهيمون على وجوههم، ليبحثوا عن العقيدة الصحيحة في إلههم وخالقهم، ظناً منهم أنهم لن يجدوها نقية خالصة إلا في أوحال الفلسفة الإغريقية، بعيداً عن القرآن والسنة، ثم تتم المعالجة لتلك النصوص الثابتة الصريحة من القرآن بالتأويل، ومن السنة بالرد والتعطيل، كل هذا من تبعات الاتجاه الفلسفي، علمه من علمه وجهله من جهله أو تجاهله.

---

[1] انظر: الموسوعة العربية العالمية، وهي ترجمة بتصرف عن: دائرة المعارف العالمية ، ١٧/٤٤٤-٤٤٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانياً:- دعوى التقارب بين الأديان.

لقد كانت دعوى التقارب بين الأديان تصدر عن أقوام لا يدينون بدين الإسلام, ثمّ لم تلبث أن تجد رواجاً لدى فئة من المسلمين، وقد تجددت الدعوة إلى وحدة الأديان[1] والتقارب بينها في السنوات الأخيرة, وقد اتخذت هذه الدعوى صورا وأشكالا متعددة, وتحت مسميات متعددة من أهمها[2]:

١. **الدعوة إلى إقامة (صلاة روح القدس)**: وهي الصلاة المشتركة التي دعا إلى إقامتها البابا بولس في قرية (أسيس) بإيطاليا في يوم ١٩٨٦/١٠/٢٧م، واشترك فيها عدد من المسلمين إلى جانب اليهود والنصارى.

٢. **الدعوة إلى عقد حوار (الوحدة الإبراهيمية)**: وهو المؤتمر الذي دعا إلى عقده بمدينة قرطبة بإسبانيا (روجيه جارودي)، الفيلسوف الفرنسي المسلم، وذلك بمناسبة افتتاح المعهد الذي أسسه (جارودي) لهذا الغرض، وسماه: (معهد قرطبة لوحدة الأديان)، ويهدف المعهد إلى نشر تعاليم ونتائج الثقافات للأديان الثلاثة: اليهودية والنصرانية والإسلام, وقد حضر هذا اللقاء عدد من المسلمين، وهم: روجيه جارودي، وعبد الهادي بو طالب، المدير العالم لمنظمة الإيسيسكو، ومختار أمبو، الأمين العالم لليونسكو، والبروفسور عبد السلام، وهو قادياني يحمل جائزة نوبل للفيزياء، وبدر الدين أغاخان، وهو إسماعيلي.

٣. **تأسيس جماعة: (مؤمنون متحدون)**: وهي جماعة تسعى لإذابة الفوارق الدينية ومسخ الشخصيات، وتدعو إلى صلاة مشتركة تسمى: (صلاة روح القدس)، يمارسها كل المؤمنين بالله مهما كانت ديانتهم، كما يضعون نشيداً واحداً يردده الجميع.

٤. **كما ظهر من يقول بأنّ الجنة ليست حكرا على المسلمين الموحدين, وأنّ الدين المنجي عند الله ليس الإسلام وحده.**

ويلاحظ على هذه الدعوى في مضمونها وشكلها تدرج للتشبه بالكفار, وجري على سننهم وطرائقهم, وهذا الميل واضح الوجهة, فهو يميل إلى جانب الديانة النصرانية أكثر من غيرها، وهذا يُحدث خللاً في العقيدة الإسلامية، وأنّ التشبه بالكفار سيوصل إلى تصحيح

---

[1] وتعتبر قضية (وحدة الأديان) من تيارات العولمة في العصر الحديث، وأحد روافدها، وتختص بجانب عولمة الفكر، والعولمة: دعوة جديدة لإزالة مفهوم (الأمة) و(الدولة) وإلغاء الحدود بين (دار الإسلام) و(دار الكفر) وجمع الكفار والمسلمين تحت مفاهيم واحدة ورابة واحدة تقودها العلمانية والعالمية لإطلاق الحريات، تحت شعارات حقوق الإنسان على الطريقة الغربية، ونشر الإباحية، وتثبيت جوهر المدنية الغربية، تحت شعار: (وحدة الأديان) أو (السلام العالمي)، وهذه دعاوى الصليبية واليهودية، والإسلام يقاومها ويعارضها، ولا يقبل منها شيئاً، انظر: العولمة وخصائص دار الإسلام ودار الكفر، دراسة فقهية مقارنة، د. عابد بن محمد السفياني، ص: (١٦١).

[2] انظر: مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين, مرجع سابق, ج:١, ص: ٦٣-٦٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أديانهم يوماً ما، وهذا كفر بالإسلام. فإن الله عز وجل ذكر في كتابه تكفير النصارى الذين ادعوا له البنوة أو التعدد, فقال تعالى:

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[1] وقال تعالى:﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[2].

كما ذكر كفر اليهود وأنهم ملعونين فقال تعالى :

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[3] ،

كما أخبر عنهم أنهم ادعوا لله الابن، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، قال تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[4], وأخبر عنهم أنهم افتروا على الله الكذب ووصفوه بالنقائص تجرأ عليه، نسأل الله السلامة والعافية، كما وصفهم في نفس الآية بأنهم يؤججون الحروب والفتن في الأرض, فقال تعالى:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا

---

[1] [المائدة١٧:].
[2] [المائدة:٧٣] .
[3] [المائدة:٧٨].
[4] [التوبة:٣٠].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1].

وبيَّن أنّ من طبيعتهم قتل الأنبياء، وتكذيبهم، فقال تعالى:﴿

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾[2]. وقال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾[3]، وحذرنا من مكرهم فقال تعالى:﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾[4].

فبحجة التقريب بين الأديان رأوا إزالة الفوارق بين الأديان, والله تعالى يقرر ويدعونا أن نقول لهم إن أرادوا ذلك: تعالوا جميعاً لنوحد الله التوحيد الصحيح, قال تعالى:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[5].

فإن تولوا وظلوا على كفرهم، فقولوا لهم: نحن مسلمون، ومفهوم ذلك أنكم يا من تركتم التوحيد الخالص إلى الشرك: كافرون بعيدون كل البعد عن الله، ثمّ إنّ ولاية اليهود والنصارى تسلخ المسلم من دينه, وعندها يصير المسلم واحداً منهم, قال تعالى:﴿

---

[1] [المائدة:٦٤] .
[2] [المائدة:٧٠].
[3] [الصف:٦].
[4] [المائدة: ٨٢].
[5] [آل عمران:٦٤].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، وماذا يريد أعداء الله من المسلمين أكثر من الدخول في مللهم المنحرفة، قال تعالى:﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ ﴾[2]، وقال تعالى:﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١٢٠ ﴾[3].

وخلاصة القول: أنّ هدى الله هو الهدى, وما دونه فضلال وزيف, والإسلام هو دين الله الناسخ لكلّ الأديان السابقة، ومن اتبع ديناً غير الإسلام فقد ضلّ وغوى, ومن اتبع أهواءهم بعد ما جاءته البينات، فهو بعيد عن ولاية الله ونصرته، ولن تنفعه موالاته للكفار, أو قربه منهم.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

[1] [المائدة:٥١].
[2] [النساء: ٨٩].
[3] [البقرة:١٢٠].

المطلب الثاني

مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث في العبادات.

عندما أرسل الله الرسل يأمرون الناس بعبادته وحده لا شريك له، أوحى إليهم بالشرائع التي تعبَّد الناسَ بها والتي رضيها لعباده، فعصيان الله فيما أمر به هو مما يغضبه، كما أنّ فعل ما نهاهم عنه هو مما يسخطه جلّ وعلا، كل ذلك من باب النقص والتقصير في حق هذه الشرائع، والزيادة على تلك الشرائع هو من الافتيات على الله جل وعلا فيما شرعه لعباده، فالله أعلم بما يصلح لعباده، ولو كانت هذه الزيادة خيراً لكانت شريعة الله المنزلة أولى بها, وسأقتصر في هذا المطلب على بيان مظهر خطير من مظاهر التشبه بالكفار في الجانب التعبدي والذي ترك آثاره السلبية على الحياة الواقعية للمسلمين عبر تاريخه الطويل, والذي ما زال مشاهداً في حياتنا المعاصرة.

أولاً:- الرهبانية وغلاة الصوفية في العصر الحديث.

لما جاء عباد النصارى بالرهبانية[1] المبتدعة من عند أنفسهم ذمهم الله تعالى في كتابه الكريم حيث قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[2][3].

ذكر ابن كثير:

"وهذا ذم لهم من وجهين: أحدهما الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله, والثاني في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنّه قربة يقربهم إلى الله عز وجل"[4]، ولم تكن الرهبانية مقبولة لدى جميع النصارى, فإنّ منهم لم يقبلها ووجد فيها خروجاً عن تعاليم المسيح.

والنصارى قد عرف عنهم الغلو ليس في العبادات فحسب، بل في العقيدة كذلك فقد نهاهم الله عن الاستمرار في الغلو في عيسى عليه السلام وإطرائه، فقال تعالى على لسان نبيه عليه السلام:

---

[1] قال القرطبي: "والرهبانية والترهب التعبد في صومعة قال أبو عبيد قد يكون رهبان للواحد والجمع قال الفراء ويجمع رهبان إذا كان للفرد رهابنة, ورهابين كقربان وقرابين"، تفسير القرطبي:ج ٦،ص: ٢٥٨.

[2] [الحديد: ٢٧].

[3] - بارقعان: أبو يحيى أشرف بن عبد الحميد بن محمد ، مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين ص ٢٧٨-٣٠٣.

[4] القرشي :ابن كثير: إسماعيل بن عمر, تفسير القرآن العظيم: ج٤، ص: ٣١٦.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١ ﴾[1].

ولما نبتت نابتة الرهبنة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو أول من نهى عنها، فقد أخرج البخاري في صحيحه: من حديث أنس بن مالك قال: **"جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا, وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ, وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا, فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: "أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا, أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ, وَأَتْقَاكُمْ لَهُ, لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ, وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ, وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ, فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"**[2].

فبيّن الرسول صلى الله عليه وسلم أنّ الخشية لله هي لزوم طريق النبي, وعدم الزيادة على ما شرعه الله تبارك وتعالى، وأنّ الزيادة هي انحراف عن السنة, ولقد حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلو في الدين والزيادة فيه في عدد من الأحاديث، من ذلك قوله: **"لا رهبانية في الإسلام"**[3]، وأخرج ابن ماجه أيضاً في سننه: من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم غداة العقبة وهو على ناقته: **" الْقُطْ لِي حَصًى, فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ, فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّهِ وَيَقُولُ: أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ فَارْمُوا, ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ, فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ"**[4].

---

[1] [النساء:١٧١].

[2] البخاري: محمد بن إسماعيل صحيح البخاري ،كتاب النكاح ، باب التَّرْغِيبُ فى النِّكَاحِ رقم: ٥٠٦٣،ج١،ص:٧٢٥.

[3] شرح السنة للبغوي: ج٢،ص:٣٧١ لا رهبانية في الإسلام . قال ابن حجر لم أره بهذا اللفظ (٢) لكن في حديث سعد بن أبي وقاص عند البيهقي أن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة. (العجلوني،إسماعيل بن محمد الجراحي ،كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ،دار إحياء التراث العربي ،ج٢،ص:٣٧٧).

[4] القزويني : ابن ماجه : سنن ابن ماجة, , كتاب المناسك, باب قدر حصى الرمي, ج: ٢, ص: ١٠٠٨, حديث رقم: ٣٠٢٩, قال الألباني: حديث صحيح, صحيح ابن ماجه, ج: ٢, ص: ١٧٧, حديث رقم: ٢٤٥٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والغلو هو مجاوزة للحد, وزيادة على حدّ الشرع القويم, فشريعةُ الإسلام هي الوسط, فلا إفراط ولا تفريط, وقد ظهر بعد ذلك طائفة اتخذت الزهد والتقشف شعاراً لها، وأطلق عليها الصوفية، ويظهر من اسم الصوفية علاقتها بالزهد ولبس الصوف، ويبدو للمتأمل في أفعال الغلاة من الصوفية أنّ المصدر الأصيل لكثير من ممارساتهم هو رهبانية النصارى.

ذكر ابن تيمية:

كما أنّ كثيراً من زهاد الصوفية يشبه النصارى, ويسلك في زهده وعبادته من الشرك والرهبانية ما يشبه سلوك النصارى, ولهذا أمرنا الله تعالى أن نقول في صلاتنا اهدنا الصراط المستقيم[1], إذاً فغلاة التصوف اتخذوا مساراً خارجاً عن مسار الزهد الذي أمر به الإسلام إلى مسار يشبه الرهبانية لدى النصارى, وقد تنوعت تلك المظاهر التي استقاها غلاة الصوفية من الرهبانية النصرانية ومن الأديان الأخرى, وقد نهى الشرع الحنيف عن التشدد والمغالاة حتى في التعبد الذي فيه تضييق على النفس, فإنّها من سجايا النصارى وطرقهم, فقد أخرج أبو داود في سننه: من حديث **سَهْلَ بْنَ أَبِي أُمَامَةَ, حَدَّثَهُ أَنَّهُ دَخَلَ هُوَ وَأَبُوهُ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بِالْمَدِينَةِ فِي زَمَانِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ, فَإِذَا هُوَ يُصَلِّي صَلَاةً خَفِيفَةً دَقِيقَةً كَأَنَّهَا صَلَاةُ مُسَافِرٍ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا, فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ أَبِي: يَرْحَمُكَ اللَّهُ, أَرَأَيْتَ هَذِهِ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ أَوْ شَيْءٌ تَنَفَّلْتَهُ؟, قَالَ: إِنَّهَا الْمَكْتُوبَةُ, وَإِنَّهَا لَصَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَا أَخْطَأْتُ إِلَّا شَيْئًا سَهَوْتُ عَنْهُ, فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ : لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ, فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ, فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾**[2] الحديد: ٢٧.

ثانياً:- آثار المغالاة والانحراف عن منهج الإسلام القويم.

إنّ الرهبانية وما يقابلها في العالم الإسلامي من المغالاة في التصوف يعد مظهرا سلبيا يعبر عن حالة الانحراف عن منهج الإسلام الأصيل، وهذا الانحراف له آثاره الخطيرة في الحياة الإسلامية والتي يمكن بيان أبرزها على النحو الآتي:-

---

[1] انظر: مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين ،ص:٢٨٠.

[2] السجستاني، أبو داود : سنن أبي داود ، كتاب الأدب، باب في الحَسَدِ،حديث رقم:٤٩٠٤،ج١،ص:٧٩٨, قال الألباني: صحيح بمجموع شواهده, وقال حسين سليم أسد: حسن.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١. التعبد بما لم يشرع الله.

لا يكفي كون العمل خالصاً لله، بل لا بدّ أن يكون صواباً, وفق ما أمر الله عزّ وجلّ وعن طريق ما شرع, وعلى هدي نبيه صلى الله عليه وسلم, قال تعالى:﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[1]،

ذكر ابن كثير

"وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما, أي يكون خالصاً صواباً والخالص: أن يكون لله والصواب: أن يكون متابعاً للشريعة, فيصح ظاهره بالمتابعة, وباطنه بالإخلاص, فمتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد, فمتى فقد الإخلاص كان منافقاً وهم الذين يراءون الناس, ومن فقد المتابعة كان ضالا جاهلاً, ومتى جمعهما كان عمل المؤمنين"[2].

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ غلاة المتصوفة جاءوا بعبادات مستحدثة ما أنزل الله بها من سلطان، وبدأ الانحراف يسيراً، ثمّ لم يلبث أن اتسعت الهوة, وعظم بذلك البعد من غلاة المتصوفة عن الشريعة, فقد ظهرت القصائد الدينية في الزهد بداية، حيث اتخذها الغلاة طريقاً لترقيق القلوب، ثمّ لم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تعدّى ذلك إلى ذكر الله بالرقص والدف والغناء والقفز في الهواء, إلى غير ذلك من الأفعال التي لم يرد فيها دليل من كتاب أو سنة, وتعبد الصوفية لله عزّ وجلّ بالغناء والرقص والطبول يشبه تعبد المشركين (مشركي العرب) لله بالمكاء والتصدية[3]، فكلاهما بغير دليل ولا برهان وكلاهما مما تجره الشهوات الضالة على بني آدم، لما فيه من الطرب المحرم، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾[4].

---

[1] سورة: (الكهف: من الآية ١١٠).
[2] القرشي :ابن كثير: إسماعيل بن عمر, تفسير القرآن العظيم: ٥٦٠/١.
[3] والمكاء هو: الصفير، والتصدية هي: التصفيق، انظر: تفسير ابن كثير: ج٢،ص:٣٠٧.
[4] [الأنفال: ٣٥].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ذكر ابن تيمية: معلقاً على قوله سبحانه وتعالى عن الضالين: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾[1].

أنّ كثيراً من طوائف المسلمين قد مارست الرهبانية المبتدعة, كما هو حال الضالين, حيث تجد عامة دينهم إنما يقوم بالأصوات المطربة والصور الجميلة، فاهتمامهم بتلحين الأصوات أكثر من اهتمامهم بأمر دينهم ، وكثيراً من طوائف هذه الأمة قد اتخذت السماع المطرب، وهذا فيه مضاهاة وتشبه لبعض أحوال الضالين[2].

٢. معرفة الحلال والحرام بغير ضوابط الشرع كالرؤى.

فالأحكام لا تؤخذ من المنامات, ولا تقوم بها حجة, وإنما يكون الحكم من مصادر التشريع التي أقرها الله عزّ وجلّ, وجاءت على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم, وهذه الأحكام لا بدّ لها من ضوابط شرعية تحكمها, فلا يطلق الحبل على الغارب.

ذكر الشاطبي:

"وأضعف هؤلاء احتجاجاً قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المنامات، وأقبلوا وأعرضوا بسببها: فيقولون: رأينا فلاناً الرجل الصالح، فقال لنا: اتركوا كذا، واعملوا كذا. ويتفق مثل هذا كثيراً للمترسمين برسم التصوف، وحكى الغزالي عن بعض الأئمة: أنه أفتى بوجوب قتل رجل يقول بخلق القرآن، فروجع فيه، فاستدل بأن رجلاً رأى في منامه إبليس قد اجتاز بباب المدينة ولم يدخلها، فقيل: هل دخلتها؟ فقال: أغناني عن دخولها رجل يقول بخلق القرآن، فقام ذلك الرجل، فقال: لو أفتى إبليس بوجوب قتلي في اليقظة، هل تقلدونه في فتواه؟ فقالوا: لا, قال: فقوله في المنام لا يزيد على قوله في اليقظة, وربما قال بعضهم: رأيت النبي (في النوم، فقال لي كذا، وأمرني بكذا، فيعمل بها، ويترك بها، معرضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة"، وبين الشاطبي: خطأ هذه الطائفة وبين سبب ذلك فقال: "وهو خطأ؛ لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعاً على حال إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية، فإن سوغتها عمل بمقتضاها، وإلا وجب تركها والإعراض عنها، وإنما فائدتها البشارة والنذارة خاصة وأما استفادة الأحكام، فلا، وأما الرؤيا التي يخبر فيها رسول الله (الرائي بالحكم، فلا بد من النظر فيها أيضاً، لأنها إذا أخبر بحكم موافق لشريعته، فالعمل بما استقر, وإن أخبر بمخالف، فمحال، لأنه عليه السلام لا ينسخ بعد موته شريعته المستقرة في حياته، لأن الدين لا يتوقف استقراره بعد موته على حصول المرائي المنامية، لأن ذلك

---

[1] [الحديد، ٢٧].

[2] انظر: الحراني:ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم: ٩٠/١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

باطل بالإجماع، فمن رأى شيئاً من ذلك، فلا عمل عليه، وعند ذلك نقول: إن رؤياه غير صحيحة، إذ لو رآه حقاً، لم يخبره بما يخالف الشرع"[1].

إنّ الاعتماد الباطل على المنامات ما هو إلا تشبها بأهل الكتاب كما جاء في كتبهم, فقد ذكر القرطبي: أنّ معظم اعتماد أهل الكتاب في أمور دياناتهم إنّما هو الإنجيل، ونقله غير متواتر لا سيما والأحداث عندهم في أكثر الأحيان بمنامات يدعونها، يجعلونها أصولاً يعولون عليها[2].

ثانيا:- الأعياد المكانية.

ويقصد بالعيد إذا جعل اسماً للمكان: أي المكان الذي يقصد الاجتماع فيه وإتيانه للعبادة عنده أو لغير العبادة, كما أنّ المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة جعلها الله عيداً مثابة للناس يجتمعون فيها وينتابونها للدعاء والذكر والنسك, وكان للمشركين أمكنة ينتابونها للاجتماع عندها, فلما جاء الإسلام محا الله ذلك كله[3].

إنّ الله عزّ وجلّ جعل لبعض الأمكنة من المزايا ما لم يجعله لغيره من الأمكنة، كما هو معلوم من فضل مكة والمدينة وبيت المقدس، فقد أخرج البخاري في صحيحه: من حديث **أبى هُرَيْرَةَ رضى الله عنه, عَنِ النَّبىِّ صلى الله عليه وسلم قالَ: "لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إلاَّ إلى ثلاَثَةِ مَسَاجِدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم, وَمَسْجِدِ الأقْصَى"[4]**، وندب إلى تكرار الحج والعمرة إلى مكة، فصارت من الأعياد المكانية التي يسن للمسلم أن يعتاد مجيئها وقصدها، وكل ما يقصد في الحج من الأمكنة هو من الأعياد المكانية المشروعة، كما قال عز وجل:﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ ﴾[5]، فجعل الصفا والمروة من شعائر الله التي يجوز للمسلمين أن يسافروا وفي نيتهم أن يسعوا بينهما، فتعظيم هذه الأعياد المكانية يعتبر من تقوى القلوب ومما يؤجر عليه الإنسان, لأنه مما شرعه الله وجعله من الشعائر الدينية التي تعبدنا بها، فتعظيم الأعياد المكانية الشرعية من تقديس الدين.

---

[1] المرجع السابق ،ص:٢٩٩-٣٠٠.
[2] انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام تأليف الإمام القرطبي: ٢٤٦/٢.
[3] انظر: الحراني:ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم: ٣٢٥/١.
[4]: محمد بن إسماعيل البخاري صحيح البخاري ،كتاب فضل الصلاة ، باب فَضْلِ الصَّلاَةِ فِى مَسْجِدِ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ ،حديث رقم: ١١٨٩ ،ج١،ص:١٦٠.
[5] [البقرة: ١٥٨].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فإذا كانت الأعياد المكانية التي هي من دين الإسلام تُعد تعظيماً للدين, فإنّ الأعياد التي لها انتماءات أخرى هي تعظيم لتلك الانتماءات، سواء كانت دينية أو قومية أو غير ذلك.

ولذلك جاء نهى رسول الله عن اتخاذ بعض الأماكن أعياداً ولو كانت لها خصيصة شرعية، حتى لا تقاس على تلك الأعياد الشرعية، فقد أخرج أبو داود في سننه: من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا وَلاَ تَجْعَلُوا قَبْرِى عِيدًا وَصَلُّوا عَلَىَّ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِى حَيْثُ كُنْتُمْ"**[1]، ولذلك فقد اتفق العلماء على عدم جواز إتيان القبور من أجل الدعاء عندها، ولقد علل العلماء هذا النهي بما في ذلك من مشابهة الكفار بالصلاة عند القبور[2].

ومما يدخل في اتخاذ القبر عيداً شد الرحال إليه، يقول الشيخ صالح السدلان: "شد الرحل لزيارة قبره صلى الله عليه وسلم غير مشروع ولا مأمور به, وجميع الأحاديث المرغبة في ذلك ثبت وضعها وكذبها واختلاقها, وبمثلها لا يجوز إثبات حكم شرعي باتفاق علماء الإسلام سلفاً وخلفاً"[3].

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ طلب الصحابة أن تكون لهم شجرة كشجرة ذات أنواط التي كان يتخذها المشركون قد جوبه بالرفض المطلق من رسول الله صلى الله عليه وسلم, وذلك نهياً من النبي صلى الله عليه وسلم عن مشابهة أفعال المشركين الذين كانوا يقدسون بعض الأشجار في الجاهلية، فقد أخرج الترمذي في سننه: من حديث أبي واقد الليثي:**"أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ, مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سُبْحَانَ اللهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}, وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"**[4].

ثمّ إنّ النبي صلى الله عليه وسلم أخذ يوجه سؤالاً تلو سؤال للرجل الذي جاءه فسأله أن ينحر إبلاً ببوانة وفاءً لنذره مخافة أن يقع السائل في الشرك أو الزلل, فقد أخرج أبو داود في سننه من حديث ثابت بن الضحاك قال: **نذر رجل على عهد النبي صلى الله عليه و سلم أن ينحر إبلا ببوانة (بوانة هي هضبة من وراء ينبع قريبة من ساحل البحر) فأتى النبي صلى الله عليه و سلم فقال إني نذرت أن أنحر إبلا ببوانة فقال النبي صلى الله عليه و سلم هل**

---

[1] أبو داود السجستاني, سنن أبي داود, كتاب المناسك, باب زيارة القبور, ج:٢, ص:١٦٩, حديث رقم: ٢٠٤٤, قال الشيخ الألباني : صحيح.

[2] انظر::ابن تيمية الحراني: اقتضاء الصراط المستقيم، ص:٤٠٤.

[3]: صالح السدلان ، تنبيه زائر المدينة على الممنوع والمشروع في الزيار، ص: (٧٤).

[4]:محمد بن عيسى الترمذي ، سنن الترمذي ، كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم ،حديث رقم: ٢١٨٠ ،قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن صحيح"، وصححه الألباني،ج١،ص:٥٥٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ " قالوا لا قال " هل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ " قالوا لا قال النبي صلى الله عليه و سلم " أوف بنذرك " فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم "[1].

ذكر ابن تيمية:

فإذا كان صلى الله عليه وسلم قد نهى أن يذبح بمكان كان الكفار يعملون فيه عيداً, وإن كان أولئك الكفار قد أسلموا وتركوا ذلك العيد والسائل لا يتخذ المكان عيداً, بل يذبح فيه فقط فقد ظهر أن ذلك سد للذريعة إلى بقاء شيء من أعيادهم خشية أن يكون الذبح هناك سبباً لإحياء أمر تلك البقعة وذريعة إلى اتخاذها عيداً[2].

ولا يخفى شغف أهل الجاهلية ببعض الأماكن التي ما أنزل الله بها من سلطان، كالقبور والأعياد التي كانوا يذبحون فيها لأصنامهم، ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتسوية القبور التي كانت قد رفعت في زمن الجاهلية، فقد روى مسلم وغيره عن أبي الهياج الأسدي[3] وجاء عن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله (قال:**"لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا"**[4] وجاء وصف النصارى بأنهم شرار الخلق عند الله ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أن أم سلمة رضي الله عنها ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها ماريه، فذكرت له ما رأت فيها من الصور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله"**[5]، وذلك يعد من أعظم أشكال اتخاذ القبور أعياداً، فالمساجد أظهر شكل من أشكال الاعتياد, فالمساجد يعتادها الناس أكثر من غيرها من المواطن.

وفي العصر الحديث نجد بعض المسلمين قد افتتنوا ببعض المشاهد، كالقبور التي أقيمت عليها الأضرحة لبعض الصالحين، في أماكن كثيرة من بلاد المسلمين, ولو استعرضنا الأضرحة المقامة في المساجد في العالم الإسلامي والتي تعد أعظم شكل من أشكال اتخاذ القبور مساجد لوجدناها قد انتشرت انتشاراً يندى له الجبين.

---

[1] السجستاني ،سنن ابي داود، مرجع سابق, كتاب الأيمان والنذور، باب ما يؤمر به من الوفاء عن النذر،حديث رقم:٣٣١٣، قال الشيخ الألباني : صحيح ،ج١،ص:٥٤٧.
: ٣/ ٢٣٨، برقم: (٣٣١٣)، وابن ماجه في سننه:: ٦٨٨/١، برقم: (٢١٣٠)، وصححه الألباني _ رحمه الله _ في صحيح سنن ابن ماجه: ٣٦٤/١، برقم: (١٧٣٢).

[2] انظر: الحراني:ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم: ١٩١/١.

[3] هو: "حيان بن حصين أبو الهياج الأسدي الكوفي روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الجنائز، روى عنه أبو وائل"، رجال مسلم: ١٦٦/١.

[4] البخاري: محمد بن إسماعيل ،صحيح البخاري،كتاب ابواب المساجد، باب الصلاة في البيعة،حديث رقم:٤٣٧،ج١،ص:٦٧.

[5] البخاري: محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري،كتاب أبواب المساجد، بَاب هَلْ تُنْبَشُ قُبُورُ مُشْرِكِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيُتَّخَذُ مَكَانُهَا مَسَاجِدَ ،حديث رقم:٤٢٧،ج١،ص:٦٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثالث

أثر التشبه بأهل الكتاب والكفار

إنّ نصوص الشرع جاءت بالأوامر لحكمة بالغة، ولم ينهانا الله جل جلاله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم عن فعل إلا لما يترتب عليه من الآثار الضارة في عاجل الأمر أو آجله، وهكذا جاء النهي عن التشبه بالكفار في الكتاب والسنة، وقد كان لموقف النبي صلى الله عليه وسلم الجازم أبلغ الأثر في موقف الصحابة من بعده من قضية التشبه بأهل الكتاب والكفار, واعتبارها من أخطر القضايا, فقد تطال هذه القضية عقيدة المسلم وتمس بعضاً من المسلمات الدينية لديه كالولاء والبراء.

وممّا لا شكّ فيه فإنّ التشبه بالكفار وبأهل الكتاب يترك العديد من الآثار النفسية والاجتماعية وغيرها من الآثار في نفوس المتشبهين وأحوالهم, ولهذا شواهده في العصر الحديث، وما ظهرت هذه الآثار إلا لكثرة وقوع التشبه في هذا العصر, إذاً فما هي الآثار المترتبة على التشبه بالكفار، والتي نتوصل من خلال الوقوف عليها أن نفهم مقصود الشارع الحكيم من النهي عن التشبه بالكفار وأهل الكتاب.

أولا:- آثار التشبه بالكفار وأهل الكتاب.

إنّ للتشبه بالكفار وأهل الكتاب العديد من الآثار السلبية التي تعود على المسلمين لعلّ من أهمها:-

١. إلحاق المتشبهين بالمتشبهين بهم.

فقد أخرج أبو داود في سننه: من حديث ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " **مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**"[1].

ذكر ابن تيمية:

أنّ هذا الإلحاق قد يحمل على التشبه المطلق, فإن كان كذلك فإنّه يوجب الكفر ويقتضي تحريم أبعاض ذلك, وقد يحمل على أنّه صار منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه, فإن كان كفراً أو معصية أو شعاراً للكفر أو للمعصية كان حكمه كذلك[2], والملاحظ عل تعليق ابن تيمية أنّه لا يفرق بين ما هو تشبه اعتقادي أو تشبه عملي، وعلى هذا فإنّ ما كان من اعتقادات الكفار كفراً في ذاته كان التشبه بهم فيه كفر, كمن تشبه بهم في معتقد فيه تكذيب للوحي مثلاً، كمن يرى رأيهم في أن الوحي ظاهرة تخيلية, وأما ما كان من اعتقاداتهم ولم يكن كفراً في ذاته كمن تشبه بهم في اعتقاده بأن لمواليد الصالحين فضلاً خاصاً فإن ذلك

---

[1] السجستاني، أبو داود : سنن أبي داود ، كتاب الأدب، باب فِى الحَسَدِ،حديث رقم:٤٠٣١،ج١،ص:٦٥٤ ،حسنه الألباني .
[2] انظر: الحراني:ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم: ج١،ص:٨٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مأخوذ من عقيدة النصارى بأن لمولد عيسى عليه الصلاة والسلام فضلاً خاصاً فإن هذا النوع من الاعتقاد لا يعد كفراً مخرجاً من الملة، فلا يكون من تشبه بالكفار في عقائدهم كافراً على الإطلاق، فيحتاج هذا إلى ضابط، ولم أجد في نصوص الشرع ضابط التشبه المكفر لمجرد التشبه, فلزم أن نرد هذا النص إلى النصوص الأخرى التي نعلم بها كفر من كفر، وعلى هذا فلا يكون كافراً حتى يتشبه بهم في ناقض من نواقض الإسلام، أو تشبه بهم تشبهاً كلياً، في جميع شؤونهم.

وهذا يقودنا إلى بيان أنواع التشبه بعقائد الكفار وأهل الكتاب[1] من حيث الأثر الذي يترتب على التشبه, فالنوع الأول من التشبه بهم في عقائدهم مما هو كفر, كمن اعتقد أن النبوة لم تنقطع بعد كما تعتقده بعض الفرق كالقاديانية وغيرها، وهو نفس اعتقاد اليهود بأن المسيح لم يرسل بعد، أو اعتقد أن الله عز وجل لا داخل الكون ولا خارجه، وهو اعتقاد أهل وحدة الوجود تشبهاً منهم بمتصوفة الهند، أو اعتقد أن أحداً يمكنه التصرف مع الله في خلقه ولو بشيء يسير، كما يعتقده القبوريون في أوليائهم وهو اعتقاد مشركي العرب حيث كانوا يرون أنّ لآلهتهم تصرفاً مع الله فهي في اعتقادهم تمرض أو تشفي أو تحمي أو تضر أو تنفع، أو اعتقد أن هدي غير النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه كالذين يفضلون الأحكام الوضعية على حكم الإسلام، ويعتقدون صحة الحكم بالقوانين المستوردة من عندهم ويستحلون الحكم بها، فهذا يكفر ولو لم يحكم بها، كمن يعتقد ما يعتقده الكفار أن إنفاذ حكم الله بقطع يد السارق، أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر فإنه يكفر, ولا نقول إنه كفر لأنه تشبه بهم في جانب العقيدة، بل لأمر آخر وهو أن فعله اشتمل على جحود ما أثبته الله تعالى؛ فإن من التشبه بالكافرين في عقائدهم ما لا يصل إلى درجة الكفر.

أمّا النوع الثاني من التشبه بهم في عقائدهم فهو مما لا يصل إلى درجة الكفر, فإنه قد يحصل فيه التشبه بهم فيما هو دون ذلك من خصائص الكفار على سبيل المآل, ولا يتعلق الأمر بتصحيح عقائدهم, أو حصول خلل في عقيدة المسلم ذاته, فإن التشبه قد يؤول إلى الكفر، وذلك إذا لم يتم التوقف فيه عند حد معين, فإن كل أمر يتشبه المسلم بهم فيه يترك مكانه سنة متبعة من سنن الإسلام، وفي النهاية قد يؤول الأمر إلى استبدال الكفر بالإيمان, ولذلك لما دأب بعض المنتسبين إلى الإسلام على التشبه بالكفار من اليهود والنصارى، ومن ورائهم الغوغاء من الناس أتباع كل ناعق انسلوا من دين الله الحنيفية السمحة شيئاً فشيئاً، فإنّه لما قام هؤلاء بمداهنة الكفار، وتركوا ما أوجب الله عليهم من البراءة من أعداء الله،

[1] انظر: مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين, مرجع سابق, ج: ١, ص: ٦٠-٦٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكراهيتهم، فتخلوا عن هذه الشعيرة المهمة من شعائر الإيمان، وتشبهوا بالكفار في كل صغيرة وكبيرة آل بهم الأمر إلى تصحيح أديان هؤلاء الكفار، حيث نبتت نابتة في عصرنا الحديث تدعو إلى تصحيح أديان اليهود والنصارى، وتدعو إلى بناء مسجد إسلامي وكنيسة نصرانية ودير يهودي في حائط واحد، وطباعة القرآن الكريم المحفوظ بحفظ الله، مع التوراة والإنجيل اللذين مستهما أيدي التحريف الآثمة في غلاف واحد[1].

٢. التشبه بالكفار تدرج لاندراس الدين, وذوبانه في أديان الكفار الأخرى[2]، وقد يوصل في النهاية إلى الانسلاخ من الدين بالكلية[3].

إذا تأملنا كلام العلماء في أثر التشبه بالكافرين، من جهة الحكم على من عمل ما يتشبه به بالكفار نجدهم يعلقون الحكم على ما قام بقلب هذا المتشبه من عقيدة[4] أو استحسان دينهم الباطل[5] أو المحبة[6] فإنّ محبة غير الله كمحبة الله تجعله نداً لله كما قال تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾[7].

كما أن التشبه الكلي بالمشركين يصل إلى درجة الكفر, لأنه بلا شك ملابس لما هو شرك من أعمالهم، وقد يكفر بعمل واحد من أعمال المشركين إذا كان متشبهاً بهم, ومنحازاً إليهم, وقلبه متشوف لهم ولما عندهم, ويظن بأنّ ما عندهم خير من شرع الله, فهو بهذا الاعتقاد يكفر لأنه لم يكتف بمجرد التشبه, بل اعتقد ما يوجب كفره[8].

ذكر ابن تيمية:

"فقد يحمل هذا على التشبه المطلق, فإنه يوجب الكفر ويقتضي تحريم أبعاض ذلك, وقد يحمل على أنه صار منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه, فإن كان كفراً أو معصية أو

---

[1] وفي هذا الشأن صدرت فتوى شرعية، برقم: (١٩٤٠٢) في: ١٤١٨/١/٢٥هـ عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء (الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء) السعودية: تحذر من هذه الدعوى وتبين أنها تتضمن الكفر بالله، وتحرمها تحريماً شديداً، واللجنة التي أصدرت هذه الفتوى مكونة من سماحة الرئيس العام ومفتي عام المملكة العربية السعودية (الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز) _ رحمه الله _ رئيساً و(الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ نائباً) وعضوية كل من الشيخ د. بكر أبو زيد، و الشيخ د. صالح بن فوزان الفوزان.

[2] وفي ذلك قال شيخ الإسلام في معرض حديثه عن عمرو بن لحي الخزاعي الذي تشبه بالمشركين ونصب الأنصاب حول الكعبة: "فقد تبين لك أن من أصل دروس دين الله وشرائعه وظهور الكفر والمعاصي: التشبه بالكافرين" الحراني:ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم: ٣٥٢/١

[3] انظر الشبانة: عبد الله بن حمد: المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية، ، ص: ١٥٦.

[4] نظر كلام القاضي حسين في كتاب الغزي حسن التنبه، ١١٤/٥ب

[5] انظر: المطيري: جميل. التشبه المنهي عنه ص: (٥٩)،

[6] انظر القحطاني :محمد بن سعيد: الولاء والبراء ، ص: (٢٦٢).

[7] [البقرة، ١٦٥].

[8] راجع أثر التشبه بالكافرين في عقائدهم.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

شعاراً للكفر أو للمعصية كان حكمه كذلك"[1]، فإذا كان الاعتقاد الذي صاحب فعل التشبه بهم كفراً فيكون ذلك الفعل كفراً كذلك، ولو لم يكن كفراً في ذاته, لمصاحبته لما هو كفرٌ.

فلم يحمله شيخ الإسلام على التشبه بهم في شيء من خصائصهم التي ليست بكفر في حد ذاتها, فإنه لم يكفر من فعله، بل حمله إما على التشبه المطلق، فيكون كافراً مثلهم لأنه صار نظيراً لهم، أو حمله على أنه يصير منهم في الفعل الذي تشبه بهم فيه، فإن كان كفراً فقد شاركهم في الكفر, وإن كان معصية فإنه قد باء بإثم التشبه والمعصية، وإن لم يكن في حد ذاته منهياً عنه فإنه قد تحمل إثم التشبه, لأن التشبه بهم محرم ولو لم يكن معصية لو تفرد عن كونه تشبهاً, ويؤيد هذا ما قاله ابن تيمية: "وهذا الحديث "**ومن تشبه بقوم فهو منهم**"[2], أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم, وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله تعالى:﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾"[3]، فبين أنّ الحديث حكمه مشابه للحكم في الآية، فليس كل من تولى الكفار كان كافراً عند العلماء لمجرد أنّ الله جعل التولي لهم من دواعي كونه منهم[4]، ولكنه لا يسلم من الوقوع في المحرم, فإنّ أقل أحوال الآية أن تقتضي تحريم مطلق التولي للكفار[5]، كما أنّ أقل أحوال الحديث أن يقتضي تحريم التشبه بهم.

٣. أنّ التشبه يقود إلى المودة لهم.

إنّ التشبه بأهل الكتاب والكفار ومشاركتهم في فعلهم الظاهر تكون سبباً موصلاً إلى المودة لهم وذريعة لذلك, وقد ورد في كتاب المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية أنّ ذلك التقليد والتشبه بمختلف صوره يقود إلى محبة المقلّد, ولعل ذلك ما يفسر حرص الإسلام الشديد على منع تشبه المسلمين بأعدائهم، أو تقليدهم لهم, فإن السبب الرئيسي في ذلك أن يبقى الجدار العدائي الفاصل بين المعسكرين قائماً صلباً فلا يتأثر موقف المسلم المتصل باعتزازه بما عنده ورفضه لما عند أعدائه أبداً, ولم يضعف ولا يلين[6].

إنّ مودة الكفار سبب قادح في الإيمان بالله واليوم الآخر، كما أن مجانبتهم وعدم مودتهم من دلائل الإيمان ومن أسباب التأييد من الله، قال تعالى:

---

[1] ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم: ٨٣/١

[2] السجستاني، أبو داود : سنن أبي داود ،كتاب اللباس، باب بَاب فِي لبْس الشُّهْرَةِ،حديث رقم: ٤٠٣١،ج١،ص:٦٥٤.) قال الشيخ الألباني : حسن صحيح .

[3] [المائدة٥١]

[4] ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم: ٢٧٠/١

[5] المرجع السابق ٨٣/١

[6] انظر الشباتة عبد الله بن حمد: المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية ، ص: (١٥٦).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾[1].

وكما أن التشبه بالكفار يدل على المودة الظاهرة لهم, فإن المودة من أشكال الموالاة لهم[2]، وقد حذرنا الله تبارك وتعالى من مولاة الكفار، فقال:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾[3]، ولقد سخط الله على بني إسرائيل لما تولوا الكفار: تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾[4]، فيعلم من ذلك أنّ التشبه بالكفار قد يؤدي في النهاية إلى سخط الله, كما أن الركون إلى الكافرين ومحبتهم بالتشبه بهم في أفعالهم سبب لفوات اتصاف المؤمنين بمحبة الله لهم, فقد قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى

---

[1] [المجادلة: ٢٢].
[2] فإن الولاء معناه: النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً. انظر للشيخ محمد بن سعيد القحطاني: الولاء والبراء في الإسلام، ، ص: (٩٠).
[3] [الممتحنة: ١٣].
[4] [المائدة:٨٠].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾[1].

٤. يقود التشبه إلى موافقة ما في الأخلاق والهدي الباطن.

ذكر ابن تيمية: أن "المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال وهذا أمر محسوس, فإن اللابس لثياب أهل العلم مثلاً يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة مثلاً يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم ويصير طبعه مقتضياً لذلك، إلا أن يمنعه من ذلك مانع، وكلما كان القلب أتم حياة وأعرف بالإسلام كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطنا أو ظاهراً أتم وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد, ومنها أن مشاركتهم في الهدى الظاهر توجب الاختلاط الظاهر حتى يرتفع التمييز ظاهراً بين المهديين المرضيين وبين المغضوب عليهم والضالين[2].

٥. التشبه بهم يوجب الدخول في ما دخل فيه الهالكون من أهل الغضب والضلال من صفات.

فالتشبه يقود الى مشاركة المتشبه بهم في النتائج والآثار التى تجب لهم في النهاية, وهذا يعني مشاركتهم في الهلاك والغضب والضلال مما يكون من نتائج أفعالهم, فقد أخرج مسلم في صحيحه: من حديث عائشة رضي الله عنها **عَنْ عَائِشَةَ, أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِى سَرَقَتْ فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ, فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَتَشْفَعُ فِى حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ", ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ, وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ, وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"**[3]، فمن شاركهم وشابههم في التفريق في الحدود بين الشريف والضعيف, فقد شاركهم في الهلاك الذي وقعوا فيه.

---

[1] [المائدة:٥٤].

[2] انظر: الحراني:ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم: ٩٤/١

[3] النيسابوري : صحيح مسلم، مرجع سابق, كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود ،حديث رقم:٤٥٠٥،ج: ٥،ص:١١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فمن تشبه بهم في واحد من أفعالهم كالتشدد في الدين لحقته كل تلك الآصار والأغلال التي لحقتهم، والتشبه بأعمال الكفار الظاهرة من علامات اندراس دين الله، أمّا مخالفتهم فمن عوامل ظهور دين الإسلام وتميزه عن الأديان الباطلة، فقد أخرج أبو داود في سننه: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **لا يزال الدين ظاهرا ما عجل الناس الفطر, لأنّ اليهود والنصارى يؤخرون**"[1].

فربط النبي صلى الله عليه وسلم بين ظهور الدين ومخالفة اليهود والنصارى، وجعل ظهور الدين معلقاً بمخالفتهم ومباينتهم، ومفهومه أنّ خفاء الدين واندراسه متعلق بإظهار مشابهتهم، فإذا كان التشبه بهم يساهم في فقدان الدين وعدم ظهوره وجبت مخالفتهم بكل حال.

وقد اتخذ التشبه بالكافرين في أعمالهم العديد من المظاهر في العصر الحديث, وقد بلغ بهذا التشبه حدّ التفشي والانتشار, ومن ذلك مشابهتهم في زيهم وطريقة معيشتهم، مما لا يُعد ذا مصلحة معتبرة شرعاً، كالتشبه بهم في قصات الشعر التي يفعلها بعض شباب المسلمين اليوم, وكذلك نوع اللباس وطريقته.

ومن مظاهر التشبه بالكفار أيضا التشبه بهم في عادة التدخين الدخيلة على بلاد المسلمين، وقد ذكر الباحثون أن أول من اكتشفها: الهولنديون وجاؤوا بها إلى أراضي الدولة العثمانية ضمن تجاراتهم، وهي عادة دخيلة وهي من أظهر أمثلة التشبه بالكافرين، فهي عادة كافرة لم يفعلها المسلمون من قبل.

وممّا تجدر الإشارة إليه كذلك اعتماد التاريخ الميلادي بدل التاريخ الهجري, كما هو حال معظم الدول في العالم الإسلامي اليوم مما أدى إلى ضياع الصبغة الإسلامية عن التاريخ، ومما أدى في أحيان كثيرة إلى رؤية الوقائع التاريخية بمنظار غير إسلامي، لا سيما وأنّ التاريخ الميلادي تنصب فكرته على ميلاد المسيح عيسى بن مريم, هذا إذا ثبت أنّ ميلاده كان في التأريخ الذي حدده النصارى، بخلاف التأريخ الهجري الذي أرخ به عمر بن الخطاب ، فإنّه يحمل في طياته تأريخ ملحمة النصر ودولة الفتح والبناء، إنّه تاريخ بداية الدولة الإسلامية التي قام كيانها وتركز اساسها على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

---

[1] السجستاني، أبو داود : سنن أبي داود ، كتاب الصوم، باب مَا يُستَحَبُّ مِنْ تَعْجِيلِ الفِطْرِ،حديث رقم:٢٣٥٣،ج١،ص:٣٨٣، حسنه الألباني.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثـــالث

الاستقلالية بين الانتفاع من الأمم الأخرى والتأثر بها

المبحث الأول: الانتفاع من الأمم الأخرى.

المطلب الأول مجالات الانتفاع من الأمم الأخرى

المطلب الثاني: التأصيل الشرعي من جواز الاستفادة من غيـــر المسلمين في الجانب المادي.

المبحث الثاني: ضوابط التأثر بحضارة الأمم الأخرى

المطلب الأول: الحصانة الفكرية

المطلب الثاني: الحصانة الأخلاقية.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المبحث الأول

الانتفاع من الأمم الأخرى

إنّ الانتفاع من الأمم الأخرى والأخذ منها لا يشكل في الدين نقطة تحول وانسلاخ من الهوية الإسلامية, ما دام أنّ هذا الانتفاع منضبط بضوابط الشرع الحنيف.

قال تعالى:﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾"[1].

إنّ الإسلام جاء متميزاً بقواعده وأحكامه, فقد كان له التميز منذ بدايات بزوغ فجره على الرغم من شحّ الموارد, وقلة الإمكانيات, ولم يكن الإسلام يوماً في خندق من العزلة, أو واد من الوحدة, فالأمة الإسلامية لا تعيش بمعزل عن الأمم, ومن أخص واجباتها تبليغ رسالة ربها إلى الأمم, وكان لزاماً في عليها أن تشارك الأمم وتخالطهم في سبيل أداء هذا الواجب, والأمة كذلك ليست بمنأى عن التقدم الهائل الذي أسدل ستره على كلّ جوانب الحياة, فالاختلاف في الدين, والتمايز بين الحضارات لا يسد الباب أمام حسن التعامل, وتبادل المنافع المادية بين المسلمين وغيرهم, فهذا نبينا صلى الله عليه وسلم قد تعامل مع أهل الكتاب من اليهود, وتبادل معهم المنافع, فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **"أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَرَى مِنْ يَهُودِيٍّ طَعَامًا إِلَى أَجَلٍ, وَرَهَنَهُ دِرْعَهُ"**[2].

---

[1] [المائدة: ٥.]

[2] البخاري: محمد بن إسماعيل :صحيح البخاري, حديث رقم: ٢٥١٣، كتاب الرهن، باب الرهن عند اليهود وغيرهم، ج:٣، ص:٣٣٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الأول

مجالات الانتفاع من الأمم الأخرى

إنّ التأثر بالأمم الأخرى, والاستفادة من حضارتها وتقدمها في مختلف الميادين والصعد يشمل مجالات عديدة, فالتأثر والتأثير عاملان مهمان في إتمام وإنجاح رسالة الأمة الشمولية, وهذا التأثر يعود على الأمة بالعديد من المنافع ما دام أنّه قد ضُبط بضوابط الشرع الحنيف, إنّ مجالات الانتفاع من الأمم الأخرى يتخذ صورتين: الانتفاع المادي والانتفاع المعنوي.

أولاً:- الانتفاع المادي.

لقد سارت الأمم الأخرى, وقطعت أشواطاً عديدة في مواكبة لغة العصر من حيث التقدم والاحتراف, في الوقت الذي غطت فيه الأمة المسلمة في سبات عميق, وما استشرى فيها داء الجهل والتخلف إلا عندما أعرضت عن كتاب ربها, وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم, فأصبحت تسير في ذيل القافلة, وتستجدي منجزات الأمم, وتدفع أثمانا باهظة في سبيل الحصول على إنجاز أو تقدم في مجال معين, فهانت عند ذلك واستباح الأعداء بيضتها, ولو عادت إلى منهج ربها القويم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لوجدت نفسها تستغني عن كل الأمم, فالحضارة في دينها, والعزة في دينها , والفوز الفلاح في دينها, فهذا الدين جاء مستغنياً عن كل شرع سبقه, وهذه الأمة تتسم بالتفرد والاستقلالية عن غيرها من الأمم والشعوب, والمنفعة المادية من الأمم الأخرى والتأثر بها يتخذ صوراً عديدة أهمها:-

١. المنافع الاقتصادية.

أ. البيع والشراء.

أخرج البخاري في صحيحه من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : **"كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ بِغَنَمٍ يَسُوقُهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَيْعًا أَمْ عَطِيَّةً أَوْ قَالَ أَمْ هِبَةً ؟ قَالَ: لا، بَلْ بَيْعٌ، فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً"**[1].

إذاً فالأصل هو جواز التعامل بالبيع والشراء مع اليهود وغيرهم، لما ثبت من تعامل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مع يهود المدينة بالبيع والشراء والقرض والرهن وغير ذلك من المعاملات المباحة في ديننا.

---

[1] البخاري: محمد بن إسماعيل صحيح البخاري, البيوع. ، بَاب الشِّرَاءِ وَالبَيْعِ مَعَ المُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الحَرْبِ، حديث رقم:٢٢١٦، ج١، ص:٢٩١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ذكر النووي في المنهاج:

"وقد أجمع المسلمون على جواز معاملة أهل الذمّة، وغيرهم من الكفّار إذا لـم يتحقّـق تحريم ما معه، لكن لا يجوز للمسلم أن يبيع أهل الحرب سلاحاً وآلة حرب، ولا ما يستعينون به في إقامة دينهم"[1].

ب. الرهن.

أخرج البخاري في صحيحه من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **"أَنَّ النَّبِيَّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَرَى مِنْ يَهُودِيٍّ طَعَامًا إِلَى أَجَلٍ, وَرَهَنَهُ دِرْعَهُ"**[2].

ج. الاجاره.

أخرج البخاري في صحيحه من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **"وَاسْتَأْجَرَ النَّبِـيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ, ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خِرِّيتًـا الْخِرِّيتُ الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ قَدْ غَمَسَ يَمِينَ حِلْفٍ فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ, وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّـارِ قُرَيْشٍ, فَأَمِنَاهُ, فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا, وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاثِ لَيَالٍ, فَأَتَاهُمَا بِرَاحِلَتَيْهِمَـا صَبِيحَةَ لَيَالٍ ثَلاثٍ فَارْتَحَلَا"**[3].

ذكر ابن حجر في الفتح:

وفي الحديث: استئجارُ المسلم الكافرَ على هداية الطريق إذا أمن إليه, قال ابن بطـال: عامة الفقهاء يجيزون استئجارهم عند الضرورة وغيرها لما في ذلك من المذلة لهـم، وإنّمـا الممتنع أن يؤاجر المسلم نفسه من المشرك، لما فيه من إذلال المسلم، وقال المهلب: كره أهل العلم ذلك إلاّ لضرورة بشرطين: أحدهما: أن يكون عمله فيما يحل للمسلم فعله، والآخـر: أن لا يعينه على ما يعود ضرره على المسلمين، وقال ابن المنيّر: استقرت المـذاهب علـى أنّ الصناع في حوانيتهم يجوز لهم العمل لأهل الذمّة، ولا يعد ذلك من الذلة، بخلاف أن يخدمـه في منزله، وبطريق التبعية له، والله أعلم[4].

د. الشركة والمزارعة والزراعة والمنافع الدنيوية .

---

[1] المنهاج في شرح النيسابوري : صحيح مسلم ج١١،ص:٤١.
[2] البخاري: محمد بن إسماعيل صحيح البخاري, حديث رقم: ٢٥١٣، كتاب الرهن، باب الرهن عند اليهود وغيرهم، ج:٣، ص:٣٣٣.
[3] البخاري: محمد بن إسماعيل صحيح البخاري كتاب الإجارة، باب اسْتِئْجَارِ الْمُشْرِكِينَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ أَوْ إِذَا لَمْ يُوجَدْ أَهْلُ الإِسْلامِ، حديث رقم:٢٢٦٣، ج١، ص:٢٩٦.
[4] انظر: فتح الباري،ج٤،ص:٤٤٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أخرج البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "**أعطى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ الْيَهُودَ أَنْ يَعْمَلُوهَا, وَيَزْرَعُوهَا, وَلَهُمْ شَطْرُ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا, وَأَنَّ ابْنَ عُمَرَ حَدَّثَهُ أَنَّ الْمَزَارِعَ كَانَتْ تُكْرَى عَلَى شَيْءٍ سَمَّاهُ نَافِعٌ لَا أَحْفَظُهُ**"[1], إذاً فقد استفاد المسلمون جراء هذه المزارعة, ومشاركتهم اليهود في خيبر, وحصلوا على شطر المحصول, وقد ورد في كتاب عمدة القاري شرح صحيح البخاري:

وفي معنى الحديث: وهو أنّ فيه مشاركة اليهود في مزارعة خيبر من حيث إنه جعل لهم شطر ما يخرج من الزراعة من خيبر, والشطر الباقي يصرف للمسلمين, وهؤلاء اليهود كانوا أهل ذمة, وألحق المشركون بهم, لأنهم في حكم أهل الذمة لكونهم مستأمنين[2].

وأخرج احمد في المسند من حديث أنس رضي الله عنه قال :" **سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصواتا فقال ما هذا قالوا يلقحون النخل فقال لو تركوه فلم يلقحوه لصلح فتركوه فلم يلقحوه فخرج شيصا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم قالوا تركوه لما قلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان شيء من أمر دنياكم فأنتم أعلم به فإذا كان من أمر دينكم فإلي**[3] ", فيفهم من هذا الحديث أن التكنولوجيا الزراعية الحديثة، والتقنية التي تزيد القدرة الإنتاجية للزرع يستحب استعمالها، والاستفادة من منافعها، وأن هذا لا ينافي التوكل، بل هو من أخذ الأسباب المشروعة[4].

٥. الهدية.

أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: "**غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ تَبُوكَ, فَلَمَّا جَاءَ وَادِيَ الْقُرَى إِذَا امْرَأَةٌ فِي حَدِيقَةٍ لَهَا, فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: اخْرُصُوا, وَخَرَصَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشَرَةَ أَوْسُقٍ, فَقَالَ لَهَا: أَحْصِي مَا يَخْرُجُ مِنْهَا, فَلَمَّا أَتَيْنَا تَبُوكَ قَالَ: أَمَا إِنَّهَا سَتَهُبُّ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ, فَلَا يَقُومَنَّ أَحَدٌ, وَمَنْ كَانَ مَعَهُ بَعِيرٌ فَلْيَعْقِلْهُ, فَعَقَلْنَاهَا, وَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ, فَقَامَ رَجُلٌ فَأَلْقَتْهُ بِجَبَلِ طَيِّءٍ, وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَغْلَةً بَيْضَاءَ, وَكَسَاهُ بُرْدًا, وَكَتَبَ لَهُ بِبَحْرِهِمْ, فَلَمَّا أَتَى وَادِيَ الْقُرَى قَالَ لِلْمَرْأَةِ: كَمْ جَاءَ حَدِيقَتُكِ؟ قَالَتْ عَشَرَةَ أَوْسُقٍ خَرْصَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي مُتَعَجِّلٌ إِلَى الْمَدِينَةِ, فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَعَجَّلَ مَعِي فَلْيَتَعَجَّلْ, فَلَمَّا قَالَ ابْنُ بَكَّارٍ كَلِمَةً مَعْنَاهَا أَشْرَفَ عَلَى**

---

[1] محمد بن إسماعيل البخاري::صحيح البخاري, كتاب الإجارة ، باب إذا استأجَرَ أرْضًا فمَاتَ أحَدُهُمَا ،حديث رقم:٢٢٨٥،ج: ٣،ص:٣٠٠.

[2] انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري, مرجع سابق, ج: ١٩, ص: ٤١٤.

[3] أحمد بن حنبل الشيباني: مسند أحمد ،حديث ١٢٥٤٤، ج٢٠ ، ص: ١٩, تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.

[4] انظر:: نفسية فالح الصغير ، إن الله كتب الإحسان على كل شيء دراسة حديثية ، ج ١ ،ص: ٢٣٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الْمَدِينَةِ قَالَ: هَذِهِ طَابَةُ, فَلَمَّا رَأَى أُحُدًا قَالَ: هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ, أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ دُورِ الْأَنْصَارِ؟ قَالُوا: بَلَى, قَالَ: دُورُ بَنِي النَّجَّارِ, ثُمَّ دُورُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ, ثُمَّ دُورُ بَنِي سَاعِدَةَ, أَوْ دُورُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ, وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ يَعْنِي خَيْرًا"[1].

و. استعمال الأواني.

أخرج البخاري في صحيحه: **من حديث أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رضي الله عنه يَقُولُ: "أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا بِأَرْضِ قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ نَأْكُلُ فِي آنِيَتِهِمْ قَالَ إِنْ وَجَدْتُمْ غَيْرَ آنِيَتِهِمْ فَلَا تَأْكُلُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَاغْسِلُوهَا وَكُلُوا فِيهَا"**[2].

وقد فصل ابن قدامة في المغني القول فيما يتعلق باستعمال أواني المشركين وثيابهم حيث قال:"والمشركون على ضربين أهل الكتاب وغيرهم فأهل الكتاب يباح أكل طعامهم وشرابهم والأكل في آنيتهم ما لم يتحقق نجاستها قال ابن عقيل : لا تختلف الرواية في أنه يحرم استعمال أوانيهم.وذلك لقول الله تعالى:﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾[3].

١. المنافع الصحية.

أخرج مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنهما قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: **"لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنْ الْغِيلَةِ, حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ"**[4].

ذكر النووي في المنهاج:

"واختلف العلماء في المراد **بِالْغِيلَةِ** في هذا الحديث وهي: **الْغَيْل**، فقال مالك في الموطأ والأصمعي وغيره من أهل اللغة: أن يجامع امرأته وهي مرضع يقال منه: أغال الرجل وأغيل، إذا فعل ذلك, وقال ابن السكيت: هو أن ترضع المرأة وهي حامل يقال منه: غالت وأغيلت, قال العلماء: سبب همّه صلى الله عليه وسلم بالنهي عنها أنّه يخاف منه ضرر

---

[1] البخاري: محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ،كتاب الجمعة، باب من انتظر حتى تدفن ،حديث رقم:٢٢٨٥،ج: ٢،ص:٩٣.
[2] البخاري: محمد بن إسماعيل صحيح البخاري كتاب الزكاة، باب خَرْص التَّمْر ،حديث رقم:١٤٨١،ج١،ص:٢٠١.
[3] [المائدة ٥].
[4] النيسابوري : صحيح مسلم كتاب النكاح،وَالسِّتْر باب جواز الغيلة وهي وطء المرضع وكراهة العزل ،حديث رقم:١٤٤٢،ج١،ص:٣٥٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الولد الرضيع قالوا: والأطباء يقولون: إن ذلك اللبن داء, والعرب تكرهه وتتقيه, وفي الحديث جواز الغيلة فإنه صلى الله عليه وسلم لم ينه عنها، وبين سبب ترك النهي"[1].

وكانت العرب يحترزون عنها, ويزعمون أنها تضر الولد, وهو من المشهورات الذائعة بينهم, حتى ذكر أن فارس و الروم يصنعون ذلك, ويجامعون المرضع والحامل, فلا يضر أولادهم, فالنَّبيّ عليه الصلاة والسلام ينظر بعين الخبير إلى أحوال الأمم, ويأخذ العبرة والخبرة من أحوال غيره، فليس ثمَّ مانع من النظر إلى أحوال الأمم الأخرى, ولا سيما المستقرة منها والتي لا تتعارض مع القيم والثوابت الشرعية, وتعود على المسلمين بالخير, ونقلها إلى بلاد المسلمين، والاستفادة منها في حياتهم.

٣. المنافع في المجال الدولي والعلاقات الدولية.

أخرج البخاري في صحيحه من حديث أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: **"لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الرُّومِ كِتَابًا قَالُوا: إِنَّهُمْ لا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا مَخْتُومًا قَالَ: فَاتَّخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ؛ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ"**[2], فالنَّبيّ عليه الصلاة والسلام لم يأبَ هذا الخاتم, بل قبله, لأنه ليس هناك تأثير على دين الله, بل هو من الأمور التنظيمية التي دعا إليها الدين، فلا غضاضة من الاستفادة من فارس أو الروم ما دام دين الله في مأمن, وحياة المسلمين تسير إلى أحسن[3].

ثانياً:- الانتفاع المعنوي.

لم يكن من أمر من الأمور المعنوية إلا وقد جاء الإسلام بكمال وصفه, فالعقيدة في الإسلام ربانية المصر وحيها الكتاب والسنة, وما كان من غيرها من العقائد فضلال وزيغ لا محالة, فإتباع الهوى أمر أنكره الإسلام, وتتبع خطوات الشيطان يقود إلى الدمار والهلاك, وإتباع سنن الأمم الضالة التي انحرفت عن جادة الصواب, والسير في ركب الأمم التي جحدت الحق وأنكرته.

إنّ دائرة الأخلاق في الإسلام رحبة, لم تكن قاصرة في يوم على صفات بعينها, فالخلق يشمل كلّ أحكام الإسلام وقواعده, فلا عقيدة بغير خلق, ولا وقوف عند أمر ونهي بغير خلق, فالخلق سجية المؤمن, وما كانت مكارم الأخلاق وصالحها إلا جزءاً من واجبات ومهام الأنبياء والرسل.

---

[1] النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف ،**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** ،ج٥ ،ص:١٦٨.
[2] البخاري: محمد بن إسماعيل صحيح البخاري كتاب اللباس، باب نَقش الخَاتَم ،حديث رقم:٥٨٧٢،ج١،ص:٨٢٦.
[3] انظر: أَبُو الْعَيْنَيْن :عِمَاد حَسَن ، مُخَالفَة أَصْحَابِ الْجَحِيم الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمشْرِكِينَ ، ص:٩٤-٩٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ذكر محمد بن سعيد القحطاني:

وقد وقع المسلمون في غلطة كبرى حين استوردوا فلسفة اليونان, وتصوف الهنود والفرس لأنها غثاء إذا مزج بالتصور الإسلامي النقي نتج من ذلك خليط من غبش العقيدة وانحراف التصورات, وأحسنوا حين ترجموا كتب الطب والكيمياء, ودفعهم ذلك إلى اكتشاف علوم جديدة منها علم الجبر, فقد كانت العقلية الإسلامية المتنورة بنور الله قادرة على الابتكار والإبداع في المجال العلمي بكل ميادينه وفي المجال الأدبي والثقافي

ذلك أن المسلمين لديهم من مقومات هذه العقيدة ومقتضياتها ما يدفعهم للعمل بجد وصبر, وهم يعلمون أن ذلك جزء من عبادة الله, لأن نفع ما توصلوا إليه لم ينفعهم هم فحسب, بل تعدى ذلك إلى كافة الناس حتى أن أوروبا ظلت قرونا طوالاً تعتمد على النظريات الإسلامية والأبحاث التي ابتكرها المسلمون, وانعكس هذا على التقدم العلمي الذي توصل إليه الغرب في القرون الأخيرة، بعد أن استنام المسلمون وتركوا مركز القيادة والريادة في كل شيء حتى جاءت الأجيال التي نشهدها اليوم فإذا بها عالة على تلاميذ أجدادها بالأمس, لذلك ينبغي للمسلمين أن يعرفوا ماذا يأخذون من غيرهم فيستفيدون به، وماذا يتركونه لئلا يقعوا فيما وقع فيه من قبلهم. إن على المسلمين أن يجعلوا هذه العقيدة الإسلامية هي القاعدة التي يقوم عليها البناء الإسلامي من جديد ثم يستوردون من غير المسلمين ما ينقصهم في المجال (العلمي البحت) ويكون هذا الاستيراد بحذر وذكاء، حيث تصاغ هذه العلوم بصياغة علمية مؤمنة سليمة من صياغة الملاحدة ودعاة "اللادين". لأنه لا فصل بين دين وعلم، بل الدين الإسلامي هو دين العلم. وصياغة الأسلوب العلمي من منطلق إسلامي صحيح يغرس في النفوس إيماناً عميقاً بقدرة الخالق سبحانه وتعالى وعظيم صنعه وإبداعه في هذا الكون بكل ما فيه. فإنه مهما ادعى المتجردون للأسلوب العلمي أنهم "حياديون " فإنه يستحيل أن تكون صياغة من تلقى نظرية ماركس أو فرويد أو دور كايم لنظرية علمية ما، مثل صياغة من كان بنفس الكفاءة العلمية ولكنه تلقى عقيدة " لا إله إلا الله " من مشكاة الإسلام[1].

وذكر سيد قطب:

إنّ الإسلام يتسامح في أن يتلقى المسلم من غير المسلم ما ينفعه في علم الكيمياء والفيزياء والفلك والطب والصناعة والزراعة والأعمال الإدارية وأمثال ذلك, ولكنّ الإسلام لا يبيح بل يرفض أن يتلقى المسلم أي شيء يتعلق بعقيدته أو مقومات تصوره، أو تفسير قرآنه

[1] انظر: القحطاني : محمد بن سعيد ، الولاء والبراء في الإسلام ج:١, ص:٣١١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أو منهج تاريخه أو نظام حكمه ومنهج سياسته أو موجبات أدبه وتعبيره ممن لا يؤمن بهذا الإسلام[1].

المسلمون بين فهم الأصالة والأخذ بالمعاصرة والحداثة

يعيش المسلمون في حيرة تجاه فهمهم لمتغيرات الحياة, فتخليهم عن ثوابت القرآن والسنة جعل من هذه الحيرة ديدنهم, فكما أوجب الإسلام على أتباعه الوقوف عند الثوابت والقيم, فهو لم يمنع من الأخذ بأسباب الحضارة والمعاصرة, لكن يغيب عن أذهان كثير من المسلمين فهم الأصالة لغياب روح الدين من قلوبهم.

١. **فهم الأصالة.**

إنّ فهم الأصالة يلزمه شروط عدة حتى لا يعيش المسلمون في عزلة, يفوتهم ما يجنيه غيرهم لعلّ من أهم هذه الشروط:

أ. **ضرورة المعرفة والفهم لثقافتنا.**

فهم هذه الثقافة من مصادرها الأصلية، ومن أهلها الثقات ، وبأدواتها ومناهجها الخاصة.

ب. **الاعتزاز بالانتماء العربي الإسلامي.**

يشعر المثقف العربي المسلم، الذي ينتمي إلى ثقافة العرب والمسلمين، أنّه عضو في جسم هذه الأمة، وأنه متحرر من عقدة النقص التي يعاني منها بعض الناس تجاه كل ما هو غربي, إنه يعتز بلغته، لغة القرآن والعلوم، ويعمل على أن تكون لغة الحياة، ولغة العلم، ولغة الثقافة، وقد كانت لغة العلم الأولى في العالم كله لعدة قرون، فلا يجوز أن تعجز اليوم عما قامت به بالأمس .

ج. **العودة إلى الأصول.**

إلى أصولنا وجذورنا العقدية والفكرية والأخلاقية، ونسعى إلى تحويل اعتزازنا النظري والعاطفي إلى سلوك عملي, إنّ الاعتزاز يصبح ظاهرة مرضيّة إذا ظل مجرد كلام يردد، وشعارات ترفع، وصيحات تتعالى، لسرد الأمجاد وتعظيم الأجداد.

د. **الانتفاع الواعي بتراثنا.**

[1] انظر: معالم في الطريق (ص ١٣١ – ١٣٢) وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١٤/٤) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والغوص في حضنه الزاخر، لاستخراج لآلئه وجواهره, ولا يتصور من أمة عريقة في الحضارة والثقافة أن تهمل تراثها وتاريخها الأدبي والثقافي، وتبدأ من الصفر، أو من التسول لدى غيرها, فالتراث يحتوي الحق والباطل، والصواب والخطأ، والسمين والغث, ففي التراث روايات يرفضها العقل والمنطق، وفيه الإسرائيليات التي شاعت وانتشرت , من ذلك مثلاً كلام الفلاسفة الكبار عن العناصر الأربعة: التراب والهواء والنار والماء، أو عن الأفلاك، أو عن شكل الكون ، ومركز الأرض، أو غير ذلك، مما أبطلته علوم العصر ووثباته الهائلة[1].

٢. فهم المعاصرة.

وأما المعاصرة فإنها تعني أن يعيش الإنسان في عصره وزمانه، ومع أهله الأحياء، يفكر كما يفكرون، ويعمل كما يعملون، يعايش الأحياء لا الأموات، والحاضر لا الماضي, ويقتضي ذلك ما يلي:

أ. ضرورة معرفة العصر.

أي أن نعرف العصر الذي نعيش فيه معرفة دقيقة وصادقة، فإن الجهل بالعصر يؤدي إلى عواقب وخيمة، وهذا ما دفع أحد المفكرين إلى القول: إن المشكلة ليست في جهلنا بالإسلام، بل المشكلة في جهلنا بالعصر, والجهل بالعصر سمة مشتركة بين دعاة الأصالة ودعاة المعاصرة, إن من بين دعاة الأصالة من يعيش في الماضي وحده، ويسكن في صومعة التراث، وقد أغلق عليه بابها، فلا يكاد يرى أو يسمع أو يحسُ شيئاً مما حوله, ويا ليته يعيش في عصور التألق والازدهار، بل كثيراً ما يعيش في عصور التخلف والتراجع, فهو يفكر بعقولهم، ويتحدث بلغتهم، ويحيا في مشكلاتهم، ويجيب عن أسئلتهم، فهو حي يعايش الأموات، أكثر مما يعايش الأحياء, فالمطلوب أن يعيش الإنسان القوي في حاضره، منطلقاً إلى مستقبله، ولكي يحسن العيشة في حاضره وزمانه ينبغي أن يعرفه حتى يتعامل معه على بصيرة, وكلمة اللسان الواردة في الآية : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾[2]، يفهم منها اللغة, ويفهم منها طبيعة العصر .

ولا تتم معرفة الواقع على ما هو عليه حقيقة إلا بمعرفة العناصر الفاعلة فيه، والموجهة له والمؤثرة في تكوينه وتلوينه، سواء أكانت عناصر مادية أم معنوية، بشرية أم

---

[1] السليم: فرحان، الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصرة راجع : موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، جمع وإعداد علي بن نايف الشحود ٣٥٤/٣٩-٣٥٩.

[2] [ابراهيم ٤]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

غير بشرية ومنها عناصر جغرافية وتاريخية واجتماعية واقتصادية وسياسية وفكرية وروحية.

ب. العلم والتكنولوجيا.

إن أصالتنا لا تمنعنا من أخذ هذا العلم والاقتباس منه والانتفاع به، بل هي توجب علينا ذلك إيجاباً, إن التكنولوجيا لا تشترى شراء، فتلك التي تشترى لا تطور المجتمع، فهي تساعد على الاستهلاك لا الإنتاج، والتقليد لا الإتباع, إن التكنولوجيا يجب أن تنبت عندنا، وأن تتفاعل مع واقعنا، وأن نحملها نحن, ولا يظنَنّ ظان أن ما نملكه اليوم من أجهزة ومعدات يجعلنا عصريين .

ج. النظرة المستقبلية.

إن من طبيعة المعاصرة ألا نستسلم للحاضر, بل نتطلع دائماً إلى المستقبل, فالنظرة إلى المستقبل لا تقوم على الكهانة والتنجيم، ولكن على الإحصاء والتخطيط، والدراسة والرصد وبناء النتائج على المقدمات, ويجب أن نفيد من دراسات المستقبل التي ازدهرت في الفترة الأخيرة ازدهاراً كبيراً[1].

إنّ الأمة تمر في مرحلة حرجة, وعليه فإنّه لا بد من الإشارة إلى عدد من النقاط الضرورية في هذه المرحلة الحرجة التي تمر بها أمتنا, ومن ذلك ضرورة تواصل الحوار بين دعاة الأصالة, ودعاة المعاصرة، لتصحيح المفاهيم، وتقريب وجهات النظر، والبون الشاسع في الفرقة والاختلاف، كذلك لا بدّ من تأكيد كرامة الإنسان, بدل أن تكون كلّ الجهود منصبة على الماديات, متجاهلة لقيمة الانسان وكرامته, ثمّ إنّه لا تناقض في ثقافتنا بين العروبة والإسلام إذا روعيت قواعد الشرع الحنيف, ولا صراع كذلك في ثقافتنا بين العلم والدين, أو بين العلم والإيمان أو بين العقل والنقل, فالعقل أساس النقل، والنقل يُشيد بالعقل ويحتكم إليه، وأخيراً فإنّه لا تعارض بين الأصالة الحقيقية والمعاصرة الحقيقية, إذا فهمت كل واحدة منهما على حقيقتها, فالأصالة لا تعني العزلة, والمعاصرة لا تعني التقليد والتبعية والدوران في فلك الآخرين.

---

[1] انظر: السليم: فرحان: الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصرة, مرجع سابق, ٣٩/٣٥٤-٣٥٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثاني

التأصيل الشرعي من جواز الاستفادة من غير المسلمين في الجانب المادي

أولاً:- موقف الرأي العام الإسلامي من الانفتاح على الحضارات.

إنّ احتكاك الحضارات المتمايزة ينشأ عنه قضية الموروث والوافد، فأيهما نقدم وأيهما نؤخر، لقد انقسم الناس وتباينت مواقفهم تجاه الانفتاح على الحضارات الأخرى, وخصوصاً الحضارة الغربية, وقد أخذ هذا الاختلاف مسارات عدة انتهت إلى ثلاثة مواقف: أولها يشكك في جدوى أي انفتاح على الحضارات الأخرى, أو يستلهم منها ما هو مفيد ومجد للأمة الإسلامية، كما يوجب الاحتفاظ بالموروث الذي يجعل من الاجتهاد جريمة يعاقب عليها باسم الشرع, والثاني يشكك في قدرة الإسلام في مسايرة ركب الحضارة فضلًا عن اللحوق به, وهذا التيار يعظم من قيمة الحضارات الوافدة ويحاكيها في كل شيء, أمّا الموقف الثالث فهو الموقف الوسط ، وهو استلهام ما كان نافعًا من الحضارات الأخرى دون التأثير على الشخصية الإسلامية، فهناك فرق بين التمايز الحضاري والتبعية الحضارية[1].

ثانياً:- رؤية شرعية حول الاستفادة من الأمم والحضارات الأخرى.

إنّ الأحاديث النبوية التي تمّ إدراجها تحت عنوان الاستفادة في الجانب المادي في المطلب الأول من الفصل الثالث هي بعض من الأدلة على جواز الاستفادة من غير المسلمين في الجانب المادي, ولا داعي لإعادة سردها تجنباً للتكرار.

١. نساء أهل الكتاب وأكل ذبائحهم.

وبخصوص أهل الكتاب من اليهود والنصارى أباح الإسلام التزوج من نسائهم وأكل ذبائحهم, فقد أخرج أبو داود في سننه: من حديث **الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ قَالَ: نَزَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم خَيْبَرَ, وَمَعَهُ مَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ, وَكَانَ صَاحِبُ خَيْبَرَ رَجُلاً مَارِدًا مُنْكَرًا, فَأَقْبَلَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم, فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَلَكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا حُمُرَنَا, وَتَأْكُلُوا ثَمَرَنَا, وَتَضْرِبُوا نِسَاءَنَا؟ فَغَضِبَ يَعْنِي النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ ارْكَبْ فَرَسَكَ, ثُمَّ نَادِ أَلاَ إِنَّ الْجَنَّةَ لاَ تَحِلُّ إِلاَّ لِمُؤْمِنٍ وَأَنِ اجْتَمِعُوا لِلصَّلاَةِ, قَالَ: فَاجْتَمَعُوا ثُمَّ صَلَّى بِهِمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم, ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: أَيَحْسَبُ أَحَدُكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ قَدْ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُحَرِّمْ شَيْئًا إِلاَّ مَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ, أَلاَ وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ وَعَظْتُ وَأَمَرْتُ وَنَهَيْتُ عَنْ أَشْيَاءَ إِنَّهَا لَمِثْلُ الْقُرْآنِ أَوْ أَكْثَرُ, وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُحِلَّ لَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتَ**

[1] - انظر: عِمَاد حَسَن أَبُو العَيْنَيْن: مُخَالفَة أَصْحَاب الجَحِيم اليَهُود وَالنَّصَارَى وَالمشْركِينَ ، ، ص٩٤/٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ بِإِذْنٍ, وَلاَ ضَرْبَ نِسَائِهِمْ, وَلاَ أَكْلَ ثِمَارِهِمْ إِذَا أَعْطَوْكُمُ الَّذِى عَلَيْهِمْ »[1]. وفيهم أيضا يقول الله سبحانه﴿

: لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾"[2].

٢. استعمال أواني المشركين وثيابهم.

أخرج البخاري في صحيحه: من حديث أبو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رضي الله عنه يَقُولُ: **"أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا بِأَرْضِ قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ نَأْكُلُ فِي آنِيَتِهِمْ قَالَ إِنْ وَجَدْتُمْ غَيْرَ آنِيَتِهِمْ فَلَا تَأْكُلُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَاغْسِلُوهَا وَكُلُوا فِيهَا"**[3].

وقد فصل ابن قدامة في المغني القول فيما يتعلق باستعمال أواني المشركين وثيابهم حيث قال:"والمشركون على ضربين:

الضرب الأول:- أهل الكتاب وغيرهم.

فأهل الكتاب يباح أكل طعامهم وشرابهم والأكل في آنيتهم ما لم يتحقق نجاستها قال ابن عقيل: لا تختلف الرواية في أنه يحرم استعمال أوانيهم. وذلك لقول الله تعالى:﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾[4].

فقد أخرج مسلم في (صحيحه): من حديث **عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ قَالَ: "أَصَبْتُ جِرَابًا مِنْ شَحْمٍ يَوْمَ خَيْبَرَ, قَالَ: فَالْتَزَمْتُهُ, فَقُلْتُ: لاَ أُعْطِى الْيَوْمَ أَحَدًا مِنْ هَذَا شَيْئًا, قَالَ: فَالْتَفَتُّ, فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم مُتَبَسِّمًا"**[5].

---

[1] أبو داود السجستاني: سنن أبي داود كتاب الخراج، باب في تغشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات،حديث رقم:٣٠٥٢،ج١،ص:٥٠٥،صححه الألباني في الصحيحة, ج٢،ص٤٥٦.

[2] الممتحنة :[٨ ، ٩].

[3] محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري, كتاب الذبائح، باب مَا جَاءَ فِى التَّصَيُّدِ ،حديث رقم:٥٤٨٨،ج١،ص:٧٨١.

[4] [المائدة ٥].

[5] مسلم بن الحجاج النيسابوري : صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير ، باب أخذ الطعام من أرض العدو ،حديث رقم:٤٧٠٤،ج:٥،ص:١٦٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأخرج أحمد في (مسنده): من حديث أنس "أَنَّ يَهُودِيًّا دَعَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى خُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ فَأَجَابَهُ"[1], وتوضأ عمر من جرة نصرانية[2], وهل يكره له استعمال أوانيهم ؟ على روايتين إحداهما لا يكره لما ذكرنا والثانية يكره لما روى أبو ثعلبة الخشني أبو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رضي الله عنه يَقُولُ: "أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا بِأَرْضِ قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ نَأْكُلُ فِي آنِيَتِهِمْ قَالَ إِنْ وَجَدْتُمْ غَيْرَ آنِيَتِهِمْ فَلَا تَأْكُلُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَاغْسِلُوهَا وَكُلُوا فِيهَا"[3], وأقلّ أحوال النهي الكراهة, ولأنهم لا يتورعون عن النجاسة, ولا تسلم آنيتهم من أطعمتهم, وأدنى ما يؤثر ذلك الكراهة, وأما ثيابهم فما لم يستعملوه, أو علا منها كالعمامة والطيلسان والثوب الفوقاني فهو طاهر لا بأس بلبسه, وما لاقى عوراتهم كالسراويل والثوب السفلاني والازار فقال أحمد: أحب إلي أن يعيد يعني من صلى فيه فيحتمل وجهين أحدهما وجوب الإعادة وهو قول القاضي وكره أبو حنيفة و الشافعي الأزر والسراويلات, لأنهم يتعبدون بترك النجاسة, ولا يتحرزون منها فالظاهر نجاسة ما ولي مخرجها, والثاني لا يجب, وهو قول أبي الخطاب لأن الأصل الطهارة فلا تزول بالشك.

الضرب الثاني:- المجوس وعبدة الأوثان ونحوهم.

فحكم ثيابهم حكم ثياب أهل الذمة, وأما أوانيهم فقال القاضي: لا يستعمل ما استعملوه من آنيتهم لأن أوانيهم لا تخلو من أطعمتهم وذبائحهم ميتة, فلا تخلو أوانيهم من وضعها فيها, وقال أبو الخطاب: حكمهم حكم أهل الكتاب, وثيابهم وأوانيهم طاهرة مباحة الاستعمال ما لم يتيقن نجاستها وهو مذهب الشافعي, لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه توضؤوا من مزادة مشركة[4] متفق عليه، ولأن الأصل الطهارة فلا تزول بالشك فظاهر كلام أحمد رحمه الله مثل قول القاضي فانه قال: في المجوس لا يؤكل من طعامهم إلا طعامهم إلا الفاكهة لأن الظاهر نجاسة آنيتهم المستعملة في أطعمتهم فأشبهت السراويلات من ثيابهم ومن يأكل الخنزير من النصارى في موضع يمكنهم أكله أو يأكل الميتة أو يذبح بالسن والظفر ونحوه فحكمه حكم غير أهل الكتاب لاتفاقهم في نجاسة أطعمتهم ومتى شك في الإناء هل استعملوه في أطعمتهم أو لم يستعملوه فهو طاهر لأن الأصل طهارته ولا نعلم خلافا بين أهل

---

[1]: أحمد بن حنبل الشيباني:مسند الإمام أحمد بن حنبل, , ج: ٢٠,ص: ٤٢٤, حديث رقم:١٣٢٠١, تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.

[2] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ، كتاب الطهارة، باب التَّطَهُّرِ فِى أوَانِى الْمُشْرِكِينَ إِذَا لَمْ يُعْلَمْ نَجَاسَةٌ، حديث رقم :١٣٠،ج ١،ص: ١٥٩،من حديث زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ عُمَرَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ تَوَضَّأَ مِنْ مَاءٍ نَصْرَانِيَّةٍ فِى جَرَّةٍ نَصْرَانِيَّةٍ،صححه النووي في خلاصة الأحكام(النووي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام ،تحقيق : حققه وخرج أحاديثه: حسين إسماعيل الجمل ،مؤسسة الرسالة - لبنان – بيروت ،ط١٩٩٧،١،ج١،ص:٨٢).

[3] البخاري: محمد بن إسماعيل صحيح البخاري كتاب الزكاة، باب خَرْصِ التَّمْرِ ،حديث رقم:١٤٨١،ج١،ص:٢٠١.

[4] البخاري: محمد بن إسماعيل صحيح البخاري ،كتاب التيمم، باب الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه من الماء،حديث رقم: رقم:٣٤٤،ج١،ص:٥٤،واخرجه مسلم ،كتاب المساجد ومواضع المسافرين،باب باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها،ج١،ص١٦٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العلم في إباحة الصلاة في الثوب الذي نسجه الكفار فإن النبي صلى الله عليه و سلم وأصحابه إنما كان لباسهم من نسج الكفار فأما ثيابهم التي يلبسونها فأباح الصلاة فيها الثوري وأصحاب الرأي وقال مالك : في ثوب الكفار يلبسه على كل حال إن صلى فيه يعيد ما دام في الوقت ولنا أن الأصل الطهارة ولم تترجح جهة التنجيس فيه أشبه ما نسجه الكفار"[1], وعند المالكية: لا تجوز الصلاة في ثوب الكافر كتابياً أو غيره إلا إذا حصل يقين بطهارتها أو غلب ذلك على الظن، قال خليل في مختصره: ولا يصلى بلباس كافر[2], وقال الدسوقي في حاشيته: لا يجوز حتى لذلك الكافر إذا أسلم أن يصلي في ذلك اللباس حتى يغسله، كما رواه أشهب عن مالك ثم إن محل الحرمة إذا جزم بعدم الطهارة أو ظن عدمها أو شك في الطهارة أما لو تحققت طهارته أو ظنت فإنها تجوز الصلاة فيها"[3], وعلى القول بنجاسة ثياب الكفار، سواء كانوا كتابيين أو غيرهم يجوز الانتفاع بها بلبسها والنوم فيها في غير وقت مظنة حصول العرق فيها, قال الخرشي في شرحه لمتخصر خليل: والمعنى أن الشيء المتنجس وهو ما كان ظاهراً في الأصل وأصابته نجاسة كالثوب المتنجس والزيت ونحوه تقع فيه فأرة أو نجاسة يجوز الانتفاع به في غير مسجد وغير أكل آدمي كبير أو صغير عاقل أو مجنون مسلم أو كافر، وإنما قدرنا أكل آدمي إذ لا يصح نفي كل منافع الآدمي لجواز استصباحه بالزيت وعمله صابونا وعلفه الطعام المتنجس للدواب والعسل المتنجس للنحل، وهو من منافعه ولبسه الثوب المتنجس ونومه فيه ما لم يكن وقتاً يعرق فيه قاله في المدونة[4], وحاصل الأمر أن ما يتعلق بالآنية فيفرق فيها بين أهل الكتاب وغيره، فآنية أهل الكتاب طاهرة ما لم تتحقق نجاستها وقيل بكراهتها لعدم تورعهم عن النجاسة.

أما المجوس وعبدة الأوثان فظاهر كلام الإمام أحمد أنها نجسة لا تستعمل لأن ذبائحهم ميتة وقال الشافعي بطهارتها, وبالنسبة للثياب فيستوي فيها الكتابي وغيره, فما كان منها غير مستعمل, أو كان بعيداً عن العورة فهو طاهر تباح فيه الصلاة عند غير المالكية إذا لم تتحقق طهارته, أو يغلب ذلك على الظن، وما كان ملامساً للعورة فعند أحمد يعيد من صلى فيه, وحمل ذلك على وجوب الإعادة وعدمه, وبالكراهية قال الشافعي وأبو حنيفة

٣. الاستعانة بالكفار.

---

[1] المقدسي عبد الله بن أحمد بن قدامة، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥، دار الفكر – بيروت،ج١،ص:٩٧.

[2] الجندي: خليل بن إسحاق ،مختصر خليل ،تحقيق أحمد جاد ،دار الحديث،القاهرة ط ١، ١٤٢٦هـ،ج١،ص:١٧.

[3] الدسوقي :محمد بن أحمد ،حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١٨٢/١ ، المدونة الكبرى، مالك بن أنس بن مالك رواية : ابن سحنون ١٣٢/١

[4] ابن مالك :مالك بن أنس :المدونة الكبرى، رواية : ابن سحنون ١٣٢/١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد قامت الأدلة من الكتاب والسنة وعمل السلف على جواز الاستعانة بغير المؤمنين وغير الصالحين على ما فيه خير ومنفعة للمسلمين[1], فقد استعان الخلفاء من بنى أمية وبنى العباس بأرباب العلوم والفنون من الملل المختلفة فيما هو من فنونهم على أعين الأئمة والأعيان والفقهاء والمحدثين بدون نكير, فالاستعانة بالكفار وأهل البدع والأهواء على مصالح المسلمين، فإن كانت بأموالهم وكانت لمصلحة دينية أو منفعة دنيوية ولم تشتمل على معنى الإذلال والولاية المنهى عنها، فلا نزاع فى جوازها، خصوصا إذا نظرنا للكفار وأهل الذمة من جهة أنهم نقضوا العهود وتمردوا على الأحكام فإنه لا بأس بتناول أموالهم والانتفاع بها متى أمنت الفتنة والرذيلة وقد قبل النبى صلى الله عليه وسلم الهدية من المشركين، ففى صحيح البخارى قال أبو حميد : "**أهدى ملك أيله للنبى صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء وكساه بردا وكتب له ببحرهم**"[2], فالاستعانة بهم فى أمور الدنيا فالذى يظهر أنه لا بأس بها سواء كانت فى أمر ممتهن كنزع الكنائف أو فى غيره كعمل المنابر والمحاريب والخياطة ونحوها انتهى – وكتب على قوله تعالى:﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾"[3]ما نصه قال ابن عباس . نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يباطنون نفرا من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقيل لأولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا لزومهم ومباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم فأبى أولئك النفر إلا مباطنتهم وملازمتهم فأنزل الله هذه الآية ونهى المؤمنين عن فعلهم[4], وحكى فى سبب نزول الآية غير ذلك, ثم أفاد أنّ المنهى عنه من الموالاة ما يقتضيه الإسلام من بغض وحب شرعيين يصح التكليف بهما، لما قالوا إنّ المحبة لقرابة أو صداقة قديمة أو جديدة خارجة عن الاختيار معفوة ساقطة عن درجة الاعتبار . وحمل الموالاة على ما يعم الاستعانة بهم فى الغزو مما ذهب إليه البعض . ومذهب الحنفية وعليه الجمهور أنه يجوز ويرضخ له .

---

[1] انظر: عبده :محمد : فتاوى الأزهر : الاستعانة بغير المسلمين وغير الصالحين على مافيه الخير جائزة ، محرم ١٣٢٢ هجرية (ج ٦ / ص ٦٠)

[2] البخاري: محمد بن إسماعيل صحيح البخاري كتاب الجزية ، باب إذا وَادَعَ الإِمَامُ مَلِكَ القَرْيَةِ هَلْ يَكُونُ ذَلِكَ لِبَقِيَّتِهِمْ ،حديث رقم:٣١٦١،ج١،ص:٤٢٨.

[3] [آل عمران ٢٨]

[4] الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ٣١٤/٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لبدر فتبعه رجل مشرك كان ذا جراءة ونجدة ففرح أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم حينما رأوه، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ارجع فلن أستعين بمشرك[1], فمنسوخ [2] لأن النبى صلى الله عليه وسلم استعان بيهود بنى قينقاع ورضخ لهم واستعان بصفوان بن أمية فى هوازن, وذكر بعضهم جواز الاستعانة بشرط الحاجة والوثوق, أما بدونها فلا تجوز, وعلى ذلك يحمل خبر عائشة، وكذا ما رواه الضحاك عن ابن عباس فى سبب نزول الآية, وبه يحصل الجمع وأدلة الجواز, ومما أشار إليه من أدلة المنع والجواز ما رواه أحمد أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال للرجل الذى تبعه ارجع فلن أستعين بمشرك، ثم تبعه فقال له تؤمن بالله ورسوله قال: نعم, فقال له فانطلق وعن الزهرى أنّ النبى صلى الله عليه وسلم استعان بناس من اليهود فى خيبر وأسهم لهم[3].

وأنّ قرمان خرج مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وهو مشرك فقتل ثلاثة من بنى عبد الراد حملة لواء المشركين حتى قال صلى الله عليه وسلم: " **إن الله ليُؤَيِّدُ هذا الدين بالرجل الفاجر**"[4], كما ثبت ذلك عند أهل السير, وخرجت خزاعة مع النبى صلى الله عليه وسلم على قريش عام الفتح, وقد تصدى أئمة الحديث والفقهاء إلى الجمع بين هذه الآثار بأوجه منها ما تقدم .

وحكى فى البحر عن العترة وأبى حنيفة وأصحابه أنه تجوز الاستعانة بالكفار والفساق حيث يستقيمون على أوامره ونواهيه واستدلوا باستعانته صلى الله عليه وسلم بناس من اليهود وبصفوان بن أمية يوم حنين قال فى البحر: وتجوز الاستعانة بالمنافق إجماعا لاستعانته صلى الله عليه وسلم بابن أبى وأصحابه"[5] .

فالاستعانة بالكفار وأهل البدع والأهواء متى خلت عما أومأنا إليه فلا بأس بها, بل هى من الأمر المشروع كما تقدم, وقد علمت نظيرها فى القرون الفاضلة المشهود لها بالخير متى كانت الاستعانة من هؤلاء لنصرة الملك, وحفظ حوز الملة, وحينئذ لا يجوز لأحد من الناس أن يعارضهم فى هذه الأعمال الجليلة, ويسعى فى تثبيط الهمم عن معاونتهم, بل

---

[1] النيسابوري : صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير ، باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر ،حديث رقم: ١٨١٧،ج١،ص:٤٧٨.

[2] الألوسي، روح المعاني –١٢٠/٣

[3] اخرجه الضياء المقدسي، في الأحاديث المختارة مما ليس في الصحيحين أو أحدهما، وقال الضياء في المختارة :رواه الزهري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعان بناس من اليهود في غزاة فأسهم له لم ،قال:أره عن مالك إلا عن إسماعيل والله أعلم ورواه علي بن المديني عن سفيان بن عيينة عن يزيد بن يزيد بن جابر عن الزهري ،مرسلا وقال سفيان لم نجد هذا إلا عند يزيد إسناده ضعيف،،حديث رقم: ٩٧٧ ج٧،ص:١٨٩.

[4] البخاري: محمد بن إسماعيل صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير ، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر ،حديث رقم:٣٠٦٢،ج١،ص:٤١٣

[5] الشوكاني محمد بن علي بن محمد ،نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار ،إدارة الطباعة المنيرية،ج٨،ص:٢٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الواجب على كل واحد من أفراد الأمة أن يشاركهم فى هذا العمل لأنه من البر والخير. وقد قال تعالى ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[1] ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾[2]. والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا, والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه .

إنّ حقيقة ما جاء فى الآيات الدالة على النهى عن موالاة غير المؤمنين, أو مودة الفاسقين والمحادين لله تعالى, أنّه نهى عن الموالاة فى الدين, ونصرة غير المؤمن على المؤمن فيما هو من دينه, وإمداد الفاسق بالمعونة على فسقه، وعن اتخاذ بطانة من غير المؤمنين يكون من صفتها أنها تبذل وسعها فى خذلانهم وإيصال الضرر إليهم, فيكون إدلاء المؤمنين إليها بأسرارهم, وغلب الظن بالمنفعة, ولم يكن فى الموادة معونة على تعدى حدود الله, ومخالفة شرعه, فلا حظر فى الاستعانة بمن لم يكن من المسلمين, أو لم يكن من الموفقين الصالحين ممن يسمونهم أهل الأهواء، فإن طالب الخير يباح له بل ينبغي له أن يتوسل إليه بأية وسيلة توصل إليه ما لم يخالطها ضرر للدين أو للدنيا .

وقد بينت السنة وعمل النبى صلى الله عليه وسلم ما صرح به الكتاب في قوله تعالى { لا ينهاكم الله } الخ ولقد كانت لنا أسوة حسنة فى استعانة رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفوان بن أمية فى حرب هوازن, وفى غيرها من الوقائع كما هو معروف في السنة, ثم كان في سيرة الخلفاء الراشدين ما فيه الكفاية لمسترشد إذا استرشد فقد أنشأ عمر رضي الله عنه الديوان, ونصب العمال, واحتاج المسلمون إلى من يقوم فى العمل فى حساب الخراج وما ينفق من بيت المال, واحتاجوا إلى كتاب المراسلات, والقوم أميون لا يستطيعون القيام بما كان يطلبه العمل من العمال, فوضعوا ذلك كله في أيدي أهل الكتاب من الروم, وفى أيدي الفرس, ولم يزل العمل على ذلك في خلافة بني أمية بعد الراشدين إلى زمن عبد الملك بن مروان، ولا شك في أنّ هذا استعانة بغير المسلمين على أعمال هي من أهم أعمالهم، فكيف ينكر هؤلاء جواز تلك الاستعانة، بل قد استعان كثير من ملوك المسلمين بغير المسلمين فى حروب.

---

[1] [الحج ٧٧]
[2] [المائدة ٢]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني

ضوابط الأخذ من حضارات الأمم الأخرى والانتفاع بها

لقد تتابعت الحضارات وتوالت على الأرض منذ أن خلق الله عزّ وجلّ الأرض ودبّ فيها الحياة, وقد تباينت هذه الحضارات فيما بينها, فمن حضارة ذات قيم وأخلاق وفكر نيّر, إلى حضارة ذات انحراف وشر مستطير, ولقد جاء الإسلام بأعظم حضارة عرفتها الإنسانية, فامتد شعاع نوره ليشمل الزمان والمكان, ونتيجة لضعف المسلمين وتخليهم عن القيم والثوابت الإسلامية برزت حضارات في عصر التقدم الهائل, وظهرت فكرة تصادم الحضارات, فاستفاد المسلمون من كلّ ما هو جديد, ولا ضير في ذلك ما كان مجال التأثر منضبطاً بضوابط الشرع, وبعيداً عن منهج التقليد والتبعية, ويسير بقالب الإسلام ومنهجه, فالاستفادة من حضارات الأمم الأخرى يلزمه التحصن من مساوئها, بحصني الفكر والأخلاق, فالفكر الإسلامي ربانيّ المصدر ويتسم بالشمولية, وكذلك أخلاق الإسلام وقيمه.

المطلب الأول

الحصانة الفكرية

أولاً:- أهمية الفكر الإسلامي.

"إنّ لكل مجتمع إنساني خصائص تميزه عن غيره، وروابط تشد بين أفراده وتجذبهم، ومقومات تحكم تعاملهم مع بعضهم ومع غيرهم في المجتمعات الأخرى, ويتوقف على هذه المقومات والروابط من الصلاح والتناسق قوة المجتمع وصلاحه من عدمها.

لكنّ تماسك المجتمع وقوته لا تعني أنّه يسير على الحق والهدى والصراط المستقيم، ذلك أنّ القوة غير الهداية, وإنّما تمام الأمر أن تقترن القوة بالهداية، فتكون القوة مجندة لنشر الحق والدفاع عنه، والحق موجهاً للقوة, وعلى هذا فالمجتمع السليم المهتدي هو الذي يسير على الهدى الذي جاء به الوحي المطهر النازل على أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم, فالمجتمع الإسلامي هو الذي ربط بين أعضائه رباط الإيمان, وشدهم التوحيد والشعور بالانتماء إليه، وبمسئولية نشره والدفاع عنه، واتّحدت أهدافهم التي يؤمّلونها في الدنيا والآخرة، وحُكِموا جميعاً بنظامه وشرعه، وتعاملوا بأخلاقه والحقوق التي أوجبها لكل منهم"[1].

ولذلك فإن الرابطة الإيمانية هي أهم الأسس التي يقوم عليها المجتمع المسلم، وبالتالي فهي أهم وأقوى الحصون التي تحصن المجتمع من كيد أعدائه, وأفكارهم المسمومة،

[1] - راجع : عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة. الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية .الطبعة : الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م . ج ٢ /ص ٥٥١-٦٠٦

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وتخطيطاتهم الخبيثة, ولهذا فقد احتضن المجتمع الإسلامي أول المسلمين من كل جنس، ولم يجد الحبشي أو الفارسي أو الرومي حائلاً يمنعهم من الانتساب لهذا المجتمع، بل والتصدر فيه, وقد قرر الله هذه الرابطة والأخوة الإيمانية بقوله:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[1], ذكر ابن كثير في تفسيره للآية: "أي الجميع إخوة في الدين"[2].

أخرج البخاري في (صحيحه): من حديث النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيررضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"**[3], وهذا الحديث مع بيانه لما يجب أن يكون عليه المؤمنون من التوادّ والتراحم والتعاطف والتواصل، مع ذلك بيّن أمراً هاماً، ألا وهو أثر هذه الأخوة القائمة على الرابطة والتعاون الإيماني في حصانة المجتمع وتماسكه وقوته، حيث شبّه مجتمع المؤمنين بالجسد الواحد الذي يهتم سائر أفراده لما يحصل لبعضهم أو يحدث في مجتمعهم من خلل أو خطر، ويتكاتفون لصده, ويؤيد هذا المعنى ما أخرجه البخاري في صحيحه أيضاً: من حديث ابي موسى رضي الله عنه: **"إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا, وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ"**[4].

فالرابطة في المجتمع الإسلامي هي رابطة عقدية، وأخوة إيمانية، وعلى هذا فكلما رسخ الاعتقاد وقوي الإيمان عند أفراد المجتمع، قويت الأخوة والرابطة التي تشد بينهم, وعلى هذا فالمحافظة على سلامة المعتقد ووحدته يتطلب المحافظة على الناحية الفكرية المؤثرة فيه، من أجل استدامة تلك الأخوة القائمة عليه, وسلامتها من النزعات المخالفة وما ينتج عنها من فرقة وشتات, فالعقيدة الإسلامية ليست فكراً، وإنما هي وحي من عند الله، وهي غذاء الفكر الإسلامي وقاعدته, وقد بيّن الله أن التفكر في الآيات الكونية، والآيات التنزيلية وما فيها من دلائل التوحيد، والآيات والقصص المشتملة على العبر والمواعظ، بين أنّ ذلك من صفات المؤمنين, قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ

---

[1] [الحجرات:١٠]

[2] القرشي :ابن كثير: إسماعيل بن عمر, ،تفسير القرآن العظيم،ج٤،ص:٢٦٩.

[3] البخاري: محمد بن إسماعيل صحيح البخاري كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم حديث رقم :٦٠١١،ج١،ص:٨٤٠.

[4] البخاري: محمد بن إسماعيل صحيح البخاري كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره حديث رقم :٤٨١،ج١،ص:٧٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[4]، وعلى هذا فالتفكير السديد وظيفة أمر الله بها عباده المسلمين، وهم الجديرون بها، وما ينتج عنه من فكر هو فكر إسلامي قام به المسلم وفق ضوابط الشرع، ومن منطلق العقيدة.

ذكر الأستاذ محمد عبد الله السمان: أنّ العقيدة الإسلامية هي قاعدة الفكر الإسلامية ليكون هذا الفكر في إطار العقيدة، وفي خدمتها، فإذا خرج عن إطارها، أو تجاوز حدودها، أو تحول ليكون في خدمة غيرها، فلن يكون فكراً إسلامياً، ولو زعم هذا ألف مرة ومرة[5].

ثانياً:- أثر الوحدة الفكرية في قوة الأمة واستقلاليتها.

إن وجود الوحدة الفكرية المتمثلة بملء قلوب الناس, وإنارتها بالعقائد السليمة، والمفاهيم الصحيحة، واستئثار الوحي بذلك، وما ينتج عنه من تقارب وانسجام في تفكير أفرادها ضرورة اجتماعية لازمة لاتحاد المسلمين وقوة رباطهم الإيماني مما يؤدي إلى استقلالية الأمة وتميزها.

إنّ تخلّف الوحدة الفكرية وغيابها عن المجتمع المسلم ينتج عنه أحد حالين[6]:

الحالة الأولى:- الفراغ الفكري.

الناتج عن انتشار الجهل, وانصراف الناس عن العلم، وفي هذه الحال يسود المجتمع خليط من الأفكار الفاسدة، والخرافات والتصورات والعادات الجاهلية، ويصبح المجتمع مهيأ لكل فكر ضال، كما أنه في بعض الأحيان يكون صالحاً لدعوات الإصلاح إذا لم تكن فيه بدع مستحكمة، ومفاهيم منحرفة مقدس

---

[1] [آل عمران:١٩١]
[2] [يونس:٢٤]
[3] [الأعراف:١٧٦]
[4] [الرعد:٣، الزمر:٤٢، الجاثية:١٣]. ونحوها.
[5] انظر: ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر، المصدر السابق المنعقدة بالبحرين في ١٤٠٥/٦/٣هـ ص٩٦، ٩٧، ١٧٧، الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ط: الأولى، ١٤٠٧هـ . ص٤٧.
[6] ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر، المصدر السابق الصفحات نفسها.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الحالة الثانية:- الفرقة الفكرية.

ومردها إلى الفوضى الفكرية، حيث تنتشر المعارف وتقوى حركة التعليم، مع اختلاف مشارب الأفراد الفكرية, فيجهر المبطلون بالضلال, ويتفننون في عرضه على الناس، وعندها يتوزع أبناء المجتمع الواحد إلى طوائف, كل طائفة تسير خلف فكرة ومبدأ، ويزخرف كل فريق مبدأه، إما بتقريبه إلى الإسلام بالاستدلال الفاسد، أو بتقديمه على أنه الجديد المفيد المتجاوب مع مستجدات العصر، مع دعوى أنه لا يتعارض مع أصول الإسلام, وقد يتمادى الأمر فيتجرأ المفسدون على مدح الكفر والإلحاد والتشكيك والاستهزاء بمسلمات الدين بلا خوف ولا حياء, وفي هذه الحال يتفكك المجتمع ويعادي بعضه بعضاً، وتزول رابطة الإيمان كرباط مشترك لجميع أفراده، وإنما تبقى رابطة بين أفراد طائفة من طوائفه، هي التي التزمت به وأخذت على عاتقها مسئولية تنفيذه والدفاع عنه, وسيجد كل فكر خبيث خارجي فئة في المجتمع تسير على مبدئه، فيعمل من خلالها داخل المجتمع, عندها يصبح من المتعذر اجتماع أفراد المجتمع على تحكيم نظم الإسلام، فتستبدل به الفكرة بالفكر المدمرة لكيان المجتمعات الإسلامية، ألا وهي الديمقراطية التي يحكم الناس بها الأهواء والقوانين الوضعية, ويصبح بذلك أهل الإيمان المستمسكون به -في أحسن أحوالهم- طائفة من طوائف المجتمع ليس لهم إلا المجادلة عن أنفسهم, بدل أن يكون الإسلام هو المهيمن على الجميع وكلمة الله هي العليا, هذا مع أنّ اجتماع الناس في المجتمع الذي مزقته الفوضى الفكرية على الديمقراطية أو غيرها لا يكون في الغالب -كما يشاهد من الواقع- إلا بعد حروب أهلية طاحنة يتجرع فيها الناس أصنافاً من العذاب، ويذيق بعضهم بأس بعض.

ثالثاً:- سبل المحافظة والعوامل اللازمة للمحافظة على الوحدة الفكرية.

إنّ العمل للمحافظة على الجانب الفكري في المجتمع الإسلامي -بغرض إخلاصه للتلقي عن الوحي المطهر في جانب العقيدة والعبادات والأخلاق والآداب- يجب أن يكون في اتجاهين هامين: التطهير والتزكية.

١. التطهير.

والمراد به: تطهير الجانب الفكري في المجتمع الإسلامي من الفكر الدخيل، وذلك يشمل تحصين المجتمع من تسلل الأفكار الغازية, ومحاربة وسائل اتصالها بالمجتمع، كما يشمل مراجعة ما ينسب إلى الإسلام من العلوم والمعارف، وعرضه على ميزان الشرع، وبذلك يبقى الوحي الإلهي وحده هو المغذي للقلوب والأفهام, والموجه للسلوك والإرادات, والاستغناء بالوحي أصل قرره الإسلام, واعتنى به لما له من الأهمية في خلوص قلوب العباد

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأعمالهم لله وحده، ثم اتحادهم على تقوى الله والولاء لدينه، فالواجب على المسلمين الاكتفاء بكتاب الله, وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فالخير كل الخير في الاهتداء بهما, وفي الحديث الشريف الذي أخرجه مسلم في صحيحه: من حديث جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**"[1].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾[2]. وقال تعالى:﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٢٣ ﴾[3]. فوصف الله كتابه بأنه أحسن الحديث لما يشتمل عليه من العلوم الحسنة، والأخلاق والآداب الفاضلة، والعبر القيمة، فهو حسن لما يشتمل عليه من الدلائل والمعاني، كما أنه حسن لفصاحته وبلاغته بإعجازه، ثم بيّن تعالى أثر كلامه على عباده المؤمنين، وأنّه هو الطريق إلى هدايتهم لا طريق غيره.

قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾[4]. ومن تركه إلى غيره ضلّ, وقال تعالى:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾[1]. والكامل غني بنفسه عن غيره.

---

[1] النيسابوري : صحيح مسلم كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه و سلم، حديث رقم :١٢١٨،ج١،ص:٣٠٠.

[2] [الإسراء:٩]

[3] [الزمر:٢٣]

[4] [الزمر:٢٣]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ذكر ابن حجر في الفتح:

وقد توسع من تأخر من القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم، ولم يقتنعوا بذلك حتى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلاً يردون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل, ولو كان مستكرهاً، ثم لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أن الذي رتبوه هو أشرف العلوم وأولاها بالتحصيل، وأنّ من لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عاميّ جاهل، فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف، واجتنب ما أحدثه الخلف[٢].

خطوات التصحيح الفكري في المجتمع المسلم.

وإذا تبيّنت أهمية هذا الأصل، وأنّ على الأمة أن تعتني بالوحي وتستغني به، وتحارب كل فكر دخيل، وتقطع منافذه، وذلك في سبيل تحقيق الوحدة الفكرية, إذا تبيّن هذا فإنّ تطهير المجتمع المسلم يتم من خلال ثلاث خطوات هامة:

١. عزل المجتمع عن أفكار وثقافات وآداب المجتمعات الجاهلية.

فكما أنّ الأمم تقوم بمكافحة الأمراض الحسية، ومقاومة أسباب انتشارها، فكذلك الأمراض الفكرية لا بد من منع أسباب انتشارها، ومقاومة الوسائل الناقلة لها، وتطهير الوسائل التي بأيدينا في جميع المجالات الثقافية والإعلامية والتعليمية والتربوية من شوائبها, فهذه الخطوة لا بد منها لتحصين المجتمع ضد الأفكار المخالفة, وهي خطوة قد فرط فيها المسلمون اليوم، فوسائل الإعلام, والاتصال الثقافي والتعليمي والتربوي القائم في البلاد الإسلامية تنشر أفكار وآداب وفلسفة الأمم الجاهلية على أوسع نطاق من خلال الأفلام والمسرحيات والأغاني والمجلات والمقابلات, والمكتبات يوضع فيها ما هبّ ودبّ من المطبوعات الوافدة من كل مكان، وتفتح أما المسلم أيا كان مستوى وعيه وتعليمه، ليطلع على ما شاء دون موجه أو رقيب، وقد تبنت كثير من الدول الإسلامية دعوى الحرية الفكرية، وأقامت مؤسساتها الفكرية على أساسها, ولا شك أن هذه الفوضى الفكرية ستولد قناعات واتجاهات تخالف النهج الإسلامي القويم، وذلك سيوجد خلافاً فكرياً يعمل على تمزق المجتمع وتنافره، كما أن التفريط في هذه الخطوة يعتبر من أعظم الثغرات التي يتسلل منها الحاقدون على الإسلام، فينشرون المبادئ الهدامة، والأفكار الخبيثة التي تولد الشك والارتياب والكفر والزندقة .

---

[١] [المائدة:٣]

[٢] انظر: ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي ، فتح الباري ٢٥٣/١٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢. عملية التطعيم لأفراد المجتمع ضد تلك الأفكار الخبيثة التي يخشى من تسللها إلى المجتمع, أو تُعرض الأفراد لها عند سفرهم, أو احتكاكهم ببعض الجاهليين.

ويتم ذلك بنقد وتفنيد الأسس والمبادئ التي تقوم عليها تلك الأفكار, ودحض حججهـا, وبيان بطلانها، وبالمقابل التركيز على بيان محاسن الإسلام, ومزاياه العظام, ثم تكوين القدرة العلمية لدى المسلم للدفاع عن عقيدته وقيمه عند المواجهة، وتبصيره بوسائل الأعداء المباشرة وغير المباشرة للغزو الفكري والثقافي والحضاري, وهذه الخطوة قد قام بها علماء الإسـلام ومفكروه ودعاته إلى حد كبير، حيث نقدوا مقومات المجتمعات الجاهلية القديمـة والحديثـة، وبينوا ما فيها من التناقض والمخالفة للمنقول والمعقول، وما ينتج منها من أضرار محسوسة, إلا أن هذا العطاء القيم ظل محصوراً عند العلماء والدعاة وطـلاب العلـم وعلـى رفـوف المكتبات، وفي الجامعات التي تُعنَى بالدعوة والدراسات الإسلامية، وذلـك أن الإعـلام فـي معظم الدول الإسلامية لم يحمل رسالة تبليغه إلى جمهور الأمة, ولم ينتفع منه، بل هـو فـي كثير من الأحيان يضاده, وكذلك الحال في التعليم العام, وغيره من المجالات التي لها دور في التأثير على الناحية الفكرية لا يزال بعيداً كل البعد عن مسايرة ذلك العطاء، بل هو يسير في اتجاه نشر وتأييد بعض الأفكار الجاهلية، إن لم يكن قد أسس عليها وانطلق منها .

ج. تنقية الفكر المنسوب للإسلام في جميع ميادينه من الفكر الدخيل الزائف.

وهذه الخطوة من خطوات التطهير لازمة لتحقيق الوحدة الفكرية، ذلك أن الفكـر الدخيل كان من أهم أسباب تفرق المسلمين في القديم والحديث, ويتم ذلـك إذا اتحـدت همـم العلماء والدعاة المخلصين، وجميع العاملين في خدمة الإسلام، والساعين من أجل عزته، على إرجاع أحوال المسلمين ومناهجهم وأوضاعهم إلى الكتاب والسنة، والاتفاق على التلقي مـن الوحي المطهر، ونبذ ما استمد من غيره.

ذكر محمد قطب:

"وأول ما نبدأ به من هذا الجهد، هو تصحيح منهج التلقي, من أين نتلقى فهمنـا لهـذا الدين؟ من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم, وسيرة السلف الصالح رضـوان الله عليهم؟ أم مما دخل على هذا الفهم الواضح المستقيم من أفكار دخيلة ومنحرفة، بتأثير عوامل متعددة في أثناء المسيرة الطويلة للأمة الإسلامية، واحتكاكها الدائم بأخلاط مـن المـذاهب، وأخلاط من الأفكار؟ فإذا صححنا منهج التلقي، وصححنا بناء على ذلك ما انحرف في حـس المسلمين المتأخرين من مفاهيم الإسلام الرئيسية، بقيت علينا مهمة أخرى لا تقل خطراً، هي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مهمة التربية على المفاهيم الصحيحة لهذا الدين. والتربية هي الجهد الحقيقي الذي ترجى معه الثمرة، ولكنه لن يؤتي ثمرته حتى يقوم على أساسه الصحيح"[1].

ثانياً:- التزكية.

والمراد أنّ العمل من أجل تحقيق الوحدة الفكرية بين المسلمين في سبيل توحيدهم وتقوية الرابطة الإيمانية بينهم، كما أنّه يستلزم التطهير فهو يستلزم أيضاً تزكية الأفراد بنشر العلم بينهم, وتلقينهم العقائد الإسلامية بأدلتها، كما دلّ على ذلك كتاب ربنا، وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم, وسار عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم, ومن ثمّ تربيتهم على الأخلاق الفاضلة، والآداب الحميدة، وإعطاء كل فرد ما يحتاج إليه من أحكام الشريعة، لكي يُعبد الحق, ويعامل الخلق على بصير, وفي سبيل تحقيق ذلك تسخر جميع طاقات الأمة الفكرية, ووسائل الاتصال العامة, والتعليم والتربية والتثقيف، في خدمة هذا الهدف العام, ومن ذلك الاهتمام بالأسرة التي هي الوحدة الاجتماعية الأولى في المجتمع، وهي أول مدرسة يتلقى منها الطفل مبادئه ومفاهيمه, فلا بد من تأسيسها على الارتباط الوثيق بالمعتقدات, والشرائع والأخلاق والآداب الإسلامية، وتاريخ الأمة وهمومها, وأهدافها وتحدياتها، وأن يسودها الاعتزاز بالإسلام، والشعور بالمسئولية عن إقامته، والدعوة إليه، والدفاع عنه، والحماس لقضاياه, وتطهير الأسرة من الثغرات التي تتسلل منها أفكار الجاهلية وخصائصها مهم وضروري, وأهم هذه الثغرات: أجهزة التلفاز والفيديو والإذاعات والجرائد والكتب ما كان منها ينشر الفكر والأدب الجاهلي، وكذلك الاختلاط بالكفار والمشركين والمنافقين.

إنّ من أهم مقومات تزكية الأسرة إدراك كل من الزوجين مسئوليته ودوره، وتعلمه أمر دينه، والحقوق المناطة به، وتخصيص وقت كاف لتعلم ذلك, كما أنّ العناية بالمرأة مهم جداً في صلاح المجتمع, وسلامة وحدته الفكرية, فصلاح المرأة سبب في صلاح الجيل، حيث إنها المدرسة والمربية الأولى لأطفالها، كما أنّ فسادها فساد للجيل الذي تتولى تربيته, ولذلك يوجه الأعداء مخططات محمومة مسعورة، وبوسائل مختلفة لإفساد النساء لعلمهم أنهن أمهات الجيل القادم، وكسبهن يعني كسب ذلك الجيل، ولما لهن من الأثر -عند فسادهن- في إفساد الرجال وتخريب البيوت، وشتات الأسر.

لقد اهتم الإسلام بتنظيم وبيان جميع ما يخص المرأة، فما على الزوجين إلا تعلم ذلك, والعمل به، كما أهتم علماء الإسلام ومفكروه بهذا الجانب، ومؤلفاتهم تزخر بها المكتبات الخاصة والعامة.

---

[1] قطب :محمد ، مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص١٣، ١٤ دار الشرق القاهرة، ط: الثالثة، ١٤٠٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وليست هذه مسئولية الزوجين فقط، بل المجتمع يجب عليه أن يتخذ الأسباب التي تضمن تعلم كل منهما ما يهمه ويحتاج إليه من أمور الدين، ويتم ذلك بالعناية بالجوانب التالية:

١. الاهتمام بالتعليم والتربية في جميع مراحله، وإقامة أنظمتها واستمداد مناهجها وسياساتها من الكتاب والسنة، والعناية بالمدرسين والمُربين ليكونوا من المتحمسين للإسلام، الهادفين لإخراج جيل يحمل رسالة الإسلام.

٢. تسخير وسائل الإعلام في الدعوة والتعليم والتوجيه السليم المنبثق من تعاليم الإسلام، وضبط قضية الترفيه بالضوابط الشرعية، لكي لا تتحول إلى إشغال وصد عن سبيل الله.

٣. العناية بالمسجد, والعمل على أن يؤديَ دوره التعليمي التربوي لأفراد المجتمع كافة.

فهذه الوسائل مع أنها مؤثرة جداً في سلامة الأسرة, وتزكيتها إذا استغلت استغلالاً حسناً، فهي أيضاً قنوات فكرية هامة مؤثرة في الوضع الفكري العام للمجتمع، فلا بد من تطهير وتزكية وتوحيد لما يبث فيها، لتساهم في تحقيق الوحدة الفكرية المنشودة للمجتمع المسلم, فينبغي أن تكون هذه الوسائل جميعاً تخدم هدفاً واحداً هو التوجيه والتعليم والتربية والتثقيف والترويح في المجتمع المسلم من منطلق تعاليم الإسلام, وفي اتجاه تحقيق أهدافه[١].

وخلاصة القول: أنّ الوحدة الفكرية القائمة على المفهوم الصحيح للإيمان بالله كما قرره الكتاب والسنة وسلف الأمة الصالح, أساس هام لوجود الرابطة الإيمانية بين أفراد المجتمع المسلم، كما أنّ المحافظة عليها لازمة لاستدامة تلك الرابطة, وتلاحم الأفراد واتفاقهم، وعدم اختلافهم.

رابعاً:- صنوف التنوير في العالم الإسلامي.

إنّ حركة التوعية والتثقيف والتحديث والتجديد التي حدثت في العالم الإسلامي منذ قرنين من الزمان قد اتسمت بتأثرها بالطريقة الغربية الدخيلة, وبإعجابها بالغرب وعلومه وتقدمه الفكري والعلمي وبتيار النهضة والإحياء الذي عرف فيه في القرون الأخيرة، واقتفوا أثرهم حذو النعل بالنعل والقُذّة بالقُذة ، وقد أشار النبي عليه الصلاة والسلام إلى ذلك, فقد أخرج الترمذي في سننه من حديث عَبْدِ اللهِ بْن عَمْرو رضي الله عنه قالَ : **قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" لَيَأتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلاَنِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ**

---

[١] المرجع السابق.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي"[1].

وأخرج البخاري في (صحيحه) من حديث أبي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ : **أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ, قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟"**[2].

"وهناك من يقول بأن تيار التنوير في العالم العربي الحديث بدأ مع الحملة الفرنسية البونابارتية على مصر ١٧٩٨م، وما أحدثته هذه الحملة من صدمة ثقافية وحضارية ووعي فكري وثقافي، وقد وجدنا من ينظر إلى هذه الحملة اليوم نظرة إيجابية استحسانية، ويطالب بإعادة تقويم هذه الحملة, وإعادة تحليل أهميتها وآثارها والحكم عليها من وجهة النظر التنويرية التقدمية التاريخية, ولكن لنا أن نتساءل: هل فهم رجال الإصلاح والتجديد المسلمون التنوير كما فهمه رواد حركة التنوير في أوروبا؟ وهل اقتفوا أثرهم حذو النعل بالنعل والقُدّة بالقُذة؟, أم أنهم فهموه بمعنى الإصلاح والتجديد والتحديث من الداخل, وفي إطار منظومة العقائد والقيم الإسلامية الأساسية مع اختلاف في الدرجة والمقدار؟ وهل يجوز أن نضع جميع دعاة الإصلاح والتجديد في العالم الإسلامي الحديث في سلة واحدة, وأن نضمهم في حُزمة واحدة؟ وهل هناك تنوير واحد أم "تنويرات" أي أنواع متعددة من التنوير قد تختلف قطبياً وجذرياً، وقد تتنوع في المسارات والطرائق؟ هل يمكن الحديث عن تنوير إسلامي وتنوير علماني وضعي؟ ومعلوم أنّ هناك فرقاً بين رجال التنوير الحقيقيين, وبين التنويريين المضللين الذين تدق لهم الطبول هنا وهناك, فالتنوير الغربي هو تنوير علماني يستبدل العقل بالدين, ويقيم قطيعة مع التراث، وأنّ التنوير الإسلامي هو تنوير إلهي لأن الله والقرآن والرسول أنوار تصنع للمسلم تنويراً إسلامياً متميزاً يرسم معالمه أعلام التجديد الإسلامي المعاصر, ولنلاحظ هنا التقارب بين مصطلحي التنوير والتجديد, أمّا التنوير الإسلامي فهو يعني تكوين عقلية إسلامية واعية تكون أساس نهضة إسلامية شاملة، وشتان بين هذا المفهوم للتنوير, وبين مفهوم رواد التنوير الغربي العلماني"[3].

لقد كثرت دعاوى التنوير في العالم الإسلامي الحديث وأصبح لها منابر ودعاة كثيرون رغم اختلاف البواعث والخطط والأهداف، وقد سلكت هذه الدعاوى، منذ قرنين من

---

[1] الترمذي :محمد بن عيسى ، سنن الترمذي كتاب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باباقترق الأمة ،حديث رقم:٢٦٤١،ج١،ص: ٦٥٩ ،حسنه الألباني.

[2] البخاري: محمد بن إسماعيل صحيح البخاري كتاب احاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني اسرائيل ،حديث رقم: ٣٤٥٦،ج١،ص:٤٧٣.

[3] راجع : الجربوع: عبد الله بن عبد الرحمن: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة. الناشر : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية .الطبعة : الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م . ج ٢ /ص ٥٥١-٦٠٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الزمان، أي منذ بداية النهضة الإسلامية الحديثة عدة مسالك، وكان لها عدة اتجاهات, ويمكن تصنف هذه الاتجاهات والتيارات في صنفين رئيسيين[1]:

الصنف الأول:- التنوير التغريبي العلماني التحريفي.

الصنف الثاني:- التنوير الإسلامي التجديدي الأصيل.

إنّ هذين الصنفين هما أهم الاتجاهات في دعاوى التنوير في العالم الإسلامي, وفيما يلي تفصيل لكل اتجاه:

الصنف الأول:- التنوير التغريبي العلماني التحريفي.

١. اتجاهات التنوير التغريبي العلماني التحريفي.

إنّ التنوير التغريبي العلماني التحريفي ينقسم إلى اتجاهين هما:

أ. التنوير التغريبي العقلاني الوضعي.

وهذا الاتجاه يكاد أن يكون انعكاساً للتنوير الغربي في أوروبا في منطلقاته وأهدافه, ومن حيث اتباع المنهج الوضعي المادي التجريبي, وما أدى استخدامه إلى الإلحاد, أو إنكار الوحي أو العلمانية الدنيوية, أو الدعوة إلى تجاوز الإيمان بالغيبيات, والأخلاق الدينية, ومتابعة مقررات الحضارة الغربية المادية, والحقيقة أنّ التنوير في محنة وأزمة, ولكن ليس عندنا فقط, بل عند الأوروبيين والغربيين عامة أيضاً, ولكنها محنة التنوير العقلاني المادي الوضعي, وأزمته الناشئة عن تناقضاته الداخلية ونتائجه العبثية اللاإنسانية، وهناك كثير من المفكرين اليوم أصبحوا أكثر جرأة في انتقاد حركة الاستنارة العقلية المادية المتطرفة, وما قادت إليه الغرب، والعالم وراءه من ضياع وصراعات وانتكاس في الغايات والممارسات، وانسداد في أفق المعرفة والمصير الإنساني إلى درجة القول بأن منطق الاستنارة المضيئة والتنوير المشرق يقودنا بالضرورة الى الاستنارة المظلمة والتنوير الظلامي[2].

ب. التنوير التغريبي العصراني التحريفي.

وهو اتجاه نشأ في العالم الإسلامي في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، يسعى إلى محاولة إيجاد مواءمة بين الإسلام وبين الفكر الغربي المعاصر، عن طريق إعادة النظر في تعاليم الإسلام ونصوصه, وتأويلها تأويلاً جديداً ينسجم مع المعارف والأوضاع العصرية السائدة, إنه اتجاه يسعى إلى محاولة التوفيق بين الدين والعصر الحديث, بإعادة

---

[1] راجع : الصباغ :عبد اللطيف الشيخ توفيق الشيرازي :مصطلح التنوير:مفاهيمه واتجاهاته في العالم الإسلامي الحديث نظرة تقويمية محاظرة ٢٠٠٥.

[2] المسيري :عبدالوهاب ،: العلمانية الجزئية والعلمانية، ، ج١ ص/١٨١ ومابعدها، وكذلك ص/٢٨٦ ومابعدها).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تأويل الدين, وتفسير تعاليمه في ضوء المعارف العصرية السائدة, وقد تناول عدد من الباحثين هذه الظاهرة بالعرض والتحليل, واستعمل بعضهم مصطلح (العصرانية) لوصفها, وإن كان عدد من الكتاب قد فضّل استعمال لفظ (التجدد) أو (التطوير) أو (التحديث) أحياناً وأحياناً لفظ (التجديد), والعصرانية لا تعني مجرد الانتماء إلى العصر، بل تعني وجهة نظر في الدين مبنية على الاعتقاد بأن التقدم العلمي والثقافة المعاصرة يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة، ولو أدى ذلك إلى تطويع مبادئ الدين وأحكامه لقيم الحضارة الغربية ومفاهيمها وإخضاعها لتصوراتها ووجهة نظرها في شؤون الحياة.

ملامح اتجاه التنوير التغريبي العصراني التحريفي

وعلى كل حال فقد يكون من المستحسن أن نقدم طائفة من ملامح هذا الاتجاه، نذكر منها[1]:

١. اعتبار القرآن الكريم وحده الأساس لفهم الإسلام، وعدم الاعتماد على الأحاديث.

٢. الاعتماد في فهم القرآن الكريم على نص القرآن وحده, وعلى المعارف والتجارب الذاتية في كل عصر.

٣. الاعتماد على مفهوم المحكم والمتشابه في القرآن الكريم, لتفسيره تفسيراً عصرياً موافقاً لقوانين الطبيعة وتجارب الشعوب.

٤. هناك في القرآن الكريم معانٍ ثانوية وفرعية ليست مقصودة من تنزيل القرآن الكريم وهي مأخوذة من بيئة العرب, ومعارفهم, وظروفهم التاريخية، وبالتالي فإنّ ذكر القرآن الكريم لها لا يعني أنها حقائق مسلّمة.

٥. لا يقبل من الأحاديث إلا ما يتفق مع نص القرآن وروحه, وما يتفق مع العقل والتجربة البشرية, وما لا يناقض حقائق التاريخ الثابتة.

٦. لا يعترف هذا الاتجاه بالإجماع مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي، ويرفض الأخذ بإجماعات الصحابة.

٧. الدعوة إلى الاجتهاد في جميع المجالات, وإطلاق العنان للعقل والتجربة والقوانين الاجتماعية والطبيعية في عملية تفسير القرآن الكريم واستنباط الأحكام، وعدم التحرج من أن

---

[1] انظر: الصباغ :عبد اللطيف الشيخ توفيق الشيرازي ،مصطلح التنوير:مفاهيمه واتجاهاته في العالم الإسلامي الحديث" نظرة تقويمية "محاضرة أعدها وقدّمها أستاذ الملل والنحل والمذاهب المعاصرة بقسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة في يوم الأربعاء ٧ محرّم الحرام ١٤٢٦هـ ج٢٦ ٢٢٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يؤدي ذلك إلى فوضى فكرية بسبب كثرة الأخطاء، لأن تباين وجهات النظر والحرية الواسعة في الفهم والاجتهاد هي الوسيلة الوحيدة لتقدم الأمة كما يدّعون.

٨. عدم تقديس التراث، وإعادة النظر فيه من كل جوانبه وبدون أي تحفظ.

٩. اعتبار التجديد الديني تطوراً, واعتبار التطور الديني قمة التجديد الحق.

١٠. التطور يشمل الدين في جوانبه المختلفة: العقائد والعبادات والمعاملات، فليست فيه أحكام تبقى مع بقاء الزمن, ولا ينالها أي تغيير.

وتندرج تحت هذا الاتجاه جميع محاولات التفسير الحديثة والمعاصرة, وجميع محاولات التطوير والتغيير التي لا تلتزم بالمرجعية الإسلامية ابتداءً, ولا تلتزم بذاتية الإسلام وتميزه، وتتبنّى في فهم النص وتفسيره أدوات وآليات غريبة عن طبيعة الوحي, ومصدره الإلهي, وبعيدة عن قواعد وأصول التفسير والاستنباط المعتمدة في اللغة العربية والتي تجعل من النص دليلاً هادياً ومرجعاً ضابطاً وموجهاً, ويقصد بتلك المحاولات جميع المشروعات التي تنتهي تحت اسم تطوير الفهم والتفسير، وتثوير النص، ودراسته كمعطى مغفل، وتطبيق المناهج الدلالية الحديثة عليه، إلى الالتفاف على النص كمعطى إلهي متعال، وبالتالي إلى تطويعه أو تفريغه أو تعطيله أو تحييده، بحيث يصبح النص قطعة للزينة والتمويه ويستخدم أداة "شرعية" مخادعة لإسقاط جميع الآراء والأهواء والمصالح أو المفاسد عليه، تحت ذريعة أن القرآن حمّال أوجه، وهذا أخطر ملامح التنوير التغريبي التحريفي وأخبثها بامتياز.

إنّ هذا التنوير التحريفي سينتهي بنا بالضرورة إلى إسلام آخر، إسلام غريب الملامح والقسمات، بل إلى إسلام (كاريكاتوري)مضحك الشكل والصورة كالذي نراه من أشكالنا وصورنا في المرايا المحدّبة، فلا نكاد نعرف فيه طعم الإسلام ولا لونه ولا روحه أو رائحته وهذه قمة البهلوانية والتهريج باسم التثوير والتنوير، بل قد يكون ذلك شكلاً من أشكال الباطنية الحديثة.

الصنف الثاني:- التنوير الإسلامي التجديدي الأصيل.

١. اتجاهات التنوير الإسلامي التجديدي الأصيل.

ويمكن تقسيمه إلى اتجاهين اثنين هما التنوير الإسلامي التجديدي التحديثي, والتنوير الإسلامي التجديدي المحافظ:

أ. التنوير الإسلامي التجديدي التحديثي.

وهو اتجاه تجديدي إسلامي يهدف إلى إحياء الإسلام نقياً صافياً من البدع والانحرافات, والالتزام بأصول الدين ومصادره الأصلية، وبخاصة القرآن الكريم والسنة الصحيحة الثابتة،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويتجلى بالدعوة إلى مقاومة الجمود والعصبية والتقليد، وإلى فتح باب الاجتهاد طبقاً لضوابطه وشروطه، لتحديث حياة المجتمع الإسلامي, وحل المشكلات الحديثة التي تطرأ بسبب تطور الأوضاع, وصلة العالم الإسلامي بالعوالم الأخرى، ولكن طبقاً لمنهجية الإسلام نفسه وآليات التفسير والاستنباط المعتمدة عند علماء الأمة الإسلامية ومجتهديها مع تنوع واختلاف هنا وهناك.

والمهم أنّ هذا الاتجاه التنويري التجديدي يلتزم بالمرجعية الإسلامية في منطلقاته وأهدافه وأدواته، ويعتبر التحديث مختلفاً جداً عن التغريب، فالمرفوض هو التغريب، أما التحديث فهو مطلب إسلامي وفطري عميق، وهاهنا مروحة كبيرة واسعة تتدرج تحتها حركات إسلامية شتى، وجماعات علمية دعوية متعددة، ومدارس وجامعات، ومؤسسات مالية واقتصادية واجتماعية وخيرية، وعلماء ومفكرون وكتّاب مسلمون في كل قطر إسلامي وخارج أقطار العالم الإسلامي في الغرب أو الشرق, وهذا الاتجاه هو بلا شك اتجاه تنويري, ولكنه اتجاه تنويري إسلامي بالدرجة الأولى، وهو اتجاه تجديدي، بمعنى أنه يسعى إلى تجديد الدين وإحيائه عقيدة وشريعة ومنهج حياة، وهو اتجاه تحديثي، بمعنى أنه يريد أن يعيش العصر الحديث في إطار أصوله الثابتة الراسخة[1].

وهو لذلك يؤمن بالتغيير والتطوير، ولكنه التغيير والتطور في الأشكال والأساليب والأدوات في إطار علاقة تأثيرية متبادلة ومتفاعلة بين الثوابت والمتحولات, وبين الخالد والمؤقت, وبين الفطري الدائم والاجتماعي العارض، بحيث لا يكون التطور تحريفاً ومسخاً وانفلاتاً، ولا يكون الثبات جموداً وتحنطاً على شكل واحد وأسلوب واحد, وهذه معادلة صعبة تحتاج إلى دقة في التعامل معها.

ب. التنوير الإسلامي التجديدي المحافظ.

وهو اتجاه إسلامي تنويري تجديدي بأكثر معاني التنوير الإسلامي حيْطة وحذراً خشية الانزلاق إلى نزعة تحريفية أو تطويعية تحت اسم التطور أو التحديث, والحقيقة هي أنّ هذا الاتجاه يمثل اتجاه التجديد بمعناه المأثور في الحديث النبوي الشريف, فقد أخرج أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه فِيمَا أَعْلَمُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: **"إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا"**[2].

---

[1] انظر: الصباغ :عبد اللطيف الشيخ توفيق الشيرازي ،مصطلح التنوير:مفاهيمه واتجاهاته في العالم الإسلامي الحديث" نظرة تقويمية "محاضرة أعدها وقدّمها أستاذ الملل والنحل والمذاهب المعاصرة بقسم الدراسات الإسلاميةبكلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بجدةجدة في يوم الأربعاء ٧ محرّم الحرام ١٤٢٦هـ ج٢٦ ٢٢٣،ص: . .

[2] السجستاني، أبو داود: سنن أبي داود, مرجع سابق, كتاب الملاحم, باب ما يذكر في باب المائة, ج: ٤, ص: ١٧٨, حديث رقم: ٤٢٩٣, قال الألباني: حديث صحيح.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهنا يتطابق معنى التنوير ومعنى التجديد، ويتحدد التنوير الصحيح المقبول بتجديد الدين وإحيائه، أو بتعبير مجمل آخر: بإعادة الدين إلى ما كان عليه في عهد النبوة, وفي عهد السلف الأول، لكن لهذا المعنى المجمل تفصيلاً يتضمن المحافظة على نصوص الدين الأصيلة من الضياع ومن الاختلاط بغيرها، وهذا يعني إيجاد طريقة علمية واضحة لتوثيق وتصحيح النصوص الأصلية للكتاب والسنة باعتبارها قوام الدين ومرجعيته الأساسية، ويتضمن أيضاً نقل المعاني الصحيحة للنصوص، وإحياء الفهم السليم لها كما بينها الرسول صلى الله عليه وسلم وكما فهمها الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، كما يتضمن العمل بمقتضى الكتاب والسنة وتطبيقهما في واقع حياة الفرد والجماعة، وهذا لا يعني استبعاد الاجتهاد من مفهوم التجديد، بل إنه لا يمكن ربط الحياة ومتغيراتها بالدين إلا بالاجتهاد الذي يقوم به العقل المسلم اليقظ في ظل أصول الدين ونصوصه الأصلية وفهم السلف الصالح، لكنّ الذي ينبغي أن يوضّح هنا أن التجديد لا يعني الابتداع في الدين.

عناصر التنوير التجديدي المحافظ.

ويمكن إجمال عناصر هذا التنوير التجديدي المحافظ على النحو التالي[1]:

١. السعي لإحياء الدين وبعثه وإعادته إلى ما كان عليه في عهد السلف الأول.

٢. حفظ النصوص الأصلية صحيحة نقية حسب الضوابط والمعايير السليمة.

٣. سلوك المناهج السليمة لفهم نصوص الدين, وتلقي معانيها عن الأجيال والقرون الخيّرة.

٤. جعل أحكام الدين نافذة مهيمنة على أوجه الحياة المختلفة, والمسارعة لرأب الصدع في العمل بها, وإعادة ما ينقض من عراها.

٥. وضع الحلول الإسلامية لكل طارئ, واستنباط الأحكام لكل حادث، وتوسيع دائرة أحكام

الدين لتشمل ما كان نافعاً متفقاً مع نصوص الدين ومقاصده وكلياته.

و. تمييز ما هو من الدين حقيقة وما يلتبس به، وتنقية الدين من الانحرافات والبدع سواء

كانت ناتجة من عوامل داخلية في المجتمع الإسلامي, أو بتأثيرات خارجية.

---

[1] الصباغ :عبد اللطيف الشيخ توفيق الشيرازي :مصطلح التنوير:مفاهيمه واتجاهاته في العالم الإسلامي الحديث ،مرجع سابق ،الصفحات نفسها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مقارنة بين الاتجاه التنويري التجديدي المحافظ والاتجاه التنويري التجديدي التحديثي[1].

ويبدو لنا أن نقاط الاختلاف يمكن رؤيتها فيما يلي:

١. الاتجاه التجديدي المحافظ اتجاه إحيائي أكثر منه تحديثياً.

٢. التركيز على قضية الابتداع عند الاتجاه المحافظ, والتشديد في محاربته, وتوسيع مفهوم البدعة أكثر مما نجده عند الاتجاه الآخر.

٣. توسيع مجال عمل العقل في الاتجاه التحديثي أكثر مما نجده في الاتجاه المحافظ.

٤. إعتبار المصالح والمقاصد في الاتجاه التجديدي التحديثي أكثر مما نجده في الاتجاه المحافظ، الأمر الذي جعل الاتجاه التحديثي يبدو أكثر تلاؤماً مع مقتضيات التغير الاجتماعي والتطور العمراني.

٥. إنفتاح الاتجاه التجديدي التحديثي على تجارب الشعوب والمجتمعات الأخرى, والتفاعل

معها أكثر مما يلاحظ في الاتجاه التجديدي المحافظ خشية الانحراف والتقليد والتبديل.

إذاً فالتنوير الإسلامي هو تنوير ديني عقلي معاً، يعمل في إطار الدين ويهتدي بنوره، ذلك أنّ العقل هو بمثابة العين الباصرة والوحي بمثابة النور أو الضوء، ولا يستطيع أحد أن ينتفع بعينه إذا عاش في ظلمة، كما لايستطيع أن ينتفع بالنور إذا لم تكن له عين باصرة، ولذلك فإنّ عين العقل لا تبصر إلا في ضوء الوحي ونوره، وهذا هو التنوير الحق الذي يعني استخدام العقل في ظل نور الوحي وهدايته، وهذا هو الخط الثابت للتنوير الإسلامي عبر العصور، إنه الاستنارة بالوحي ليستطيع العقل أن يقوم بمهمته ووظيفته من الإدراك والفهم والتمييز والاستنباط والاكتشاف: فالذين يغمضون عيونهم في النور ثم يحاولون الإبصار لا يبصرون[2]: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ

---

[1] الصباغ :عبد اللطيف الشيخ توفيق الشيرازي :مصطلح التنوير:مفاهيمه واتجاهاته في العالم الإسلامي الحديث ،مرجع سابق ،الصفحات نفسها.

[2] راجع الصباغ :عبد اللطيف الشيخ توفيق الشيرازي :مصطلح التنوير:مفاهيمه واتجاهاته في العالم الإسلامي الحديث ،مرجع سابق ،الصفحات نفسها.،ج٢٦ ،ص: ٢٢٣ . .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[1] .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشدد مع أصحابه رضوان الله عليهم في أمر التلقي في شأن العقيدة والمنهج، بقدر ما كان يفسح لهم في الرأي والتجربة في شؤون الحياة العملية المتروكة للتجربة والمعرفة، كشؤون الزرع، وخطط القتال، وأمثالها من المسائل العملية البحتة التي لا علاقة لها بالتصور الاعتقادي، ولا بالنظام الاجتماعي، ولا بالارتباطات الخاصة بتنظيم حياة الإنسان, وفرق بين هذا وذلك بين, فمنهج الحياة شيء، والعلوم البحتة والتجريبية والتطبيقية شيء آخر, والإسلام الذي جاء ليقود الحياة بمنهج الله، هو الإسلام الذي وجه العقل للمعرفة والانتفاع بكل إبداع مادي في نطاق منهجه للحياة.

فقد أخرج أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن ثابت رضي الله عنه قال: جاء عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم **فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي مَرَرْتُ بِأَخٍ لِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ, فَكَتَبَ لِي جَوَامِعَ مِنْ التَّوْرَاةِ أَلَا أَعْرِضُهَا عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَقُلْتُ: لَهُ أَلَا تَرَى مَا بِوَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ عُمَرُ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا, وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا, وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا, قَالَ: فَسُرِّيَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ, إِنَّكُمْ حَظِّي مِنْ الْأُمَمِ, وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنْ النَّبِيِّينَ"**[2].

وأخرج أحمد في مسنده أيضاً من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قال :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا, فَإِنهم لن يهدوكم وقد ضلوا, فَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ, أَوْ تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ, فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**"[3].

ذكر سيد قطب:

"هؤلاء هم أهل الكتاب، وهذا هو هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في التلقي عنهم في أي أمر يختص بالعقيدة والتصور، أو بالشريعة والمنهج ولا ضير – وفق روح الإسلام

---

[1] [الأعراف١٧٩]

[2] **الشيباني : أحمد بن حنبل :, مسند الإمام أحمد** حديث رقم: ١٥٩٠٣، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف لضعف جابر وهو ابن يزيد الجعفي وفيه اضطراب، ج ٣،ص:٥٣٣.

[3] **الشيباني : أحمد بن حنبل :, مسند الإمام أحمد** حديث رؤقم: ١٤٦٣١، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف لضعف مجالد : وهو ابن سعيد وفيه اضطراب، ج ٢٢،ص:٤٦٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتوجيهه - من الانتفاع بجهود البشر كلهم في غير هذا من العلوم البحتة، علما وتطبيقا، مع ربطها بالمنهج الإيماني: من ناحية الشعور بها، وكونها من تسخير الله للإنسان, ومن ناحية توجيهها والانتفاع بها في خير البشرية، وتوفير الأمن لها والرخاء، وشكر الله على نعمة المعرفة ونعمة تسخير القوى والطاقات الكونية, شكره بالعبادة، وشكره بتوجيه هذه المعرفة وهذا التسخير لخير البشرية, فأما التلقي عنهم في التصور الإيماني، وفي تفسير الوجود، وغاية الوجود الإنساني, وفي منهج الحياة وأنظمتها وشرائعها، وفي منهج الأخلاق والسلوك أيضا, أما التلقي في شيء من هذا كله، فهو الذي تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأيسر شيء منه, وهو الذي حذر الله الأمة المسلمة عاقبته, وهي الكفر الصراح, هذا هو توجيه الله سبحانه وتعالى وهذا هو هدى رسوله صلى الله عليه وسلم, فأما نحن الذين نزعم أننا مسلمون، فأرانا نتلقى في صميم فهمنا لقرآننا وحديث نبينا صلى الله عليه وسلم عن المستشرقين وتلامذة المستشرقين, وأرانا نتلقى فلسفتنا وتصوراتنا للوجود والحياة من هؤلاء وهؤلاء، ومن الفلاسفة والمفكرين الإغريق والرومان والأوروبيين والأمريكان, وأرانا نتلقى نظام حياتنا وشرائعنا وقوانيننا من تلك المصادر المدخولة, وأرانا نتلقى قواعد سلوكنا وآدابنا وأخلاقنا من ذلك المستنقع الآسن، الذي انتهت إليه الحضارة المادية المجردة من روح الدين, أي دين, ثم نزعم - والله - أننا مسلمون وهو زعم إثمه أثقل من إثم الكفر الصريح, فنحن بهذا نشهد على الإسلام بالفشل والمسخ, حيث لا يشهد عليه هذه الشهادة الآثمة من لا يزعمون - مثلنا - أنهم مسلمون"[1].

[1] قطب :سيد ، في ظلال القرآن ،٤٠٨/١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثاني

الحصانة الأخلاقية

لقد دعا الإسلام إلى أكمل الأخلاق وصالحها، وحث عليها بكلّ الوسائل والسبل، وزجر عن سيء الأخلاق وأقبحها، فليس هناك خلق طيب, ولا أدب جمّ, إلا وقد دلّ عليه القرآن الكريم، وجاءت به السنة النبوية, فالأخلاق الصالحة تقود إلى الاستقامة، وأداء الحقوق والواجبات, وبها يكتمل الإيمان, وتتحقق درجة الإحسان, ونقيضها سبب لدخول النار, ولقد وجد الإسلام عند العرب أخلاقاً فاضلة, فلم يهدمها أو يتجاهلها, ولكنه تبناها في قالب جديد, وفي إطار الشرع الحنيف لتكون مدعاة للأجر والمثوبة, بدل أن تكون في أدراج الرياح.

ومصطلح الخلق: "يطلق على الصفة التي تقوم بالنفس على سبيل الرسوخ، فيستحق الموصوف بها المدح أو الذم, ويطلق على التمسك بأحكام الشريعة الإسلامية السمحة فعلا وتركا"[1].

وقد أشار النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى صالح الأخلاق في الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده من حديث أبي هُرَيْرَةَ **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ"**[2].

دعوة الإسلام إلى مكارم الأخلاق وسمات وملامح هذه الدعوة.

لقد قرر الإسلام أنّ هناك مقررات جاء بها الدين من عند الله, وهي ثابتة ثبات الفطرة الإنسانية نفسها، لا تتغير بتغير الزمان والمكان, قال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾[3], وقاعدة الأخلاق الأساسية في الإسلام هي أنّ الحق واحد, والخير واحد, وأنهما لا يختلفان ولا يتعددان وكذلك الشر والباطل, والأخلاق هي تمييز بين الحق والباطل والخير والشر، وسيظل الخير هو الخير والشر هو الشر على اختلاف الأزمنة والبيئات ولن يتحول يوماً إلى ضده.

---

[1] مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة, العدد الرابع, ص: ١٨٤٩.

[2] **الشيباني: مسند أحمد بن حنبل** ،حديث رقم : ٨٩٥٢ ،ج١٤،ص:٥١٢، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح وهذا إسناد قوي رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان فقد روى له مسلم متابعة وهو قوي الحديث.

[3] [الروم٣٠]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لقد دعا الإسلام إلى أخلاقية الحياة, وأقام الالتزام الأخلاقي في كل الأعمال والتصرفات وجعله جزءاً من الدين, فالدين في الإسلام جامع بين العقيدة والشريعة والأخلاق, وهي لا تنفصل ولا تتجزأ.

فالإسلام جاء منهجه وسطاً في التشريع بين اليهودية والنصرانية, فاليهود الذين حرّموا على الله تعالى أن ينسخ ما يشاء, ويمحو ما يشاء, ويثبت ما يشاء, وبين النصارى الذين أجازوا لأكابر علمائهم وعبادهم أن يشرعوا بالتحليل والتحريم من دون الله تعالى, والإسلام وسط في الأخلاق والسلوك فقد جاءت الشريعة الإسلامية وسطا بين الإفراط والتفريط في الالتزام الأخلاقي، وبين الجنوح إلى المثالية الخيالية، فهي لا تترك الحياة كلها للمشاعر والضمائر ولا للترف والميوعة والهوى والشهوة المحرمة فيعصف بها في تيارات الشهوات المحرمة والخلاعة والمجون، ولكن الدين الإسلامي يهذب السلوك, ويرفع الضمير, ويرتقي بالمشاعر ويعمر القلب بالتقوى والشعور برقابة الله تعالى تأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي وصفه ربه بأنه على خلق عظيم، وهكذا نجد الإسلام وسطا في جميع العلاقات الإنسانية فردية كانت أو اجتماعية, بل جميع المصالح الذاتية والاجتماعية[1].

إنّ دعوة الإسلام إلى مكارم الأخلاق تتضح من خلال الملامح والسمات التالية:

١. إنّ من خيار المؤمنين أحسنهم خلقاً.

أخرج البخاري في صحيحه: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: **" لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا, وَكَانَ يَقُولُ: "إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا"**[2].

٢. شهادة الكفار بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكارم الأخلاق.

أخرج البخاري في صحيحه: من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنهما قَالَ: **"لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي، فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ ائْتِنِي, فَانْطَلَقَ الأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ، فَقَالَ لَهُ رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ، وَكَلاَمًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ, فَقَالَ مَا شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ، فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً لَهُ فِيهَا مَاءٌ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَأَتَى الْمَسْجِدَ، فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّى أَدْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ، فَرَآهُ عَلِيٌّ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ, فَلَمَّا رَآهُ تَبِعَهُ، فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ**

---

[1] انظر شاكر: محمود: أباطيل وأسمار ص ٥٢٢ و د . عثمان ضميرية ،مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ص٥٧ وما بعدها ،.

[2] البخاري: محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري, مرجع سابق, كتاب الجمعة, باب من انتظر حتى تدفن, ج: ٤, ص: ١٨٩, حديث رقم: ٣٥٥٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُصْبِحَ، ثُمَّ احْتَمَلَ قِرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلاَ يَرَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى أَمْسَى ، فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ فَقَالَ: أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ فَأَقَامَهُ؟، فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ لاَ يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ الثَّالِثِ، فَعَادَ عَلِيٌّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَقَامَ مَعَهُ ثُمَّ قَالَ أَلاَ تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ؟ قَالَ: إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنَّنِي فَعَلْتُ, فَفَعَلَ فَأَخْبَرَهُ, قَالَ: فَإِنَّهُ حَقٌّ, وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتْبَعْنِي، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ، فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتْبَعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي, فَفَعَلَ، فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَدَخَلَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ, فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: " ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي" , قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأُصَرِّخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ, ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ، وَأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ قَالَ: وَيْلَكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ, وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارِكُمْ إِلَى الشَّامِ؟ فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ لِمِثْلِهَا، فَضَرَبُوهُ وَثَارُوا إِلَيْهِ ، فَأَكَبَّ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ"[1].

٣. وصف النبي صلى الله عليه وسلم البرّ بأنه حسن الخلق.

أخرج مسلم في صحيحه: من حديث عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْبِرِّ وَالإِثْمِ فَقَالَ: "الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ"[2].

٤. دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ربه أن يحصنه بأحسن الأخلاق وأفضلها.

أخرج مسلم في صحيحه: من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ"[3].

٥. حسن الخلق أثقل شيء في الميزان يوم القيامة.

أخرج أبو داود في سننه: من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ, عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ"[4].

---

[1] البخاري: محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري, مرجع سابق, كتاب الجمعة, باب من انتظر حتى تدفن, ج: ٥, ص: ٤٧, حديث رقم: ٣٨٦١.

[2] النيسابوري : صحيح مسلم, مرجع سابق, البر والصلة والآدب, باب تفسير البر والإثم, ج: ٨, ص: ٦, حديث رقم: ٦٦٨٠.

[3] النيسابوري : صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ،حديث رقم:٧٧١، ج١ ،ص:١٨٦.

[4] السجستاني، أبو داود : سنن أبي داود, مرجع سابق, كتاب الأدب, باب فى حسن الخلق, ج: ٥, ص: ٤٠٠, حديث رقم: ٤٨٠١, قال الألباني: حديث صحيح.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٦. تقوى الله وحسن الخلق أكثر الأسباب دخولاً للجنة.

أخرج الترمذي في سننه: من حديث أبي هُرَيْرَةَ قالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: "تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: الفَمُ وَالفَرْجُ"[١].

٧. وصية النبي صلى الله عليه وسلم وأمره بحسن الخلق.

أخرج الترمذي في سننه: من حديث أبي ذَرٍّ قالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"[٢].

٨. حسن الخلق دليل على كمال الإيمان.

أخرج أبو داود في سننه: من حديث أبي هُرَيْرَةَ قالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا"[٣].

٩.أحسن المؤمنين أخلاقاً أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقربهم منه مجلساً يوم القيامة.

أخرج الترمذي في سننه: من حديث جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: المُتَكَبِّرُونَ"[٤].

١٠. بلوغ المؤمن درجة الصائم القائم بحسن خلقه.

أخرج أبو داود في سننه: من حديث عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ"[٥].

أهمية الأخلاق في تعميق الروابط الإيمانية ووحدة الأمة واستقلاليتها.

إنّ الروابط المتينة المبنية على الأخلاق الكريمة في المجتمع المسلم, من الأسباب الرئيسة لاستقرار المجتمع وتماسكه, فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية, وغيابها من المجتمع

---

[١] الترمذي :محمد بن عيسى ، سنن الترمذي, مرجع سابق, المجلد الثالث, بَابُ مَا جَاءَ فِي حُسْنِ الخُلُقِ, ص: ٤٣١, حديث رقم: ٢٠٠٤, قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب.

[٢] الترمذي :محمد بن عيسى ، سنن الترمذي, مرجع سابق, المجلد الثالث, بَابُ مَا جَاءَ فِي حُسْنِ الخُلُقِ, ص: ٤٢٣, حديث رقم: ١٩٨٧, قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح

[٣] السجستاني، أبو داود : سنن أبي داود, مرجع سابق, كتاب السنة, باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه, ج: ٤, ص: ٣٥٤, حديث رقم: ٤٦٨٤, قال الألباني: حديث حسن صحيح.

[٤] الترمذي :محمد بن عيسى ، سنن الترمذي, مرجع سابق, المجلد الثالث, بَابُ مَا جَاءَ فِي حُسْنِ الخُلُقِ, ص: ٤٣٨, حديث رقم: ٢٠١٨, قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

[٥] السجستاني، أبو داود : سنن أبي داود, مرجع سابق, كتاب الأدب, باب في حسن الخلق, ج: ٤, ص: ٤٠٠, حديث رقم: ٤٨٠٠, قال الألباني: حديث صحيح.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يؤدي إلى تفكك أفراد المجتمع، والسير به إلى الدمار والهلاك, وقد أهتم الإسلام بالأخلاق اهتماماً بالغاً, لأنّ إهمال المبادئ الأخلاقية في المجتمع يؤدي إلى تفشي الرذائل والمعاصي, وتمتاز الأخلاق الإسلامية بالواقعية والإيجابية والشمولية, وهي بهذا الوصف تزيد من الروابط الإيمانية بين أفراد المجتمع المسلم, وتؤدي إلى وحدة الصف وتميز الأمة واستقلاليتها.

أهمية الأخلاق في تقوية الرابطة الإيمانية ووحدة الأمة واستقلاليتها.

إنّ للأخلاق الفاضلة الدور البارز في أداء رسالة الإسلام السمحة, فالكلمة الطيبة والقول اللين مأمور به المسلم لتبليغ دعوته للعصاة والجاحدين, فكيف إذاً في تداول الأخلاق الفاضلة بين أفراد الأمة المسلمة؟ وهذا يترك عظيم الأثر في وحدة الأمة واستقلاليتها, ويعمل على تقوية رابطة الإيمان تلك الصلة التي لا يدانيها صلة ولا يماثلها رابطة, فالمجتمع الإسلامي يتكون من السلطة والأفراد, ومن أهم الأمور التي تكفل قيام أفراد المجتمع بدورهم في حصانة المجتمع, وقوة جبهته الداخلية الأخلاق الفاضلة, ولهذا المجتمع عوامل تؤدي إلى تماسكه وترابطه, ومن أهم هذه العوامل:

١. **المحافظة على الرابطة الإيمانية والعمل على تنميتها**, ويتم تحقيق ذلك بما يلي:
   أ. الالتزام بالأخلاق الفاضلة.
   ب. أداء الحقوق المفروضة لبعضهم على بعض.
   ج. الالتزام بالنظام الاجتماعي والاقتصادي الإسلامي.
   د. المحافظة على الوحدة الفكرية.

٢. **العمل على سلامة مقومات المجتمع المسلم.**

ويتحقق ذلك بالتواصي بالحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على ذلك, ولكل من الأمرين دوره وأثره في حصانة المجتمع المسلم من الشرور والفساد, وبناء على هذا فإن الله تعالى جعل الرابطة بين أفراد المجتمع الإسلامي الأخوة الإيمانية، لذلك حثّ على الابتعاد عن كل ما يضعفها، والحرص على التخلص من كل طارئ يحدث الخلل بها، وبالمقابل شرع للمسلمين أخلاقاً وآداباً ونظماً في المعاملات إذا التزموا بها ساد بينهم الحب والإخاء, وانقطعت موارد الكره والشحناء, وأهمية الأخلاق في المجتمع المسلم تعود إلى عظم

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أثرها في تقوية الرابطة بين أفراد المجتمع المسلم، لذلك ورد الإيضاح والتفصيل لها في كثير من آيات الكتاب، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم[1].

ذكر عبد الكريم زيدان: كثرة الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الأخلاق، أمراً بالجيد منها ومدحاً للمتصفين به، ومع المدح الثواب، ونهياً عن الرديء منها، وذم المتصفين به، ومع الذم العقاب, ولا شك أنّ كثرة الآيات في موضوع الأخلاق أمر مهم جداً لا يستغني عنه المسلم, وأنّ مراعاة الأخلاق تلزم المسلم في جميع الأحوال، فهي تشبه أمور العقيدة من جهة عناية القرآن بها في سوره المكيّة والمدنية على حد سواء[2].

وهذا التشابه بين أمور العقيدة والأخلاق من حيث التركيز عليها من جهة الأمر بالتزامها، والإيضاح والتفصيل لجميع جوانبها، يدل على التلازم بينهما، فالأخلاق لازمة لقوة العقيدة وانتشارها، كما أنّ العقيدة الصحيحة باعثة على الخلق الكريم, فإذا كانت الأعمال الصالحة وقوة الصلة بالله من أسباب زيادة الإيمان في قلب المؤمن ورسوخه، فإنّ الأخلاق الفاضلة والتعامل بها بين أفراد المؤمنين سبب لتلاحمهم وترابطهم على أساس العقيدة، فتكون الأخلاق الفاضلة سبباً في قوة عقيدة المجتمع ورسوخ إيمانه, كما أنّ التزام المؤمن بالأخلاق الفاضلة يجذب الناس إلى الإيمان، ويحببهم فيه فيدخلون في الإسلام، وقد أشار الله إلى هذا الأثر بقوله:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾[3].

وبهذا يتبين الأثر الوثيق بين المعتقد والأخلاق في المجتمع المسلم، وأنّ الرابطة العقدية والأخوة الإيمانية تزيد كلما التزم أفراد المجتمع بالخلق الفاضل، وكذلك تأثير المجتمع وجاذبيته تزيد إذا سادت الأخلاق، ونظام الأخلاق في الإسلام يشمل أموراً حثّ الشارع على فعلها والتحلي بها، لما لها من الأثر في صلاح المجتمع والأفراد، وقربهم من الله، وبالتزامها تسود المحبة وتتقارب القلوب، ويتعامل الناس بالمودة والتراحم والتعاون، وتوجد الثقة بين أفراده، ويشعر الجميع بالرضى والأمن, وهذه الآداب كثيرة لا حصر لها :

---

[1] انظر: الجربوع :عبد الله بن عبد الرحمن: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة ،الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،الطبعة : الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م ، ٢/ ص ٥٦١-٥٦٤.

[2] انظر: زيدان : عبد الكريم ، أصول الدعوة، دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط: الثالثة، ١٣٩٦هـ ، ص٧٨.

[3] [آل عمران:١٥٩]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كالصدق في الحديث والمعاملة، والتعاون على البر والتقوى، والعدل في الأحكام والعلاقات ، والأمانة في جميع الأمور، والوفاء بالعهود والعقود، والحياء، والحلم، والأناة والرفق، والتوادّ والتراحم والتعاطف، والصبر, والكرم، والشجاعة.

أهمية الالتزام بالحقوق المفروضة لدى أفراد المجتمع في قوة الرابطة الإيمانية ووحدة الأمة واستقلاليتها[1].

المجتمع المؤمن مجتمع إنساني تميّز برابطة الإيمان والأخوة في الله، هذه الرابطة التي تصله بخالقه، وتربط بين أفراده, والمجتمع الإنساني أيّا كان نوعه، تتم فيه مصالح متبادلة بين أفراده ومعاملات تنظم تلك المصالح، وعلاقات وصلات وحقوق, ولا بد من نظام صالح عادل يحكم هذه الأمور ويسددها لتسير الحياة بين أفراد المجتمع سيراً حسناً يحقق العدل, ويبعث على الرضى، ويزيد في رباط الأخوة.

والإسلام الذي يقيم الرابطة على أساس الإيمان، نجده ينظم العلاقات والروابط والمعاملات منطلقاً من ذلك الأساس نفسه، فجميع النظم الإسلامية منطلقة من العقيدة الإسلامية, فالله وحده هو المشرع المعبود المطاع، وله وحده يخضع ويستجيب المؤمنون، فيخلصون بالنوايا لربهم, ويسيرون وفق منهاجه, وعلى هدي نبيه صلى الله عليه وسلم.

والحديث النبوي وحي من عند الله، بيّن فيه النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً من جوانب العقيدة والشريعة، فاكتمل بيان الدين بالقرآن والسنة المطهرة, وقد رتّب الإمام البخاري كتابه الجامع الصحيح على هيئة تشعر بالترابط الوثيق بين الشرائع الإسلامية والعقيدة، فبدأ بكتاب بدء الوحي، ثم كتاب الإيمان، ثم كتاب العلم، ثم ساق الأبواب مرتبة على أبواب الفقه، وفي ذلك إشارة إلى أن ما يورده في صحيحه من حديث النبي صلى الله عليه وسلم وحي من الله، وتعلمه والعمل به إيمان، وطريقة العلم، فنبه على الترابط بين العقيدة والشريعة، والعمل والإيمان, والحقوق المفروضة بين المؤمنين أداؤها إيمان، ويزيد في الرابطة الإيمانية ويوثقها، كما أنّ الإخلال بها يضعف تلك الرابطة ويوهنها، وقد أشار الله جلّ وعلا إلى هذا الترابط بين عدم الالتزام بما أوجبه من الإيمان، وبين تضييع تلك الحقوق، وأن الإخلال بأحدهما دليل ومؤد إلى اختلال الآخر بقوله تعالى :﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن

[1] المرجع السابق.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾[1]، ومفاد ذلك أنه إذا قام كل فرد بما عليه من الحقوق أثمر ذلك قوة في صلة أفراد المجتمع بربهم، وفي الرابطة القائمة بينهم فأصبح المجتمع قوياً متماسكاً صعباً على المفسدين, عصيّاً على المغرضين الحاقدين, وإذا ضيعت الحقوق حصل التذمر والخصام والعداوة، فتضعف الرابطة، ويسهل على الخصوم اقتحام حصون المجتمع, والتحريش بين المسلمين، وإثارة الأحقاد وبذر بذور الشر, كما أنّ واقع المجتمع المسلم الناتج عن ذلك يضعف ثقة بعض أفراد هذا المجتمع بنظام الإسلام وتعاليمه، فيحمله ذلك على طلب البدائل في مستنقعات الشرق أو الغرب, وأفكارهم الفلسفية العفنة, بغض النظر عن صحتها أو فسادها.

أهمية الالتزام بالنظام الاجتماعي والاقتصادي الإسلامي, وأثره في قوة الرابطة الإيمانية ووحدة الأمة واستقلاليتها [2], إنّ الدارس لتعاليم الإسلام يلاحظ أنها لا تخلو من أمرين:

أ. ما شرع منها أصلاً لتقوية الرابطة الإيمانية بين المؤمنين وخالقهم، وبين بعضهم البعض، كالعبادات والأخلاق والآداب، وكثير من الحقوق، وبالقيام بها يكون المجتمع متصلاً بربه موصولاً ببعضه.

ب. ما شرع منها لتسير عليها العلاقات والمعاملات التي يحتاجها الناس في تحقيق أسباب

مصالحهم فنظمها الشارع على حال تحقق ذلك وتضمن استمرار الرابطة وقوتها، والبعد

عن الفرقة والتنازع.

وقد سبق الحديث عن الجانب المتعلق بالأخلاق والآداب والحقوق, أمّا فيما يتعلق بالالتزام بالنظم الإسلامية, فالنظام الاجتماعي يقصد به: جملة الأحكام والشرائع التي تنظم حياة الناس وعلاقاتهم فيما بينهم في المجتمع المسلم، وعلاقاتهم مع غيرهم من الكفار، والحدود التي تقي المجتمع من عوامل الفساد والضرر والاعتداء الواقع من بعضهم على بعض, والنظم الإسلامية كثيرة، منها: نظام الأسرة كالزواج والطلاق، ودور الرجل والمرأة ونحوها، ونظام القضاء وما يتعلق به من الصلح والحكم في المنازعات، والجنايات والحدود والتعزير، ونظام الرق، ونظام العقود والشركات، والنظام الاقتصادي وما يتصل به كالزكاة

---

[1] [محمد:٢٢]

[2] انظر: الجربوع :عبد الله بن عبد الرحمن: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، ص ٥٦٩-٥٨٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والصدقات والنفقات والفروض، والبيع والشراء والإجارة، ونظام الإرث، وغير ذلك من الأنظمة الشاملة لجميع نواحي النشاط الإنساني, ووجود هذه الأنظمة ودقة الالتزام بها ضروري لاستقرار حياة الناس، وإقامة العدل بينهم، وحفظ حقوقهم، وانتشار الأمن والأمل في نفوسهم، فينطلقون في ميادين الحياة بثقة وجد للعمل على إصلاح دينهم ودنياهم، وبذلك يترسخ رباط الأخوة ويستحكم، ويتعاونون في سعيهم وكدحهم وهم في أمن من بواعث الشر والنزاع بفضل صلاحية النظام وشموله، ومراعاته لمبادئ الأخلاق والعدل, والإخلال بشيء من النظم الإسلامية تحصل من جرائه الفوضى والقلاقل والظلم والعدوان، وينجم النفاق والبلبلة الفكرية، والخلاف السياسي، فتتقطع الأرحام وتضيع الحقوق, كما قال تعالى :﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

سبل تحصين المجتمع المسلم ضد الأفكار الهدامة.

إنّ المجتمع المسلم يجب أن يحكمه النظام الإسلامي, القائم على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم, وإذا زاد التحلل من هذ النظام الإسلامي اختل المجتمع، وشغل الناس بأنفسهم وأهوائهم، وذهلوا عن العبادة والعلم، فيضعف الإيمان وتقل رابطته ويفشلوا وتذهب ريحهم، فتُزيغ كثيراً منهم الأهواء، وتتخطفهم الفتن القائمة على الأفكار الهدامة، وبعضهم يقتل في القلاقل والهرج، أعاذنا الله من الإعراض عن الدين، وما يترتب عليه من الشر والفساد[2].

إنّ تحصين المجتمع ضد الأفكار الهدامة يلعب دوراً بارزاً في استقرار المجتمع وتفاعله، وهناك نظامان مهمان يساهمان في تحصين المجتمع ضد الأفكار الهدامة, نظام الجزاء والعقاب والنظام الاقتصادي.

١. نظام الجزاء والعقاب.

ويشتمل على الحدود المقدرة على جرائم معينة بضوابط شرعية معتبرة، وعلى عقوبة التعزير في المعاصي التي لم يرد في الشرع تقدير لعقوبتها, وإقامة الحدود حصن هام في حفظ المجتمع من سائر الشرور، وخاصة الأفكار الهدامة، فلا بدّ من الصرامة والحزم في تطبيقها على من استحقها وفق الضوابط الشرعية, فحد الزنى واللواط والخمر قامع لهذه الشرور التي طالما امتطاها المفسدون، واستغلوها كطعم لإيقاع شباب المسلمين في شرورهم

---

[1] [محمد:٢٢]

[2] انظر: الجربوع: عبد الله بن عبد الرحمن: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، ص: ٥٦٩-٥٨٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفكرية، لما لها من الأثر في طمس معالم الإيمان في القلوب، فتحل الظلمة مكان البصيرة، وبذلك ينقاد من وقع في ذلك إلى الأفكار الخبيثة بسهولة، وقد ينسلخ من الإسلام ويعاديه لتحريمه لها، فيصبح عضواً فاسداً ينشر الفساد في المجتمع, أما حد الحرابة والإفساد في الأرض فهو فعال جداً في قمع الشرور الفكرية خاصة, قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ ﴾[1], فالحرابة توجد وضعاً قلقاً يسوده الخوف والفزع، وذلك أنسب الظروف لانتشار الشرور، وظهور المنكرات، ونشر الإشاعات، والتحريض على التمرد والخلاف، والترويج للحركات الملحدة والأفكار المفسدة, وأعظم الإفساد في الأرض وأخطره نشر الشرك في البلاد التي أكرمها الله بالإيمان[2], قال الله تعالى:﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ ﴾[3].

لقد كان لإيقاع العقاب المناسب على من يستحقه أعظم الحصون الاجتماعية، الحافظة للمجتمع من الفكر الخبيث, وعقاب المفسدين في الأرض بترويج الفساد الفكري واجب إيقاعه والصرامة في تنفيذه كذلك، سواء كان حداً يشمله عموم المحاربة لله ولرسوله، وعموم الإفساد في الأرض[4].

وحدّ الردة القاضي بقتل المرتدّ عن دينه هو حدّ شرعه الإسلام, له أهدافه وغاياته, ففي الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله

---

[1] [المائدة:٣٣]
[2] انظر: الجربوع :عبد الله بن عبد الرحمن: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، ص ٥٦٩-٥٨٣.
[3] [الأعراف:٥٦]
[4] الجربوع: عبد الله بن عبد الرحمن: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، ص: ٥٧٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

صلى الله عليه وسلم: "مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ"[1]، فهو حصن من حصون المجتمع المسلم يسدّ ثغرة يتسلل منها المفسدون لإضلال الناس وحملهم على المجاهرة بالردة، والمجادلة بالباطل، والمعارضة بالشبهات، فيتجرأ على التمرد على الدين من لم يتمكن الإيمان من قلوبهم، وينقاد إليهم ويتابعهم بعض المغرورين الجاهلين، فيبدأ بنيان المجتمع بالانحلال، وتسري فيه عدوى الضلال.

ذكر عبد الكريم زيدان: "إنّ المرتدّ مع إخلاله بالتزامه يقوم بجريمة أخرى، هي الاستهزاء بدين الدولة، والاستخفاف بعقيدة سكانها المسلمين، وتجريء لغيره من المنافقين ليظهروا نفاقهم، وتشكيك لضعاف العقيدة في عقيدتهم، وهذه كلها جرائم خطيرة يستحق معها المرتد استئصال روحه وتخليص الناس من شره، وإنما قلنا: إن المرتد من يرتكب هذه الأمور، لأنه لا يعرف ارتداده إلا بالتصريح، وإلا لو أخفى ردته لما عرف"[2].

٢. النظام الاقتصادي.

النظام الاقتصادي الإسلامي كغيره من النظم الإسلامية يقوم على أساس العقيدة الإسلامية، فالملك لله، والأمور والمعاملات يجب أن تجري على أمره سبحانه, وقد اعتنى الإسلام بتنظيم نشاط الناس الاقتصادي عناية كبيرة، بما وضعه من أحكام وقواعد دقيقة شاملة, وهذه العناية تتناسب مع أهمية النشاط الاقتصادي الذي يحتاج إليه الناس لتبادل منافعهم الدنيوية ومصالحهم الحيوية, والنظام الاقتصادي الإسلامي يتجاوب مع الفطرة بإقراره حق التملك وحرية التصرف بضوابط تضمن حصول المنفعة للفرد والمجتمع وتمنع الضرر, وهو يراعي الأخلاق الفاضلة، حيث يقوم على مبدأ التعامل النظيف الذي ينمي الحب، ويشد رابطة الأخوة الإيمانية بين أفراده، على حد قوله تعالى:﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[3].

وبهذا يقطع الإسلام جذور المعاملات الباعثة على الحسد والحقد والبغضاء والفساد الخلقي والاجتماعي، فيمنع الكذب والغش والخداع، والغدر والغرر، ويحرم الاتجار بالفاحشة والرذيلة والمتع السيئة، والمسكرات والمخدرات، ويشدد في تحريم الربا لما ينتج عنه من الغبن واستغلال الفقراء والاحتكار والكساد الاقتصادي, وفي الجملة فهو يمنع المتاجرة

---

[1] البخاري: محمد بن إسماعيل صحيح البخاري كتاب الجهاد، باب لا يعذب بعذاب الله، حديث رقم:٣٠١٧،ج١،ص:٤٠٦.
[2] زيدان :عبد الكريم ، أصول الدعوة، ص:٢٨٦.
[3] [المائدة:٢]

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والتعامل بكل شيء يجر شراً أو فساداً خلقياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً أو فكرياً, كما أنّ النظام الاقتصادي الإسلامي يعتني بسد حاجات الناس اللازمة للعيش, فالمجتمع المسلم متكامل متكافل متعاون، فكلّ قد سُنّ له في هذا النظام دور يحقق هدف التكافل الاجتماعي, فحثّ الإسلام على العمل ورغبّ فيه، وأمر الأقارب بكفالة المحتاج والكبير والمريض، وشرع الصدقة والزكاة لسد حاجات الفقراء، وتحقيق بعض المصالح، وحمّل ولاة الأمر رعاية من لم يجدوا من يرعاهم من أقاربهم أو عجزوا عن رعايتهم.

ومما تقدم تبين أنّ الإسلام يقيم النظام الاقتصادي على أسس متينة تتمثل في استمداده من العقيدة الإسلامية، ومراعاة الفطرة الإنسانية، وقيامه على الأخلاق الفاضلة، والتزامه بسد حاجات الناس المعيشية, وإذا التزم المسلمون دولة وأفراداً بالنظام الاقتصادي، استقامت حياتهم، وانتظم تعاملهم، وانقطعت بوادر الشر والحقد والحسد والضغينة والبغضاء، وأمن الناس على أرزاقهم ومصالحهم، فتتماسك جبهتهم الداخلية, والإخلال بالمعاملات الاقتصادية، وتعدي حدود الله فيها يؤدي إلى اختلال المجتمع، وتغير القلوب، ويعتِب بعضهم على بعض، ثم يحقد ويحسد, فباختلال هذا النظام تختل الأسوار الواقية للمجتمع والعاملة على تماسكه وسلامته، فيضطرب النظام الاجتماعي، وتضعف الرابطة الإيمانية، ويحصل الشر بين المسلمين، ويصبح المناخ مهيأ لشياطين الإنس والجن للعمل على الإيقاع بينهم مستغلين ما بينهم من الضغائن،واختلال النظام الاقتصادي مرده إلى شح الأغنياء، وما يقابله من ظلم واعتداء الأقوياء من الفقراء، وتفريط السلطة بالمحافظة عليه، والصرامة في تطبيقه.

ومما يمهد لانتشار الأفكار الضالة التهاون في منع المتاجرة بالمتع المحرمة والمخدرات والمسكرات، أو وسائل التأثير الفكري كالأفلام المنحرفة، فذلك يؤدي إلى ظهور الفواحش في المجتمع، وكثرة الخاملين الساقطين، وانحراف الأفكار وتغير مفاهيم المجتمع والتشكك في العقائد، بفعل ما تحدثه المعاصي من الظلمة في القلوب، وما تحدثه الأفلام والقصص والمجلات الزائفة من آثار فكرية هدامة.

أما أثر المعاملات المالية على العلاقات القريبة فظاهر جداً، فكم من عداوة نشأت بين الأقارب بسبب الظلم في المسائل المالية، وأصدق شاهد على ذلك حصول كثير من المنازعات بسبب الجور في قسمة الميراث بين الأقارب، مما يدل على أهمية الالتزام بأحكام الإسلام في تنظيم المال ومعاملاته، وضرورة الرضى بذلك حفاظاً على تلاحم أفراد المجتمع[1].

[1] انظر زيدان :عبد الكريم: لهذا وما قبله، أصول الدعوة، ص٣٣٢، ٣٣٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبهذا يتبين أن التزام النظام الاقتصادي الإسلامي حصن يحصن المجتمع من عوامل الفساد والفرقة والخلاف والعداوة والبغضاء، والتي هي جسر يمتطيه أعداء الإسلام المتربصون به في الداخل والخارج لزعزعة المجتمع وبث بذور الشر فيه، من خلال الأفكار الخبيثة والمبادئ الفاسدة، والشبهات المزخرفة .

إنّ التآمر على الإسلام والمسلمين من قبل أعداء الأمة قائم ما قامت البشرية, والحرب ضروس لا تنطفئ نارها, ولا تخفى دسائسها, وهذه الحرب طالت كلّ مجالات الأمة, وفي كل وقت يشتد فيه الهجوم والتآمر على الإسلام، تخرج بشارات تدل على عناية الله بهذا الدين, ومن ذلك ما حصل في هذا الزمان، فقد ظهرت عدة مظاهر تبشر بالخير، من ذلك رجوع كثير من الناس رجالاً ونساء كهولاً وشباباً إلى الالتزام بالدين, وتفهم للخطر المحدق بالأمة من كلّ حدب وصوب, ثمّ إنّه لا خلاص للأمة من ذلّها وهوانها إلا بتمسكها بكتاب ربها, وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم, بإخلاص ويقين, عندها تتحرّر الأمة من ضعف إرادتها, قبل أن تتحرّر من بأس عدوّها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخاتمة

أهمّ النتائج

وقد خلص الباحث إلى جملة من النتائج، يمكن إجمالها فيما يلي:

١. إنّ السنة النبوية تدعو إلى الاستقلالية ونبذ التبعية, وقد حوت العديد من مظاهر استقلالية الأمة الإسلامية، في شتى المجالات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وفي سبيل تحقيق الاستقلالية لهذه الأمة كان لا بد من أن يكون المجتمع مجتمعا مترابطاً، تربطه جميع العلاقات المذكورة, وهذا ما دعت إليها شريعتنا الغراء، وتميزت به عن غيرها، وتجعله مستقلا عن غيره.

٢. إنّ للاستقلالية أهمية بالغة في السنة النبوية، وأنّ من أهمية استقلاليتها بيان فضل هذه الأمة, وبيان شمولية استقلالية الإسلام في السنة النبوية.

٣. إنّ مقومات الاستقلالية لها دور بارز في تميز الأمة وتفردها ، وهي ممثلة في العقيدة الإسلامية، والجهاد في سبيل الله، واللغة العربية، والتاريخ الإسلامي، وأنّ خطورة تجاهل مقومات الاستقلالية الإسلامية يشكّل خطراً بيّناً على هذه الأمة.

٤. إنّ لاستقلالية الأمة الإسلامية العديد من الآثار على الفرد والأمة، فهي تخلّص الأمة من التبعية, وتؤدّي بها إلى الشعور بالعزة والكرامة، وتنهض بها حضارياً ومادياً ومعنوياً، وتعيد دورها الريادي في قيادة الأمم، ثمّ إنّ آثار الاستقلالية على الفرد المسلم تبدو جليّة، حيث ترقى بالفرد المسلم، وتمنحه الثقة والاعتزاز بانتمائه إلى الأمة الإسلامية، وتحقق له الأمن والسعادة، وتجعله مستقيما في سلوكه في جميع مجالات الحياة.

٥. علاقة الشرائع السابقة بالإسلام، وأنّ الإسلام مستقل في عباداته وتشريعاته، وأنّ الشريعة الإسلامية ناسخة لكل الشرائع.

٦. إنّ من مظاهر الاستقلالية مخالفة المسلمين لغيرهم من الأمم، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم الأقوام الذين أمرنا بمخالفتهم من غير المسلمين.

٧. هناك مظاهر عديدة يظهر من خلالها تشبه المسلمين بالكفار في العصر الحديث، وأثرها بيّن على المسلمين في شتى الجوانب العقدية والتعبدية، كالمعتقدات الزائفة والمنحرفة التي يفعلها غلاة الفرق التي تُعد نفسها من المسلمين، و ما هي إلا من آثار التشبه بالكفار، سواء كانوا من أهل الكتاب، أو من إي ملة أخرى من ملل الكفر.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٨. وجوب الموائمة بين الأصالة والحداثة, لتحقق هذه الأمة فاعليتها في العصر الراهن، وتسترجع دورها الريادي والحضاري في مجالات الانتفاع من الأمم الأخرى، حيث تمّ بيانه في الفصل الأخير من هذه الرسالة, وهو بعنوان: "الاستقلالية بين الانتفاع والتأثر من الأمم الأخرى": وقد تمّ بيان التأصيل الشرعي من جواز الاستفادة من غير المسلمين في الجانب المادي، ومجالات هذا الانتفاع ضمن ضوابط شرعية, حتى لا يكون هذا الانتفاع تشبّهاً، وقدّ تمّ التعريج أيضاً على حصني الأخلاق والفكر ليتعرف المسلم على حقيقة دينه، ويزداد قوة في إيمانه, ويتحصّن ضد الأفكار الهدّامة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أهمّ التوصيات

في نهاية هذه الدراسة يوصي الباحث بأن يهتم العلماء -خاصة في المجال الإعلامي والدعوي والتعليمي في كافة المراحل الدراسية، ومن خلال المؤتمرات العالمية- اهتماماً بالغاً في تميّز الإسلام واستقلاليته، ومحاربة الدعوات الهدامة التي تنادي بانصهار الإسلام وتمييعه، وذلك من خلال النقاط التالية:

١. تحذير المسلمين من الأساليب الحديثة للغزو الفكري، وأنّها من أعظم التحديات التي تواجه الإسلام اليوم، والدعوة إلى التصدي لها.

٢. المحاولة الجادة في مقاومة الهجمة الشرسة المعاصرة، التي قاد لواءها أعداء الإسلام, واتهام المسلمين بالتخلف والقصور والتبعية, ومحاولاتهم المتكررة في إبراز الحضارة وتجسيدها على أنّها من صنيعهم, وتوكيد تبعية المسلمين لهم.

٣. الردّ المنطقي والمقنع على أعداء الأمّة في محاولاتهم المتكررة والخبيثة في ضبط ثوابت الأمة ومرجعيتها.

٤. إبراز صورة الأمّة الحقيقية، من خلال ما امتازت به من خصائص ذاتيه, ووظائف حيوية، وأهداف سامية تسعى إلى تحقيقها، وأنها أمّة ذات هوية مستقلة.

٥. الإسهام في تكوين فكر إسلامي قوامه التميز والتفرد، وذلك من خلال بيان حيثيات تميّز الأمة واستقلاليتها وتفردها, ومقارنتها بغيرها من الأمم.

كما يوصي الباحث أن يقوم العلماء والمختصون بتوحيد الجهود دون اعتبار للاختلافات غير الجوهرية في العقيدة، على توعية وإرجاع من شذّ من المسلمين, وذهب إلى التقليد الأعمى متشبها بملة الكفر، مما يؤدي به إلى الافتراق والتشرذم، من خلال ترسيخ الإيمان الذي دعا إليه النبي صلى الله عليه و سلم، وجاء بيانه في نصوص الوحي، وإعادة ثقة المسلمين بدينهم، من خلال إدراك عظمة التكليف الإلهي لهذه الأمّة في الدعوة لمضامين هذه الرسالة, وتحمل وتبعاتها وتكاليفها على المستوى الحضاري.

كما يوصي الباحث بأنّ نستغل كل ما فيه نفع للمسلمين ،وإن لم يكن معروفا عندهم، مع التحصين الكامل بالضوابط الأخلاقية والفكرية، التي دعا إليها ديننا الحنيف، وذلك من خلال الموائمة بين الأصالة والحداثة, لتحقق هذه الأمة فاعليتها في العصر الراهن وتسترجع دورها الريادي والحضاري، والموازنة الدقيقة في إبراز أصالة الإسلام بأحكامه وقواعده,

© Arabic Digital Library Yarmouk University

واستفادة المسلمين من وسائل التطور المعاصرة الحديثة, التي كان لكثير من المسلمين إسهام بارز في صنع حيثياتها في بلدان المسلمين, وفي شتى أصقاع العالم.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس الآيات القرآنية مرتبة حسب تسلسل الصفحات

التسلسل	الآية	السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
١.	صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً	البقرة١٣٨	٧
٢.	فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا	الروم٣٠	٧
٣.	إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ	يس١٢	٩
٤.	ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ	المائدة٣	٩
٥.	إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض	الأعراف ٥٤	١١
٦.	وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا	النور ٣٣	١٣
٧.	وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ	الحديد ٧	١٤
٨.	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا	البقرة١٦٨	١٧
٩.	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ	النساء٢٩	١٨
١٠.	وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ	المزمل ٢٠	١٩
١١.	وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟	البقرة٢٧٥	٢٢
١٢.	وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ	الاسراء٢٩	٢٣
١٣.	إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ	الاسراء٢٧	٢٤
١٤.	وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟	الاعراف٣٨	٢٤
١٥.	وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ	البقرة١٨٨	٢٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٦.	وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ	المعارج ٢٤	٢٥
١٧.	وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ	الحشر٩	٢٨
١٨.	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ	النحل٩٠	٢٩
١٩.	إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ	المائدة٣٣	٣١
٢٠.	يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلٗا	النساء١٤١	٣٦
٢١.	وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ	المنافقون٨	٣٦
٢٢.	وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾.	الشورى ٣٨	٣٨
٢٣.	وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾.	آل عمران ١٥٩	٣٨
٢٤.	يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ	ص ٢٦	٤٠
٢٥.	إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا	النساء٥٨	٤١
٢٦.	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ	النساء٥٩	٤٢
٢٧.	وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ	النور٥٥	٤٣
٢٨.	كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ	ال عمران ١١٠	٤٤+٤٥
٢٩.	جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا	البقرة١٤٣	٤٦+٥٦
٣٠.	هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ	الحج٧٨	٤٧
٣١.	وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ	آل عمران١٣٩	٤٨
٣٢.	﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ	النساء١١٥	٤٩
٣٣.	وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ	النساء١١٥	٤٩
٣٤.	يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ	البقرة١٨٥	٥١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣٥.	ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ	المائدة٣	٦٠
٣٦.	﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا	الروم ٣٠	٦٢
٣٧.	﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ	البقرة٢٨٥	٦٤
٣٨.	هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ	فاطر٣	٦٦
٣٩.	وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا	الاعراف١٨١	٦٧
٤٠.	وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ	البقرة٢٥٥	٦٨
٤١.	وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا	طه٩٨	٦٨
٤٢.	﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا	الطلاق١٢	٦٨
٤٣.	إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ	الذاريات٥٨	٦٨
٤٤.	﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ	المائدة٦٤	٦٩
٤٥.	وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ	النساء١٣٦	٦٩
٤٦.	وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا	الزخرف١٩	٦٩
٤٧.	وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ	الشعراء١٩٣	٧٠
٤٨.	{مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ}.	البقرة٩٧	٧٠
٤٩.	يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟	النساء١٧١	٧٢
٥٠.	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ	الذاريات ٥٦	٧٤
٥١.	وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ	الاسراء٢٣	٧٤
٥٢.	﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا	التوبة ٣١	٧٤
٥٣.	قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ	ال عمران٦٤	٧٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٥٤.	وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ	المائدة١٨	٧٥
٥٥.	فمن كان يرجو لقاء ربه	الكهف١١٠	٨٠
٥٦.	وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ	الانفال٣٩	٨١
٥٧.	وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا	البقرة١٦٥	٨١
٥٨.	وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا	ال عمران٨٥	٨١
٥٩.	لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ	المائدة٧٣	٨٢
٦٠.	لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟	المائدة٧٨	٨٣
٦١.	﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ	التوبة٣٠	٨٣
٦٢.	وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ	المائدة٦٤	٨٣
٦٣.	لَقَد أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ	المائدة٧٠	٨٣
٦٤.	وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ	الزخرف٤٥	٨٤
٦٥.	وما أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ	الانبياء٢٥	٨٤
٦٦.	وَلَقَد بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً	النحل٣٦	٨٤
٦٧.	وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ	النور٥٤	٨٤
٦٨.	وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ	التوبة٥٩	٨٤
٦٩.	ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ	ال عمران١٧٣	٨٤
٧٠.	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ	الانفال٦٤	٨٤
٧١.	سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ	التوبة٥٩	٨٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٧٢.	فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ	الشرح٧	٨٥
٧٣.	وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ	البينة٥	٨٦
٧٤.	وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ	آل عمران٨٥	٨٦
٧٥.	وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ	آل عمران٩٧	٨٦
٧٦.	وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا	السجدة٢٤	٨٧
٧٧.	﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ	البقرة١٩٣	٨٨
٧٨.	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ	الصف١٠	٨٨
٧٩.	قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ	التوبة ٢٩	٩٠
٨٠.	وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ	آل عمران١٦١	٩١
٨١.	وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ	الفتح٢٤	٩٢
٨٢.	وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ	الزخرف٣	٩٣
٨٣.	كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ	فصلت٣	٩٣
٨٤.	قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ	الزمر٢٨	٩٣
٨٥.	ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ	الانفال٥٨	٩٥
٨٦.	وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ	الاسراء٤	٩٥
٨٧.	وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ	الانفال٥٩	٩٧
٨٨.	تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ	الأنفال ٦٠	٩٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٨٩.	وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ	الأنفال ٦٠	٩٩
٩٠.	وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ	البقرة٢٥١	١٠١
٩١.	تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ	الأنفال ٦٠	١٠١
٩٢.	وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ	البقرة ١٩٠	١٠١
٩٣.	وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ	البقرة ١٩٣	١٠١
٩٤.	وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ	الشعراء١٩٣	١٠٢
٩٥.	إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا	الزخرف٣	١٠٣
٩٦.	كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ	العمران١١٠	١٠٤+١٢٢
٩٧.	﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ	الكهف١١٠	١٠٥
٩٨.	أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ	التغابن٥	١٠٧
٩٩.	وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ	البقرة١٠٨	١٠٧
١٠٠.	يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا	المائدة١١٥	١٠٨
١٠١.	يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا	الملك١٥	١٠٩
١٠٢.	وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ	النور٥٥	١٢٠
١٠٣.	إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ	ال عمران١٩	١٢١
١٠٤.	مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ	الانعام٨٣	١٢١
١٠٥.	مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ	الاحزاب٢٣	١٢٣
١٠٦.	قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِى	يوسف١٠٨	١٢٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٠٧.	وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ	ال عمران١٠٤	١٢٣
١٠٨.	وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ	الروم٤٧	١٢٦
١٠٩.	فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا	الروم٣٠	١٢٦
١١٠.	فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ	هود١١٢	١٢٧
١١١.	إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟	فصلت٣٠	١٢٧+١٢٩
١١٢.	إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ	فصلت٨	١٢٨
١١٣.	مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ	النحل٩٧	١٢٨
١١٤.	وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ	الجن١٦	١٢٩
١١٥.	فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ	النساء٦٥	١٣١
١١٦.	لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ	الاعراف٥٩	١٣٢
١١٧.	وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا	الاعراف٦٥	١٣٢
١١٨.	وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا	الاعراف٧٣	١٣٢
١١٩.	وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا	الاعراف٨٥	١٣٢
١٢٠.	قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا	الاعراف١٥٨	١٣٢
١٢١.	وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ	الحج٧٨	١٣٣
١٢٢.	وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ	اشورى٣٨	١٣٣
١٢٣.	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الامَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا	النساء٥٨	١٣٤
١٢٤.	يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ	المائدة١٠٨	١٣٤
١٢٥.	يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ	الحجرات١٣	١٣٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٢٦.	لَا تُضَآرَّ وَالِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ	البقرة٢٣٣	١٣٥
١٢٧.	ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ	المائدة٣	١٣٦+١٣٧
١٢٨.	قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا	الاعراف١٥٨	١٣٧
١٢٩.	وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ	سبأ٢٨	١٣٨
١٣٠.	مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ	الاحزاب٤٠	١٣٨
١٣١.	وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ	المائدة٤٨	١٣٩
١٣٢.	هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ	التوبة٣٣	١٤٠
١٣٣.	يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا	المائدة١٥	١٤١
١٣٤.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ	النساء٤٧	١٤٢
١٣٥.	ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ	ال عمران١٥٧	١٤٤
١٣٦.	وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ	البقرة٨٩	١٤٤
١٣٧.	أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً	الشعراء١٩٧	١٤٤
١٣٨.	مُّحَمَّد رَّسُولُ ٱللَّهِ	الفتح٢٩	١٤٤
١٣٩.	وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ	الصف٦	١٤٥
١٤٠.	ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ	الانعام٢٠	١٤٥
١٤١.	وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ	البقرة١٤٦	١٤٥
١٤٢.	وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ	البقرة٨٩	١٤٨
١٤٣.	وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ	البقرة١٢٤	١٤٩
١٤٤.	وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟	البقرة١٣٥	١٤٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٤٥.	فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ	المائدة٤٨	١٤٩
١٤٦.	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ	البقرة١٨٣	١٥٠
١٤٧.	وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ	الاعراف١٥٧	١٥٠
١٤٨.	لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ	يوسف١١١	١٥١
١٤٩.	وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ	الصافات١٣٧	١٥١
١٥٠.	وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٖ	الحجر٧٦	١٥١
١٥١.	وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ	الحجر٧٩	١٥١
١٥٢.	أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ	الحديد١٦	١٥٤
١٥٣.	فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَا	البقرة٧٣	١٥٤
١٥٤.	﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ	المائدة١٢	١٥٥
١٥٥.	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ	الحديد٢٧	١٥٦
١٥٦.	وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ	الاعراف١٥٧	١٦٠
١٥٧.	يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ	المادة٧٧	١٦١
١٥٨.	كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ	التوبة٦٩	١٧٣
١٥٩.	لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ	المائدة١٧	١٨١
١٦٠.	لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ	المائدة ٧٣	١٨١
١٦١.	لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ	المائدة٧٨	١٨١
١٦٢.	وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ	التوبة٣٠	١٨١

© Arabic Digital Library Yarmouk University

١٦٣.	وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ	المائدة٦٤	١٨١
١٦٤.	لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ	المائدة٧٠	١٨٢
١٦٥.	وَإِذ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ	الصف٦	١٨٢
١٦٦.	لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ	المائدة٨٢	١٨٢
١٦٧.	قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ	ال عمران٦٤	١٨٢
١٦٨.	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ	المائدة٥١	١٨٣
١٦٩.	وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً	النساء٨٩	١٨٣
١٧٠.	وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ	البقرة١٢٠	١٨٣
١٧١.	ثُم قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا	الحديد٢٧	١٨٤
١٧٢.	يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ	النساء١٧١	١٨٥
١٧٣.	وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ	الحديد٢٧	١٨٦
١٧٤.	فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ	الكهف١١٠	١٨٧
١٧٥.	وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً	الانفال٣٥	١٨٧
١٧٦.	وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ	الحديد ٢٧	١٨٨
١٧٧.	إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ	البقرة١٥٨	١٨٩
١٧٨.	وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ	البقرة١٦٥	١٩٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٧٩.	وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ	المائدة٥١	١٩٦
١٨٠.	لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ	المجادلة٢٢	١٩٧
١٨١.	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم	الممتحنة١٣	١٩٧
١٨٢.	تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟	المائدة٨٠	١٩٧
١٨٣.	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ	المائدة٥٤	١٩٧
١٨٤.	ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ	المائدة٥	٢٠٠
١٨٥.	وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ	المائدة٥	٢٠٥
١٨٦.	وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ	ابراهيم٤	٢٠٩
١٨٧.	لا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ	الممتحنة٨	٢١٢
١٨٨.	وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ	المائدة٥	٢١٢
١٨٩.	لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ	ال عمران٢٨	٢١٥
١٩٠.	﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	الحج٧٧	٢١٧
١٩١.	وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ	المائدة٢	٢١٧
١٩٢.	إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ	الحجرات ١٠	٢٢٠
١٩٣.	ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ	ال عمران١٩١	٢٢٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٩٤.	كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ	يونس٢٤	٢٢١
١٩٥.	فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ	الاعراف١٧٦	٢٢١
١٩٦.	إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ	الرعد٣	٢٢١
١٩٧.	إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ	الاسراء٩	٢٢٣
١٩٨.	ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا	الزمر٢٣	٢٢٣
١٩٩.	ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ	الزمر٢٣	٢٢٣
٢٠٠.	ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى	المائدة٣	٢٢٣
٢٠١.	﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ	الاعراف١٧٩	٢٣٤
٢٠٢.	فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا	الروم٣٠	٢٣٧
٢٠٣.	فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ	ال عمران١٥٩	٢٤٢
٢٠٤.	فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ	محمد٢٢	٢٤٣+٢٤٥
٢٠٥.	﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ	المائدة٣٣	٢٤٦
٢٠٦.	وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا	الاعراف٥٦	٢٤٦
٢٠٧.	﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ	المائدة٢	٢٤٧

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فهرس الأحاديث النبوية مرتبة حسب الحروف الهجائية

التسلسل	طرف الحديث	الصفحة
١.	اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ	٢٣٩
٢.	اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا	١٢٨
٣.	اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	١٥٧
٤.	البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ	٢٣٩
٥.	الحكمة ضالة المؤمن	١١٥
٦.	السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ،	٥٧
٧.	الفِطْرَةُ خَمْسٌ	٧٩
٨.	القَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ	٧٣
٩.	القط لي الحصى فلقطت له سبع حصيات	١٨٥
١٠.	القُطْ لِي حَصًى فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصَيَاتٍ	١٦٠
١١.	القُطْ لِي حَصًى،	٧٧
١٢.	اللحد لنا والشق لغيرنا	١٦٥
١٣.	اللَّهُمَّ أَنْتَ المَلِكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ	٢٣٩
١٤.	انْطَلَقْتُ أَنَا وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ حَتَّى نَأْتِيَ أَبَا سَلَمَةَ	١٠
١٥.	اهْتَمَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم للصلاة	١٥٧
١٦.	أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟	١٨
١٧.	أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٦٦
١٨.	أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٧٥
١٩.	أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٢٠٥
٢٠.	أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٢١٢
٢١.	أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٢١٣
٢٢.	أُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ	٨٩
٢٣.	أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الرُّومِ	٢٠٦
٢٤.	أربع في أمتي من أمر الجاهلية	١٦٩
٢٥.	أَصَبْتُ جِرَابًا مِنْ شَحْمٍ	٢١٢
٢٦.	أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ اليَهُودَ أَنْ يَعْمَلُوهَا	٢٠٣
٢٧.	أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي	٥٢
٢٨.	أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي	١٣٨
٢٩.	أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الخَطَّابِ	١١٦
٣٠.	أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَرَى مِنْ يَهُودِيٍّ طَعَامًا إِلَى أَجَلٍ	٢٠١
٣١.	أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَرَى مِنْ يَهُودِيٍّ طَعَامًا إِلَى أَجَلٍ	٢٠٣
٣٢.	أَنَّ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ المَسْجِدَ	٥٤
٣٣.	أَنَّ أُنَاسًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٦٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣٤.	أنَّ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ هَبَطُوا	٩١
٣٥.	أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ	٨٩
٣٦.	أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ	٩٠
٣٧.	أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي	١٣٨
٣٨.	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعر	١٧١
٣٩.	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى حنين	١٩٠
٤٠.	أنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ	١٦٢
٤١.	أنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ	٩٥
٤٢.	أنَّ يَهُودِيًّا دَعَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى خُبْزِ شَعِيرٍ	٢١٣
٤٣.	أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ	١٤٩
٤٤.	أهدى ملك أيله للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء	٢١٥
٤٥.	أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح	١٩١
٤٦.	إِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِي الطَّرِيقِ جُعِلَ عَرْضُهُ سَبْعَ أَذْرُعٍ	٢١
٤٧.	إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ	١٥
٤٨.	إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ	٦٦
٤٩.	إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ	١٠٠
٥٠.	إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْخِصْبِ	٧٩
٥١.	إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ	٧٩
٥٢.	إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا	١٦١
٥٣.	إِذَا كَانَ لِأَحَدِكُمْ ثَوْبَانِ فَلْيُصَلِّ فِيهِمَا	١٦٣
٥٤.	إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ	٤٧
٥٥.	إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ	٧
٥٦.	إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ	٦١
٥٧.	إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي	٥١
٥٨.	إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ	٤٨
٥٩.	إن الله قد أجار أمتي أن تجتمع على ضلالة	٤٨
٦٠.	إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ	١٢
٦١.	إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ	٢٣٢
٦٢.	إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا	٢٢٠
٦٣.	إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ	٢٤٠
٦٤.	إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس	١٦٨
٦٥.	إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ	٧٧
٦٦.	إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم	١٧٣
٦٧.	إنّ بني إسرائيل	١٥٥
٦٨.	إِنَّ حَبِيبِي صلى الله عليه وسلم نَهَانِي أَنْ أُصَلِّيَ فِي الْمَقْبُرَةِ	١٧٠
٦٩.	إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ	١٦
٧٠.	إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا	٦٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٧١.	إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا	٢٤٠
٧٢.	إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ	١٤
٧٣.	إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الكُفَّارِ فَلاَ تَلْبَسْهَا	٧٨
٧٤.	إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد	٨٢
٧٥.	إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِيمَا خَلَا مِنَ الأُمَمِ	٥٨
٧٦.	إنما أهلك الذين قبلكم	١٩٨
٧٧.	إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ	١٠٩
٧٨.	إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَهَا نِسَاؤُهُمْ	١٦٤
٧٩.	إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ	٧٧
٨٠.	إِنِّي مَرَرْتُ بِأَخٍ لِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ	٢٣٥
٨١.	بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً	٥٥
٨٢.	بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم	٦٣
٨٣.	بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم	٢٥
٨٤.	تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ	٢٢٣
٨٥.	تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ	٩
٨٦.	تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ	٢٢٠
٨٧.	تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ	٨٩
٨٨.	تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ،	٩٦
٨٩.	تِلْكَ صَلاَةُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ	١٥٩
٩٠.	ثَلاَثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ	١٤٢
٩١.	جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	١٣٦
٩٢.	جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	١٥٩
٩٣.	جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم	١٨٥
٩٤.	جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم	١١
٩٥.	جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي مَرَرْتُ بِأَخٍ لِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ	١٤٢
٩٦.	جزوا الشوارب, وأرخوا اللحى	١٧٠
٩٧.	جُزُّوا الشَّوَارِبَ, وَأَرْخُوا اللِّحَى, خَالِفُوا الْمَجُوسَ	٧٨
٩٨.	حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ	٣١
٩٩.	خالفوا المشركين أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى	١٦٥
١٠٠.	خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ, وَفِّرُوا اللِّحَى, وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ	٧٨
١٠١.	خَالِفُوا الْيَهُودَ	١٥٧
١٠٢.	خَالِفُوا الْيَهُودَ, فَإِنَّهُمْ لاَ يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ	٧٦
١٠٣.	خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ	٣٨
١٠٤.	خَرَجَ مِنْ عِنْدِ مَرْوَانَ نَحْوًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ	٥٤
١٠٥.	خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ	٣٧
١٠٦.	دَعَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعْنَاهُ	١١٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٠٧.	دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ	١٦٩
١٠٨.	رآني ابن عمر وأنا أصلي في ثوب واحد	١٦٣
١٠٩.	سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ	٢٣٩
١١٠.	سَلُونِي, فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ	٧٢
١١١.	سَلُونِي, فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ,	٦٥
١١٢.	سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصواتا	٢٠٤
١١٣.	سَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ بِقُدُومِ رَسُولِ اللَّهِ	٧٠
١١٤.	صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ	١٦١
١١٥.	عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ	٤٢
١١٦.	غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ثَلاَثًا	١٩
١١٧.	غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ تَبُوكَ	٢٠٤
١١٨.	غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود	١٦٤
١١٩.	فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر	١٦١
١٢٠.	فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلاَثٍ	٥٣
١٢١.	فُكُّوا العَانِيَ	٩١
١٢٢.	قَالَ أَعْرَابِيٌّ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٨٨
١٢٣.	قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الأُمَمِ قَبْلَكُمْ	٤٧
١٢٤.	قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم المَدِينَةَ	١٦٧
١٢٥.	قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ,	١
١٢٦.	قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: قُلْ لِي فِي الإِسْلاَمِ قَوْلًا	١٢٧
١٢٧.	قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ	٨٨
١٢٨.	كَانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالعِبْرَانِيَّةِ	٧١
١٢٩.	كان بين نوح وآدم عشرة قرون	١٧٦
١٣٠.	كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا اتبع جنازة	١٦٥
١٣١.	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا	٩٠
١٣٢.	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى وَالنَّاسُ حَوْلَهُ	٥٠
١٣٣.	كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يُصَلِّي إِلَى جِذْعٍ,	٣٩
١٣٤.	كَانَ عَلَى ثَقَلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ كِرْكِرَةُ	٩١
١٣٥.	كَانَتْ تَكْرَهُ أَنْ يَجْعَلَ يَدَهُ فِي خَاصِرَتِهِ	١٥٩
١٣٦.	كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلاَئِقِ	٧٣
١٣٧.	كَلاَّ وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ	١١١
١٣٨.	كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ	٢٨
١٣٩.	كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٢٠٢
١٤٠.	كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ فِي قُبَّةٍ	٥٧
١٤١.	كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٧٩
١٤٢.	لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً	١٩٠
١٤٣.	لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الحَقِّ	٥٣
١٤٤.	لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الحَقِّ	١٢٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٤٥.	لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ	٢٣٥
١٤٦.	لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد	١٨٩
١٤٧.	لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ	١٥٦
١٤٨.	لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم	١٨٦
١٤٩.	لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم	١٦٦
١٥٠.	لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ،	٧٢
١٥١.	لا تلبسوا الحرير ولا الديباج	١٧١
١٥٢.	لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ	١٣٥
١٥٣.	لا يزال الدين ظاهرا ما عجل الناس الفطر	١٦١
١٥٤.	لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر	١٩٩
١٥٥.	لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ ثُمَّ يَجْلِسُ فِي مَجْلِسِهِ	٧٩
١٥٦.	لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ	٢٢٨
١٥٧.	لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ	٢١٤
١٥٨.	لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ	١١٥
١٥٩.	لِتَعْلَمَ يَهُودُ أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً	٥٣
١٦٠.	لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ الرِّبَا	٢٣
١٦١.	لعنة الله على اليهود والنصارى	١٩١
١٦٢.	لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنْ الْغِيلَةِ	١١٧
١٦٣.	لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنْ الْغِيلَةِ	٢٠٥
١٦٤.	لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا	٢٣٨
١٦٥.	لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الرُّومِ كِتَابًا	١١٧
١٦٦.	لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم	٢٣٨
١٦٧.	لما نزل الرسول صلى الله عليه وسلم ببدر	١٣٣
١٦٨.	لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنْ الْأُمَمِ	١
١٦٩.	لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ	٢٢٧
١٧٠.	لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا ،	١٦٣
١٧١.	ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب	١٦٨
١٧٢.	مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ	١٩
١٧٣.	مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ	٦٠
١٧٤.	مَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِي قَوْمٍ يَسُبُّونَ أَهْلِي	٣٩
١٧٥.	مَا خُيِّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ	١٢
١٧٦.	مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ	٢٣٩
١٧٧.	مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ	٢٨
١٧٨.	مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي	١٠٨
١٧٩.	مر على النبي صلى الله عليه و سلم بيهودي	١٦٢
١٨٠.	مَنْ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ	٢٢
١٨١.	مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً	٢٠
١٨٢.	مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ	٢٤٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٨٣.	مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ	١١٦
١٨٤.	مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ	١٥٤+١٥٥
١٨٥.	مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا	٢٢
١٨٦.	من خرج من الطاعة وفارق الجماعة	١٦٩
١٨٧.	مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ	١٠٠
١٨٨.	مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا	١٥
١٨٩.	نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ	٥٣
١٩٠.	نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ	٥٦
١٩١.	نَزَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم خَيْبَرَ	٢١١
١٩٢.	هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ المَنْزِلُ	٣٠
١٩٣.	هُوَ بَسْطُ الوَجْهِ ، وَبَذْلُ المَعْرُوفِ	٢٣٧+٢٣٩
١٩٤.	وَاسْتَأْجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ	٢٠٣
١٩٥.	وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ	١٢١
١٩٦.	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا	١٤٣
١٩٧.	وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ	١٤٢
١٩٨.	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَه	١٩
١٩٩.	وإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ	٨٥
٢٠٠.	وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ مِنْ دَمِ الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ	١٢٤
٢٠١.	وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	١٣٠
٢٠٢.	وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا	٧
٢٠٣.	وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا	٦٢
٢٠٤.	وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ	٥٧
٢٠٥.	يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ	١٣٥
٢٠٦.	يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي	٢٩
٢٠٧.	يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ	٤٦
٢٠٨.	يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ	٥٦
٢٠٩.	يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا	٥١
٢١٠.	يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ	٧٨
٢١١.	يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ	١٠٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قائمة المصادر والمراجع مرتبة حسب الحروف الهجائية

أ.العقيدة:

١. آل الشيخ: صالح بن عبد العزيز, شرح عدة متون في العقيدة, قسم العقيدة, شرح كتاب فضل الإسلام.

٢. البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول دار الكتب العلمية ، بيروت.

٣. الجربوع :عبد الله , أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة, الناشر : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية, ط١, ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣.

٤. الحكيمي حافظ بن أحمد ،أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، تحقيق حازم القاضي ،نشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية،ط٢.

٥. الحمد: محمد بن إبراهيم, مختصر عقيدة أهل السنة والجماعة.

٦. الحنفي: أبو العز, صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد، الأذرعي الصالحي الدمشقي, شرح العقيدة الطحاوية, تحقيق : أحمد شاكر, الناشر : وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد, الطبعة : الأولى – ١٤١٨ هـ.

٧. خليل :هراس محمد: شرح العقيدة الواسطية ، الموسوعة . الإصدار الثاني.

٨. الرازي: لمحمد بن عمر بن الحسين: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين.

٩. العبدة :محمد ، عبد الحليم:طارق ،: المعتزلة بين القديم والحديث.

١٠. عزام: عبد الله, العقيدة وأثرها في بناء الجيل.

١١. العكبري: الحنبلي أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة ،الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، تحقيق : د.عثمان عبد الله آدم الأثيوبي، دار الراية – الرياض،ط ٢ ،١٤١٨.

١٢. القحطاني: محمد بن سعيد ، الولاء والبراء في الإسلام.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب. التفسير وعلومه:

١. البغوي :أبو محمد الحسين بن مسعود ،معالم التنزيل، حققه محمد عبد الله النمر و عثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ،ط٤،١٤١٧ هـ.

٢. السعدي :عبد الرحمن بن ناصر ، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة .

٣. الطبري :محمد بن جرير ، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق أحمد محمد شاكر ،مؤسسة الرسالة ،ط.٢٠٠٠

٤. ابن كثير القرشي إسماعيل بن عمر, تفسير القرآن العظيم, دار طيبة للنشر والتوزيع, الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩.

٥. رشيد رضا:المنار.

٦. سيد قطب: في ظلال القرأن،ج٥،ص:٥٧٩، والفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ.

ج. الحديث وعلومه:

١. البخاري: محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ،اعتنى بها،عبد السلام بن محمد بن عمر علوش,مكتبة الراشدون ناشرون ،الرياض،ط١.

٢. البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين ،شعب الإيمان ،دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١.

٣. الترمذي :محمد بن عيسى ، سنن الترمذي، تحقيق وجمع: محمد عبد الله ومحمد علي ،

٤. ابن رجب الحنبلي, جامع العلوم والحكم بشرح خمسين حديثا من جوامع الكلم,

٥. ابن رجب الحنبلي, جامع العلوم والحكم بشرح خمسين حديثا من جوامع الكلم, تحقيق: ماهر ياسين فحل, الحديث الثامن والعشرون.

٦. الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ،سير أعلام النبلاء تحقيق : شعيب الارنؤوط مؤسسة الرسالة.

٧. السجستاني، أبو داود : سنن أبي داود.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٨.١ بن حنبل أحمد بن حنبل الشيباني, مسند الإمام أحمد بن حنبل, شعيب الأرنؤوط وآخرون.

٨. الطبراني: أبو القاسم, المعجم الكبير , تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي, مكتبة العلوم والحكم – الموصل, ط٢ ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣,.

٩. العسقلاني، ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

١٠. القرطبيُّ :أبو العبَّاس أحمَدُ بنُ أبي حَفْصٍ عُمَرَ بن إبراهيمَ ، المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم .

١١. القزويني ،ابن ماجه : سنن ابن ماجة.

١٢. المستدرك على الصحيحين ،كتاب الإيمان.الناشر: مؤسسة الرسالة, ط٢، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م.

١٣. النووي ، شرح الأربعين النووية .

١٤. النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف ،المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ،دار إحياء التراث العربي.

١٥. الحاكم: محمد بن عبدالله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، مع تعليق الذهبي في التلخيص، دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط١،١٩٩٠م .

١٦. ابن الحجاج النيسابوري مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم, الناشر : دار الجيل بيروت ، دار ابن الهيثم .

١٧. ابن خزيمة محمد بن اسحاق ابن خزيمة :صحيح ابن خزيمة، تحقيق الأعظمي.دار ابن الهيثم، القاهرة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

د. الفقه:

١. ابن تيمية الحراني:: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم, , مجموع الفتاوى, تحقيق أنور الباز – عامر الجزار, الناشر: دار الوفاء, الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

٢. ابن قدامة المقدسي:عبد الله بن أحمد ، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥، دار الفكر – بيروت.

٣. الأحمد: ناصر بن محمد, معالم الاقتصاد الإسلامي .

٤. البعلي . عبد الحميد ،أستاذ الفقه المقارن والاقتصاد الإسلامي والمستشار باللجنة الاستشارية العليا للعمل على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ــ الديوان الأميري – الكويت, أدوات الاستثمار في المصارف الإسلامية.

٥. الجوزية :ابن قيم:أبو عبد الله الزرعي محمد بن أبي بكر أيوب (زاد المعاد في هدي خير العباد،تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط،مؤسسة الرسالة ناشرون ،بيروت،ط٣ ،١٩٩٨.

٦. الدسوقي: محمد بن أحمد ،حاشية الدسوقي على الشرح الكبير.

٧. الزُّحَيْلِيّ: وَهْبَة, الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ, دار الفكر– سوريَّة– دمشق .

٨. الشوكاني: محمد بن علي بن محمد ،نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار ،إدارة الطباعة .

٩. الغامدي :ناصر, حماية الملكية الفكرية في الفقه الإسلامي والآثار الاقتصادية المترتِّبة عليها

١٠. القحطاني : مسفر بن علي, النظام الاقتصادي في الإسلام .

١١. القرضاوي, يوسف, فتاوى معاصرة, الطبعة الأولى.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هـ. المعاجم:

١. الجرجاني :علي بن محمد بن علي, التعريفات, تحقيق : إبراهيم الأبياري, الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت, الطبعة الأولى، ١٤٠٥.

٢. الكفوى :أبو البقاء, كتاب الكليات, معجم في المصطلحات والفروق اللغوية, مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٩٩٨م, تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري.

٣. المصري:محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

٤. المقري :أحمد الفيومي, المصباح المنير.

٥. سانو :قطب مصطفى, معجم مصطلحات أصول الفقه, دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م .

٦. فارِس :أحمد ، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون ،اتحاد الكتاب العرب،٢٠٠٢م.

٨.مصطفى: إبراهيم ـ وآخرون ، المعجم الوسيط، تحقيق، مجمع اللغة العربية.

و. الدوريات والرسائل الجامعية والمواقع الالكترونية:

١. الموسوعة العربية العالمية، وهي ترجمة بتصرف عن: دائرة المعارف العالمية.

٢. بارقعان :أبو يحيى أشرف بن عبد الحميد بن محمد ، مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين .

٣. مجلة البيان

٤. مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة, العدد الرابع, ص: ١٨٤٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٥. موسوعة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَبَسَاتٌ مِنَ الرسول صلى الله عليه وسلم(٤) لا تفكروا في ذات الله.

٦. موقع وزارة الأوقاف المصرية" http://www.Islamic-council.com"

ز. الموسوعات:

١-وزارة الأوقاف والشئون،الكويت،الموسوعة الفقهية الكويتية ،الأجزاء ١ - ٢٣ : ط٢،دار السلاسل ،الكويت

٢-الموسوعة العربية العالمية،

٣-الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة.

ح. المراجع المتفرقة:

١- حلمي :مصطفى، ابن سماعيل: محمد :هويتنا الإسلامية : بين التحديات والانطلاق،مجلة البيان.

٢-رمان: محمد سليمان ، الفكر الإسلامي في زمن العولمة (٢) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ، جمع وإعداد علي بن نايف الشحود.

٣-الدوسري: إبراهيم بن سعيد ،المحور الرابع استثمار تعليم القرآن في ترسيخ الوسطية ومعالجة الغلو لمحات عن منهج القرآن الكريم في البناء التربوي ومعالجته.

٤-خلدون: مقدمة ابن خلدون.

٥-الألوسي:حسام الفكر الفلسفي الإسلامي.

٦-البدر : بدر بن ناصر ، أهمية التعليم في الحفاظ على الهوية الإسلامية ، المسلم بين الهوية الإسلامية والهوية الجاهلية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٧- التركي :عبد الله بن عبد المحسن ، الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله، ط١، وزارة الشئون ة والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ.

٨- الجزائري :عبد المالك بن أحمد, مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشّرعية والانفعالات الحَماسية.

٩- الجندي: أنور, الإسلام في وجه التيارات الوافدة .

١٠- :ابن تيمية الحراني: تقي الدين احمد ،اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، محمد بن صالح العثيمين ،خرج أحاديثه احمد بن شعبان،مكتبة الصفا،القاهرة،ط١، ٢٠٠٥م.

١١- الخريجي : عبد الله ، نظم المجتمع الإسلامي مع التطبيق على المجتمع السعودي.

١٢- الرفاعي : فؤاد بن سيد عبدالرحمن ، النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية، ، ١١، ١٤، ٢٠ دار السياسة، الكويت، ط: الأولى ١٤٠٧هـ.

١٣- الزرعي ،ابن قيم الجوزية: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب ، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله، ٢١٥- ٢١٦ دار العاصمة ، الرياض .

١٤- الزرعي :ابن قيم الجوزية: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب ،مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق : محمد حامد الفقي،ط٢، دار الكتاب العربي ،بيروت،١٩٧٣.

١٥- السَّخاوي, الحافظ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن, الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ, الطبعة العلمية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٦- السدلان:صالح تنبيه زائر المدينة على الممنوع والمشروع في الزيارة.

١٧- السليم: فرحان ، الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصرة راجع : موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، جمع وإعداد علي بن نايف الشحود.

١٨- الشحود :علي بن نايف, الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل, الباب الأول الحضارة الإسلامية وأسسها.

١٩- الشحود :علي بن نايف ،خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم ،ط١ ،١٤٣٠هـ.

٢٠- الصالح: محمد بن أحمد ، وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار.

٢١- الصواف: محمد محمود ،المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام -٢١، دار الإصلاح، الدمام، ط: الثالثة ١٣٩٩هـ.

٢٢- العبدة :محمد ، مفهوم الأمة لماذا لا نستفيد منه؟ مقال١٤٢٥/٣/٢١، في موسوعة البحوث والمقالات العلمية ،اعداد علي الشحوذ.

٢٣- العجلان: عبد الله بن محمد ، صلاحية التشريع الإسلامي للبشر كافة، مجلة البحوث الإسلامية.

٢٤- العمر:.ناصر بن سليمان: البث المباشر حقائق وأرقام ، دار الوطن الرياض، ط: الأولى ١٤١٢هـ.

٢٥- الغامدي: أحمد بن سعد, الأمة الإسلامية من جديد وليس الشرق الأوسط الجديد.

٢٦- الفاروقي اسماعيل راجي، أسلمة المعرفة،الأستاذ بجامعة تمبل ، بنسلفانيا ، الولايات المتحدة الأمريكية ترجمة عبد الوارث سعيد، جامعة الكويت، دار البحوث العلمية بالكويت .

٢٧- الفايدي: عيد بن حجيج ، الاستقامة في التربية الإسلامية وأثرها في تحصين الشباب ،مجلة البحوث الإسلامية .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢٨- الفلق :سالم مبارك, اللغة العربية التحديات والمواجهة,

٢٩- القاسم :عبد العزيز بن محمد ، الإصلاح التشريعي موجز تاريخي وخطوات عملية، مجلة البيان.

٣٠- المبطي :عمر بن سعيد ، الأبطال بين حقيقة التاريخ وتزوير الإعلام ، موسوعة خطب المنبر.

٣١- المسيري :عبدالوهاب ،: العلمانية الجزئية والعلمانية.

٣٢- المصري: جميل ، حاضر العالم الإسلامي ٨٧/١، ٨٨.،و أنور الجندي ،الإسلام والدعوات الهدامة، دار الكتاب اللبناني، ط: الأولى.

٣٣- الهندي علي بن حسام الدين المتقي ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٩ .

٣٤- بروتوكولات حكماء صهيون ، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، ط: الأولى ١٤٠٣هـ.

٣٥- حميد الله : . محمد ، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، . ..

٣٦- خضر :عبد العليم ، المسلمون وكتابة التاريخ، المعهد العلمي الإسلامي، ط٢، ١٩٩٥م،

٣٧- دوكري : عثمان: التدابير الواقية من التشبه بالكفار،: الشاملة٣١.

٣٨- زيدان:عبد الكريم ، أصول الدعوة، دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط: الثالثة، ١٣٩٦هـ ، ص٧٨.

٣٩- سلطان: جاسم ، وقوانين النهضة ،موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، .

٤٠- سلطان،جاسم قوانين النهضة، المفصل في الرد على الحضارة الغربية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤١- شاكر :محمود: أباطيل وأسمار و د . عثمان ضميرية ،مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية.

٤٢- عمارة :محمد الإسلام بين التنوير والتزوير" دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٢م، وسلسلة (نحو عقلية إسلامية واعية) رقم "١٧" - دار الصحوة للنشر ١٩٩٥.

٤٣- قطب: سيد, العدالة الاجتماعية في الإسلام, دار الشروق, الطبعة الشرعية الثامنة, ١٤٠٢ه-١٩٨٢م.

٤٤- قطب: محمد ، مفاهيم ينبغي أن تصحح، دار الشرق القاهرة، ط: الثالثة، ١٤٠٨.

٤٥- كشك :محمد جلال ، جهالات عصر التنوير: قراءة في فكر قاسم أمين وعلي عبد الرازق.

٤٦- محفوظ ، علي : هداية المرشدين الى طرق الوعظ والخطابة, ،دار المعرفة بيروت،

٤٧- يوحنا ، الفصل ١٤ \ ١٦-٢٩ طبع الكاثوليكية وفيه : فيعطيكم معزيا بدل فارقليط.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول: الاستقلالية مفهومها ومظاهرها ومقوماتها وآثارها ومجالاتها وأهميتها وخطورة تجاهلها.	١
المبحث الأول: مفهوم الاستقلالية في السنة النبوية	٢
المبحث الثاني: مجالات الاستقلالية في السنة النبوية.	٤
المطلب الأول: الاستقلالية الفكرية	٤
المطلب الثاني: الاستقلالية الاقتصادية	١٢
المطلب الثالث: الاستقلالية الاجتماعية.	٢٦
المطلب الرابع: الاستقلالية السياسية	٣٢
المبحث الثالث: أهمية الاستقلالية في السنة النبوية.	٤٢
المطلب الأول: فضل الأمة في السنة النبوية.	٤٢
المطلب الثاني: شمول استقلالية الإسلام في السنة النبوية.	٥٩
المبحث الرابع: مقومات الاستقلالية وخطورة تجاهلها .	٨٠
المطلب الأول: مقومات الاستقلالية.	٨٠
أولاً: العقيدة	٨٠
ثانياً: الجهاد في سبيل الله	٨٦
ثالثاً: اللغة العربية.	٩٣
رابعاً: التاريخ	٩٤
المطلب الثاني: خطورة تجاهل مقومات الاستقلالية	٩٧
اولا: خطورة تجاهل الجهاد في سبيل الله.	١٠٠
ثانيا: خطورة تجاهل اللغة العربية.	١٠٢
ثالثا: خطورة تجاهل التاريخ.	١٠٤
رابعا: خطورة تجاهل العقيدة.	١٠٥
المبحث الخامس: آثار استقلالية الأمة على الفرد والأمة.	١١٤
المطلب الأول: آثار الاستقلالية على الأمة.	١١٤
المطلب الثاني: آثار استقلالية على الفرد المسلم.	١١٩
أولاً: ثقة المسلم بدينه.	١١٩
ثانيا: استقامة السلوك في جميع مجالات الحياة.	١٢٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثالثا. آثار الاستقامة	١٢٨
المبحث السادس: مظاهر الاستقلالية.	١٣٠
المطلب الأول: الاستقلالية في العبادات والتشريع.	١٣١
المطلب الثاني: علاقة الشرائع السابقة في الإسلام.	١٣٨
الفصل الثاني :الأقوام الذين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بمخالفتهم من غير المسلمين ومظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين .	١٥٤
المبحث الأول: الأقوام الذين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بمخالفتهم من غير المسلمين	١٥٥
المطلب الأول: أهل الكتاب (اليهود والنصارى).	١٥٥
المطلب الثاني: أهل الشرك والوثنية (المجوس والوثنيين).	١٦٩
المبحث الثاني: مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين	١٧٥
المطلب الأول: مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث في الجانب الاعتقادي.	١٧٨
المطلب الثاني : مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث في العبادات.	١٨٦
المطلب الثالث :أثر التشبه بأهل الكتاب والكفار.	١٩٤
الفصل الثالث: الاستقلالية بين الانتفاع والتأثر من الأمم الأخرى	٢٠٢
المبحث الأول: الانتفاع من الأمم الأخرى.	٢٠٣
المطلب الأول مجالات الانتفاع من الأمم الأخرى	٢٠٣
المطلب الثاني: التأصيل الشرعي من جواز الاستفادة من غير المسلمين في الجانب المادي.	٢١٢
المبحث الثاني: ضوابط التأثر بحضارة الأمم الأخرى	٢١٩
المطلب الأول: الحصانة الفكرية	٢١٩
المطلب الثاني: الحصانة الأخلاقية.	٢٣٧
الخاتمة	٢٥٠
فهرس الآيات القرآنية	٢٥٤
فهرس الأحاديث النبوية	٢٦٦
قائمة المصادر والمراجع	٢٧٢
فهرس المحتويات	٢٨٢
الملخص باللغة الإنجليزية	٢٨٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Abstract

This study adresses the issue of the independence of the Muslim Nation in accordance with the traditions of the Prophet (peace be upon him.) The Muslim Nation is independent in all aspects which include social, economical, political and intelectual systems. This presentation covers several areas regarding the independence of the Muslim Nation. The presentation also talks about Islam and clear any misconseptions about it. This presentation also highlights some of the unique characteristics of its independence. To demonstrate its ability to compete with other and to answer any questions or accusations about Islam.

The author compiled alot of information about the traditions of the prophet including his sayings and his practice. This study was made into three chapters and a conclusion.

First Chapter: adresses the concept of independence and its foundation.

Second Chapter: talks about how the prophet instructed us to be different from other nations. This chapter also discusses about immitating unbelievers and its affect of muslims.

Third Chapter: talks about the benifits of independence and influence from other nations.

The Conclusion: mentioned the results and recommendations. This study shows the true picture of the Muslim Nation, its unique characteristics, and goals while maintaining its authenticity. Also in this study is the encouragment of muslims to follow and practice its teaching in the following areas. These areas include, worship, ruling, dealing with others, and starting with issues related to creed and ending with minor issues and compare it with other nations. The Muslim Nation is a leader not a follower.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University